# المسلمون وتقليد الأجانب

المستشار الدكتور
عاصم أحمد عجيلة



# المُسْلِمُونَ وتَقْلِيدُ الأجَانِبِ

## الانبهارُ بالغربِ وتغريبُ العربِ

المستشار الدكتور
عاصم أحمد عجيلة
رئيس محكمة الاستئناف



اسم الكتاب: المسلمون.. وتقليد الأجانب.

المؤلف: المستشار الدكتور/ عاصم أحمد عجيلة.

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.

تاريخ النشر: الطبعة الثانية - يناير 2008.

رقم الإيداع: 2006 / 10487

الترقيم الدولي: ISBN 977-14-3453-5

الإدارة العامة للنشر 21 ش أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة
ت: 33466434(02)-33472864(02) فاكس: 33462576(02) ص ب 21 إمبابة
البريد الإلكتروني للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 38330287 (02) - 38330289 (02) - فاكس: 38330296 (02)
البريد الإلكتروني للمطابع press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسي 18 ش كامل صدقي - الفجالة -
القاهرة - ص ب. 96 الفجالة - القاهرة
ت: 25909827 (02) - 25908895 (02) - فاكس 25903395 (02)

مركز خدمة العملاء 25909827 (02)
البريد الإلكتروني لخدمة العملاء
customerservice@nahdetmisr.com
البريد الإلكتروني لإدارة البيع sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية 408 طريق الحرية (رشدي)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة 13 شارع المستشفى الدولي التخصصي
- متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
ت 2221866 (050)

موقع الشركة على الإنترنت www.nahdetmisr.com




بسم الله الرحمن الرحيم
... وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ...
صدق الله العظيم

[الأنعام:١٥٣]

واعلم أن الرأى والهوى متعاديان ، وأن من شأن الناس تسويف الرأى وإسعاف الهوى، فيخالف ذلك ويلتمس ألا يزال هواه مسوفًا ورأيه مسعفًا.

ابن المقفع

# تصديـر الطبعـة الثانيـة
## وشـــــكر

صدرت الطبعة الأولى من هذا المؤلَّف بفضل الله ورحمته، بعنوان: «الذاتية الإسلامية فى مواجهة التغريب»، وقد تكفلت رابطة الجامعات الإسلامية مشكورة بنشرها، وها نحن أولاء نقدم الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ، ولكنَّا استحسنَّا عنوانًا جديدًا هو «المسلمون وتقليد الأجانب»؛ لأنه أقرب فى تشخيص الواقع الإسلامى وما ألمَّ به من مرض وهزيمة فى الأعراف، نحاول رصدها وكيفية صدها وردها على أعقابها.

ويتصدر هذه الطبعة الثانية شكر وفير لاثنين من أبرز شخصيات المجتمع المصرى والإسلامى؛ أولهما الأستاذ المستشار ماهر عبدالواحد النائب العام لجمهورية مصر العربية على الكلم الطيب الذى حوته رسالته الطلية التى أرسلها إلينا بمناسبة تفضله بقراءة هذا الكتاب، وثانيهما الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية على تعليقه وتقريظه الذى حملته الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وقد أعدنا نشره بإيجاز فى هذه الطبعة.

**المؤلـف**

# تقريظ

## بقلم: الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

تعرض الإسلام منذ وقت ليس بالقريب لحملات تغريبية شديدة ترمى إلى سلخ المسلمين من هويتهم وصبغهم بالصبغة الغربية فى شتى مظاهر الحياة، وهو مخطط يسعى إليه الغرب سعيًا دءوبًا، ويهدف فيما يهدف إليه إلى فرض الثقافة الغربية بكل ما فيها من عيوب ومميزات على حد سواء.

وهذا كتاب متميز يمثل صرخات ربما كانت فى صدر مؤلفه وأتاح لها أن تتصاعد كلامًا على الورق، يؤرق كل من يطالعه، ويستفزه لعمل شىء ما؛ ليخلص مجتمعاتنا المسلمة مما ران على سطحها من ظواهر تخالف العقيدة، وتسىء إلى الدين الإسلامى الحنيف.

لقد تناول المؤلف ظواهر وجدت فى حياتنا بسبب الطغيان المادى الذى جرف تقاليد أمتنا وأعراف مجتمعنا، نتيجة للاحتكاك بالغرب ومحاولته الدائبة لتفتيت وحدة الأمة، وإنهاك تماسكها، وضربها من الداخل، لتصير أمة بلا هوية وليدغدغ خصائص الذات الإسلامية وسماتها بالسيطرة على أقوام زعموا أنهم منا، وما هم منا فى شىء.

إن هذا الكتاب يرصد ظاهرة تقليد الغرب فى بلادنا الإسلامية؛ فى العادات.. فى الأعراف.. فى الملبس والمأكل والمشرب.. وفى داخل بيوتنا وتجمعاتنا ونوادينا، ثم يحلل أسباب الظاهرة والبواعث التى جعلت من اليسير على المد الغربى أن يكون بهذه القوة فى حياتنا.

وأخيرًا يقدم كتابه علاجًا ناجعًا للتخلص من التغريب المانع القوى الذى يستطيع أن يصدَّ عن الأمة عوامل التغريب ومظاهر الفرنجة.

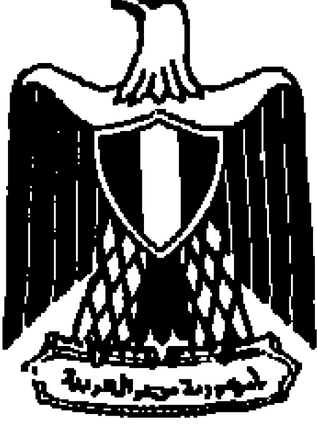
وهذا الكتاب قيم فى شكله ومضمونه وجاء فى وقته وأوانه ليضع النقاط على الأحرف لتشخيص ما ألمَّ بالمسلمين من أمراض سلوكية وفكرية واجتماعية مزمنة، ويصف الدواء بأسلوب هادئ وهادف بحيث يكون فى متناول أكبر شريحة ممكنة من القراء، كما أنه يعد إضافة مهمة للمكتبة العربية والإسلامية.

الأستاذ الدكتور

**جعفر عبد السلام**

الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم



النيابة العامة
مكتب
النائب العام

السيد المستشار الدكتور / عاصم احمد عجيلة

تحية طيبة وبعد ،،

تلقينا ببالغ الامتنان والتقدير إهدائكم الكريم - ( الذاتية الإسلامية في مواجهة التغريب ) والذي تناولتم بين سطوره موضوعات من الأهمية بمكان ، وسلوكيات دخيلة علينا ما كان البعض يسلكها لو تمسك بهويته الثقافية .. ويقينا كان الإسلام رائدا في الأخلاق والمثل .. وحثنا علي تعلم العلم ولو كان في أقصى البلاد .. فبتوجيه الإسلام نتعلم ما يأتي من الغرب نافعا لبلادنا ، ونلفظ ما يغزو ثقافتنا من مثالب حتى تكون امتنا العربية مواكبة لتطورات العصر وتنعم بأخلاق الإسلام وسلوكياته القويمة .

وإننا إذ نشكر لكم إهدائكم الكريم فإننا نتمنى لكم دوام التوفيق والنجاح وندعوا المولي العلي القدير أن يهديكم دوما سبيل الرشاد .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

مع الطيب التمنيات

تحريرا في ٣ /٣/٢٠٠٥

النائب العام

المستشار /

(ماهر عبد الواحد )

# مقدمة



أخطر ما يداهم الأمة الإسلامية اليوم هو محاولة تغيير نمط سلوكها ليكون وفق النموذج الغربى، أمة بلغت مجدها فى الرشد الأخلاقى، هل يتحول أبناؤها إلى أجيال مأزومة أو مهزومة يقتاتون سلوكهم من أصحاب الملة الأخرى، فهذا فوج مقتحم لا مرحبًا به من أعراف شتى ترنو إلى تغريب الأمة العربية الإسلامية، منها ما يصدم أحاسيسنا ويزدرى واقعنا ويشوه ملامحنا حتى وصل السكين إلى العظم فى بلاد إسلامية كتركيا والمغرب العربى، ويا ليته كان تقليدًا فى المحمود، وإنما دون تمييز بين المعجزات والموبقات، وكان نصيب المرأة فيها نصيب الأسد، وأعان على ذلك الانهزام الفكرى أو الخواء الثقافى فغفلوا عما أوتى النبيون من ربهم من المحاسن، حتى كدنا نتحول إلى أمة معقدة فى عالم يجرى كالريح المرسلة، نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير..!!

ولئن كان قد اجتمع على مائدتنا ضيفان ثقيلان هذا من شيعتنا وهذا من عدونا؛ تلك التقاليد الراكدة وهذه البدع الوافدة، فإن الخلاص منهما ليس علينا بعزيز، ونحن أمة سادت حضارتها فى المشارق والمغارب وتأثرت بها الحضارة العالمية، ومن ثم يبقى الأمل معقودًا علينا وعلى كل طبيب ماهر بأمراض الواقع الإسلامى؛ لكى يقدم لنا الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى، لا بل نحن معقود علينا الأمل فى أن نقدم جرعات شافية من الرشد الأخلاقى لأتباع المدنية الغربية لإعادة التوازن النفسى لإنسان الغرب، فالمسلمون هم موئل الإنسانية ومصدر الخيرية، ومصدروها للبرية، فقد أيقظوا التاريخ من سباته فسطعت كل جنباته، ولو كانوا عن رسالتهم غافلين.

وعلى هدى ما تقدم، فإنا نطرق فى بحثنا الموضوعات الآتية كل منها فى فصل مستقل:

- **الفصل الأول:** مظاهر تقليد الأوربيين .
- **الفصل الثانى:** أسباب التقليد.
- **الفصل الثالث:** الهزائم السلوكية وتغريب الأمة الإسلامية.
- **الفصل الرابع:** مواجهة التغريب والتقليد.
- **الفصل الخامس:** المسلمون وتصدير الرشد الأخلاقى.

الروضة فى ١٤٢٧هـ
٢٠٠٦م.

المستشار الدكتور

**عاصم أحمد عجيلة**

# الفصل الأول

# مظاهر تقليد الأوروبيين

## معنى التقليد[1]:

الأصل في التقليد ـ كما يقولون ـ وضع القلادة في العنق، وهو ما تتزين به المرأة أو يعرف به البعير، ثم قيل: قلد في الرأى إذا أخذ بقول غيره دون حجة، ومنشأ التقليد في الأمة إما عرف فشا فيها بين الناس وانتشر أو تقاليد دخيلة حاكت فيها غيرها.

والتقليد بوجه عام ذو وجهين:

١ ـ وجه بصير كله خيرات حسان.

٢ ـ وجه ضرير كله خسران مبين.

أما التقليد البصير فيختصر لصاحبه الزمن؛ بامتصاص المعارف والعلوم التي سبقه إليها الكادحون بعد تمحيصها ونقدها إن كانت تستوجب النقد.

أما التقليد الأعمى ففيه الطامة الكبرى؛ حيث تنحرف بسببه معظم المجتمعات عن الطريق السليم إلى السقيم، وهذه التقاليد تجوس اليوم خلال الديار ويختلف مداها وقوتها من بلد عربي إلى آخر، وهي تنتشر بضراوة في البلاد التي اكتوت بنار الغزو الفكري أكثر من غيرها على ما سنرى.

وفي الفصل الراهن نحاول أن نرصد مظاهر التقليد وأبعاد الهزيمة السلوكية في خمسة فروع هي:

- الفرع الأول: مسلمة متفرنجة متغربة.
- الفرع الثاني: شبابنا المزركش.. الغرب مولاهم.
- الفرع الثالث: مظاهر التقليد والغزو السلوكي بوجه عام.
- الفرع الرابع: تقليد الرؤى والأفكار.
- الفرع الخامس: فوج متربص من سلوكيات الأجانب.

(١) انظر مؤلفنا: حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامي، ص١٠١.

# الفرع الأول

## مسلمة متفرنجة متغربة

**رياح أوروبا تعصف بالحجاب**: برعت امرأة الغرب في التعرى والتخلى عن زيها ساتر بدنها.. لا، بل تطور السفور هناك حتى صار فنونًا بل جنونًا، تخالف شريعة موسى وعيسى ابن مريم وما أوتى النبيون من ربهم، وأدى بها هذا إلى أن صارت لا تأمن على نفسها حتى من محارمها، أما المسلمة فقد عصمها الزى الإسلامى أن يقع عليها مكروه من ذئاب البشر.

ومع ذلك فإن فتاتنا استهوتها تقاليع ابنة الغرب ليصبح ثوبها فوق ركبتها أو تحت الركبة، تكشف عن ساقيها أو جزء من صدرها ويتدلى شعرها على كتفيها، وبالجملة ترتدى الچينز وفوقه «البَدِى» اللاصق المفتوح الذى يكاد يكشف عن الثديين، وشعرها الطويل يتهادى فى دلال خلف ظهرها، وإذا وفد إلى بلادنا وافد يلمح فوضى سلوكية فى الأزياء يشهدها الشارع العربى، لم يتوقعها الضيف الغربى[1].

وهذه رجلة النساء؛ امرأة قصت شعرها وهو تاج جمالها، وأخرى تلبس الكرافت وتدخن السيجار وتظهر بمظهر الرجال وتلبس بدلة الرجل، ترى أن فى ذلك قوة الشخصية وارتقاء بالآدمية كما ارتقت فتاة الغرب بزعمها، مع أن فتاة الغرب قد أعلاها علمها، وحين تقص شعرها فتصبح كهندام الرجل يدفعها إلى ذلك ضمور الوقت، وتلك الأخرى تلبس غطاء الرأس ولكنها تكشف عن جزء من الساقين ليعلم ما يخفين من زينتهن.

وهنا يقول بعض الأدباء: إن الرجل اليوم عنده شذوذ جنسى؛ لأنه يتزوج المرأة المسترجلة[2].

وفتاتنا اليوم تحاول أن تبدى من مفاتنها أكثر مما تخفى بقصد الإثارة والإغراء والإغواء، فى المجتمعات والمنتديات وصالونات الأخلاء، تسولاً من أخلاق الغرب، وإذا وقعت عليها جريمة تنتهك العرض يقال: أين الجانى؟ خذوه فغلّوه، مع أن الجانى فى البداية والنهاية هو تقليد الأجانب.

---

(١) مجلة العربى التى تصدر عن الأهرام، العدد ١١٤، تحقيق ليلى الراعى.

(٢) أنيس منصور، الأهرام فى ١١/٦/٢٠٠٤م.

وإن تعجب فعجب أن المتبرجة يستهويها السفور؛ فتكشف عن ساقيها حتى لو كانت بلا جاذبية، أو أصابها الكبر، أو كان الشتاء قارسًا، بل لو كانت دميمة، والغريب أن كثيرًا من المسلمين يأمرون نساءهن بالتشبه بالأجانب؛ لفقرهم فى ثقافة دينهم.

وبالجملة، فقد كان للمرأة المسلمة نصيب الأسد فى تقليد الغرب حتى فى طريقة الحوار والأداء والشكل والأكل و(الإتيكيت)، وصار التشبه ولعها وهمّها، يداهمها حتى تكون أحيانًا نسخة كربونية وهذا هو مكمن الخطورة، وذلك هو ما دفع (الغزاة) إلى التركيز على المرأة المسلمة فى اختراق المجتمع الإسلامى.

وإذا دخلت رحاب أى جامعة عربية فى العواصم التى باركها الغزو الفكرى يخيل إليك أنك فى بلد غربى، ففتاة الجامعة أصبحت لا تفرق بين حرم الجامعة وصالة عرض الأزياء أو مهرجانات السينما.

وأصبح الولع بالبنطلونات الضيقة طويلة وقصيرة لا يعلوها ما يسترها هو حليتها وبغيتها، وظهر البنطلون والچينز والإستريتش الذى يبرز مفاتن الجسد، ليشاهد الشباب كل ما احتجب، ولتثار الغرائز ولتتحرك الشهوات وليهنأ ذئاب البشر.. (إن الفتاة الصادقة فى إيمانها تشعر بالخجل من الثوب القصير وما يوحى به).

ويقولون اليوم: إن البلوزات ارتفعت إلى أعلى والبنطلونات الضيقة نزلت إلى أسفل.

ومن الطريف ما نشرته جريدة الأهرام فى مصر فى ٢٠٠٣/٦/١م بعنوان: «البنطلونات سبب مشاكل العالم»، أن الملك هوانى ملك سوازيلاند وصف النساء اللاتى يرتدين البنطلون بأنهن السبب فى مشاكل العالم وأنه شىء بغيض عند الله، وهذا الملك هو آخر ملوك إفريقيا السوداء.

وفستان السهرة إذا كان هناك حفل فى المساء فيجب إعداد الزى المناسب الذى يؤثر فى الحضور، ولن يكون ذلك إلا بكشف الأكتاف والظهور والصدور..!!

وإن لفتاة الغرب عذرها فى كونها كاسية عارية؛ لأنهم هجروا الدين وحرموا من نعمائه، والكنائس هناك اليوم لا يغشاها سوى العجائز. أما عندنا، فقرآن عجب يهدى إلى الرشد يتلى على مرور الدهور، ينهى المرأة عن السفور: ﴿يَا أَيُّهَا

النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾[الأحزاب: ٥٩]. فزيها عاصم لها من افتراس الذئاب، وهو أكره ما تكره فى حياتها حين يطمع الذى فى قلبه مرض فيفعل بها ما يفعل ويوردها مورد الردى.

نعم، فقد استمرت فى التقليد حتى بلغت منتهاها، فخلعت ملابسها كلها إلا ما يستر «السوءة» كورق التوت عند الشواطئ والبحيرات فى «الشاليهات»، وعلى الرمال الناعمة، تمامًا كما فعلت المرأة الغربية، فشواطئ البحار بزعمهم لا تحتمل أكثر من هذا[(١)]!!

وصارت تغدو وتروح أمام المصطافين وأولى الإربة من الرجال، تغرى الطامعين من الذئاب وتثير المعوزين الذين لا يستطيعون الباءة منكم، وهكذا تفتضح العورات من مسلمات تحت ستار التمتع بمياه البحر، تلك الموضة التى ضربت السلوك الإسلامى فى مقتل.

ولقد صدئت الحاسة الإسلامية لدى أوليائهن فأصبحوا لا يجدون حرجًا فى التعرى البدنى والدينى، ولو أمام من تتأجج عندهم نار الشهوة وعز عليهم الزواج.

هل فى ذلك أدنى تقدم فى منهج التربية الذى يرخص للفتاة أن تخلع ثيابها فى غير بيتها، ويقبله ضعاف الحاسة الإسلامية عندنا بقبول حسن؟

ليكن معلومًا من الدين بالضرورة أن مبادئ الإسلام تحرم على المرأة المسلمة دخول الحمامات وتعرية بدنها حتى أمام النساء؛ لئلا تعلم مفاتنها فيصير الحديث عنها أمام الآخرين والأخريات، ومن هنا تأتى المرذولات، يقول المصطفى ﷺ: «**لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى ثوب واحد، ولا المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد**»[(٢)].

حقًا يا رسول الله، لقد بُعثت لتتمم مكارم الأخلاق.

## حجاب الموضة فى قفص الاتهام:

الموضـة: الأجانب اخترعوها واستهلكها نساؤنا. هذا ما يقوله أمريكى معاصر، بالتعليم لقنوها أن سبب تأخرها هو التمسك بالحجاب، فتعلمت كيفية

(١) راجع عبدالله الشبانة المرجع السابق، ص١٣٩.

(٢) رواه الإمام مسلم فى كتاب الحيض، حديث رقم ٧٩٤.

التبرج بالموضات والتفنن فى أساليب الإغراء؛ لتسمع وترى إطراء الرجال لذوقها وجمالها وتحضرها، مع ما فى ذلك من أضرار كثيرة على الصحة؛ كارتداء الكعب العالي وآثاره على الظهر والقدمين، وانشغالها بالموضة يجر إلى إهمالها لأطفالها، فضلاً عن استنزاف الأموال على غير حاجة، مع إماتة الصناعة الوطنية[1].

ألوان زاهية وملابس ضيقة تظهر الخصر والوسط، وتبرز النهدين، قد أخذت المرأة زخرفها وازيَّنت ليبصرها كل غاد ورائح، يصمم الغرب ليبيع أهل الشرق ملابس تصف وتكشف إلى حد يثير الفتنة، تدعو الجميع إلى إطلالة عليها، فهى معرض متنقل للزينة وأصول التبرج المقنع، مع أنها تلبس ثوبًا كاسيًا ولكن تجمع فيه الأعاجيب، تضيق وسطه أو تقعره وتجعله ملتصقًا بالظهر وتلحق به الأشرطة كما تزين رأسها بزينة الكواكب؛ وهو حجاب فى النهاية يراد به إقصاء المسلمة عن آداب دينها كلما جاءتها ريح عاصف من تيارات الموضة، وأخريات يقلدن تعبيرًا عن شخصية متأرجحة فقيرة فى دينها، يضحى ذلك لصالح عارضات الأزياء الأجنبيات، لتكون بضاعتهم تجارة لن تبور، والخاسر الوحيد هو بيت المال أو البيت المسلم.

كم تهجم وتهكم الأديب مصطفى صادق الرافعى وسخر من تهافت بعض الرجال والشباب والنساء على الموضة وعلى كل وافد من الغرب، إن كان غير ملائم لأموالنا وعاداتنا وأخلاقنا سيما بالمولعات بالألوان والأصباغ؛ ليسترن أعمارهن.

إن الإسلام ليهتم بالإنسان ويعترف بحق الفرد فى الظهور بالمظهر الأنيق، ولكن دون تجاوز للمعروف والمألوف.

## مسابقات ملكات الجمال:

ويمضى بنا موكب التقليد الأحمق أو الأعمى أو كليهما معًا، فنغرق فى التقليد فنقيم «حفلات الكوكتيل»، «الحفلات المختلطة» كما يقيمونها، ومنها تلك الحفلات الصاخبة التى تقام لاختيار «ملكات الجمال»؛ تلك البدعة العصرية التى تقاس فيها أعضاء أجسام العاريات بالبوصة والسنتيمتر، لتكون الفتاة المسلمة العربية أجمل وأكمل عارضة لمفاتنها.

(١) المسلمون، العدد ٣٦٦، شعبان ١٤١٢هجرية ٧/٢/١٩٩٢م.

وقد أصبحت هذه المسابقات تعقد فى بعض العواصم العربية والإسلامية، وليشهد ذلك أمة من الناس، ثم تذاع على الملأ فى أرجاء المعمورة لتعرض أوضاعًا مخزية يتبرأ الواقع منها، فهى مسابقات عامرة بالأزمات والمشاكل، أو يقولون إن الأزمات تسافر معهن، والشعوب تعترض دائمًا فهو سلوك مرفوض لا مرحبًا به مهما كانت تموج بزخرف القول غرورا حوله سيما فى أوطاننا، فهو - كما يقول البعض - نوع من فصام شخصية المجتمع. وهل تصبح البنت التى تتميز بالنهدين والأرداف هى القدوة لبناتنا وأبنائنا[1]؟

## لمن تلبس الزوجة؟

سؤال طرحته جريدة الأنباء الكويتية فى عددها الصادر بتاريخ ١٩/١١/٢٠٠٠م وهو تساؤل قد يسبب حرجًا للمرأة؛ لمن تكشف عن جزء من ساقيها أو كتفيها أو نهديها إذا كانت متزوجة؟

فالمرأة الملتزمة تعلم علم اليقين أنها فى أحسن تقويم، ولم تخلق لتكون محط إعجاب الرجال جميعًا ولكن لرجل واحد، مهما تزلف لها الرجل الآخر، ولقد ظلت امرأتنا المسلمة متربعة على العرش أربعة عشر قرنًا من الزمان تتيه بمكانتها على نساء العالمين؛ لأنها تحظى فى رحاب دينها بكل جميل، وصارت امرأة الغرب تحسدها على ذلك، ولكنها حين انخرطت فى موكب المقلدين نقضت غزلها[2].

وكما يقول أنيس منصور[3]: بنات اليوم يرتدين ملابس فى الشارع أقل كثيرًا من تلك التى كانت ترتديها أمهاتهن، بل تخجل الأمهات منها فى غرفة النوم[4]. أو كما يقولون: لم تعد المرأة تخجل - لقد تركت ذلك لأبيها وزوجها وأخيها.

(١) الأهرام العربى، العدد ٢٧٧ فى ٢٣/٢/٢٠٠٢م.

(٢) ملحوظة: كانت هدى شعراوى (وهى المرأة الصعيدية) أول من رفعت الحجاب عن وجهها عام ١٩٢٣ عقب عودتها من مؤتمر نسائى عقد فى روما، وبالطبع أقدمت باقى القيادات النسائية على السفور اقتداء بها، ولم تلبث عدوى التقليد أن سرت من سيدة إلى أخرى ومن بيت إلى بيت حتى عمت معظم المجتمع المصرى. ولم يتوقف الأمر عند خلع الحجاب بل تعداه إلى اتجاه بعض النساء إلى أبعد من ذلك فى تقليد المرأة الأوروبية بارتداء الزى الأوروبى كاملاً، الملبس والقبعة، وكاد يقتصر فى البداية على الطبقة الأرستقراطية، ولكنه زحف إلى باقى الطبقات وانتقل إلى الفتيات الصغيرات وبدأت المصريات يظهرن سافرات فى الحفلات وهن فى ملابسهن الأوروبية.

(٣) الأهرام فى ٩/١١/٢٠٠١م.

(٤) الأهرام فى ٩/١١/٢٠٠١م.

اللهم جمل نساء المسلمين بالعفة والحياء، واجعلهن فى طهارة مريم عليها السلام.

## تغيير خلق الله والتغرير بالآخر:

فهى اليوم تزيل ما كان موجودًا، وتضيف ما لم يكن موجودًا؛ تزيل شعر الحاجبين، وتضيف شعر «الباروكة» فى تحد صارخ للفطرة، وهناك رموش صناعية، وثورة عنيفة على الطبيعة، واستجابة محمومة لأصحاب مصانع أدوات التجميل والمساحيق والأصباغ[1].

ففنان التجميل يستطيع تغيير ملامح سيدة فى ٤٨ ساعة عن طريق الماكياچ وإجراء عملية توزيع جديدة للملامح، سيما عند ماكيير الصفوة، والذى يستخدم الكمبيوتر وبرامجه المستوردة والإنترنت لمتابعة أحدث الصيحات العالمية[2].

وقد نجم عن كل أولئك ضحايا مافيا بيع الجمال.

صبغت المسلمة أظافر اليدين والقدمين بطلاء كيماوى تظن فيه الجمال، متجاهلة ما يجره عليها من أضرار، يحول بين وصول الماء وتلك الأجزاء التى أصبحت امرأتنا تعكف عليها اقتداء بالأوروبيات.

وقد سأل سائل فى مجلة اللواء الإسلامى عن حكم إطالة الأظافر كوسيلة للزينة تتبعها بعض النساء، وكذلك طلاؤها بالكيماويات ثم يؤدين الصلاة، فما رأى الدين؟ فكان الجواب:

قص الأظافر من سنن الفطرة للرجال والنساء، قال الإمام مالك: «أحب الناس مَنْ قص الأظافر وحلق العانة مثل ما هو على الرجال»، وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «**الفطرة خمس: الختان والاستحداد** (الاستحداد: استعمال الموسى فى حلق العانة) **وقص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط**»، وأخرج عبد الرزاق بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾. قال: ابتلاء بالطهارة خمس فى الرأس وخمس فى الجسد: قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الشعر وفى الجسد: تقليم الأظافر (أى قصها) وحلق العانة والختان.

(١) الهزيمة النفسية ـ عبدالله الشبانة، ص١٣٩.
(٢) انظر مجلة كلام الناس، العدد ٤١٥، ٢٧ إبريل ٢٠٠١م.

ومن أبلغ الأضرار فى استعمال الكيمياء فى طلاء الأظافر؛ حجب الماء عنها بمعنى حجب الحيوية والجمال عنها، ولأن الوضوء يجلب الوضاءة فى كل ما يمسه الماء وهو ما نراه واضحًا جليًا عند المصلين المتطهرين ولو كانوا أفقر الفقراء.

وأخيرًا فهناك تحذير مصرى من أحمر الشفاه الأوروبى الذى قد ينقل جنون البقر وهو تحذير ونذير من نقابة الأطباء البيطريين فى مصر[1].

تلوين العيون بالعدسات:

وكانت آخر التقاليع التى وفدت إلينا تلوين العيون بالعدسات بلون الثياب بوضع العدسات اللاصقة، وكم خدعت الكثيرين؛ فتحول الزواج إلى جحيم.

أما رأى الدين فهو تغيير لخلق الله إذ ينخدع به الإنسان، كالعجوز المتصابية التى تصبغ شعرها لكى تبدو أصغر سنًّا للناظرين، أو الشعر المستعار بما يسمى (الباروكة)، وكم تكون الحقيقة مُرة حين يقف الطرف الآخر على الحقيقة فلا يصلح العطار ما أفسد الدهر، وصاحبة العدسة اللاصقة فى عملها نوع من التلبيس والتغرير لمن يراها أو يقع فى شباكها. وقس على ذلك الرموش الصناعية وكى الشعر بالسشوار وما يسببه من جفاف وصلع بعد حين، مع أن تاج المرأة فى جمال شعرها، وهناك الجراحات التجميلية حيث تتطلع المرأة إلى الخلود والشباب الدائم، وهو سراب خادع.

ما أغنى المسلمة عن كل هذا؛ فالجمال الحقيقى هو جمال النفس المهذبة الذى يلازم المرأة طوال عمرها فلا يسلب منها جمالها.

على الرغم من تعدد وتباين الفتاوى حول جراحات التجميل وإن كانت فى معظمها تؤكد أن معظم الجراحات التجميلية تعد اعتراضًا على قضاء الله وقدره وتغييرًا فى خلق الله، فإن البعض على الجانب الآخر يعتبر تلك الجراحات التى تقبل عليها النساء هذه الأيام نوعًا من أنواع تحقيق التوازن النفسى، ولكن أحيانًا يحدث العكس؛ فقد يحدث التغيير ولكن بكل أسف للأسوأ كما هو الحال مع النجمة السينمائية السمراء التى أصبحت بفعل جراحة تجميلية فى حالة ابتسام دائم نتيجة خطأ فى الجراحة أثر على عضلات الوجه فى منطقة ما حول الفم، ولا يخفى علينا أيضًا حال نجمة سينمائية أخرى أصبحت تغمز لكل من تراه

(١) انظر: جريدة السياسة الكويتية فى ١٨/٢/٢٠٠١م.

بعينها اليسرى، بالطبع لم تقصد الغمز للرجال والنساء والمشاهدين على حد سواء، ولكنه خطأ طبيبها المعروف الذى اعترف لأحد أصدقائه بأنها هى السبب فيما حدث لعضلات عينها اليسرى؛ لأنها أصرت على أن يقوم بعملية شد الوجه بصورة مبالغ فيها أثرت أيضًا على إحدى عضلات العين.

على أية حال، فجراحات التجميل قد انتشرت فى السنوات الأخيرة بين الفتيات والنساء؛ نتيجة لانتشار الفضائيات ووسائل الإعلام المتعددة، وأحدث جراحات التجميل المنتشرة الآن ويتزايد الإقبال على إجرائها مع حلول فصل الصيف هى جراحة نفخ الشفاه، وتلك الجراحة بدأتها نجمات هوليوود؛ تقليدًا للشفاه الإفريقية الغليظة، وهذا أمر أصبح فى متناول الكثيرات، فمن الممكن أن تحصل المرأة على شفاه غليظة إما عن طريق الجراحة، أو ما يسمى بالنفخ، فالجراحة تتم بأن يقوم الطبيب بزرع مواد داخل الشفاه، أو بمواد دهنية من جسم المريض إما من منطقة البطن أو الفخذين أو الأرداف وبعد معالجتها يعاد حقنها فى الشفاه، وأحيانًا تأتى عملية الحقن هذه بنتيجة عكسية تظهر طالبة الجمال بأنها تعانى شللاً نصفيًا فى وجهها، وعندنا اليوم كثير من النساء سيما الفنانات المتيمات بجراحات التجميل ونفخ الشفاه.

## المسلمة تذهب إلى الحلاق:

اللمس المحرم، والخلوة المحرمة؛ ظلمات بعضها فوق بعض.

محبوبتى، احذرى مراكز التجميل، التهمت أموالى.. ودمرت بشرتى، هذا نذير، وما تغنى النذر، توجهه الفنانات الشابات؛ حفاظًا على البشرة وتاج المرأة وهو شعرها[1].

نعم، الجمال هو أمل المرأة الدائم، ولكن الرجل العامى ينكر على ابنه أن يعبث بشعر أخته، فكيف يرضى لزوجته هذا العبث؟! نعم إن المرأة من حقها أن تتزين لتكون فى أبهى مظهر لها، ولكن شريطة ألا يكون ذلك إثمه أكبر من نفعه، يقول رسول الله ﷺ: **«لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فاستحلوا ما حرم الله بأدنى الحيل»**[2].

فالمرأة حين تذهب إلى الحلاق تسلم نفسها له لكى يصب عليها من الأصباغ

(١) ملحق الجمهورية، العدد الأسبوعى، محبوبتى ٤/١٠/٢٠٠١م.
(٢) انظر تفسير القرآن العظيم جـ١، ص٥٧.

والمساحيق، يتحسس وجهها وهو أجنبى عنها، ويضع العطور على بدنها ويجدل شعرها أو يلفه، ناهيك عن أضرار المساحيق وكى الشعر بالهواء الساخن الذى يصيب بالصلع المبكر. ولا يخفى على أولى الألباب وفى أعين رجال الآداب أن بعض هذه المحال التى تذهب إليها المرأة محوطة بالشبهات، فالزوج الغيور يصرعه التقليد الوافد، كلا، فكيف يسمح المسلم لزوجته أن يخلو أجنبى بها فى محل قد غلقت أبوابه، ليعبث بشعرها ويتحسس وتنكشف له بعض مفاتنها وعوراتها باسم تجميلها، والحكمة: «لا تعر زوجتك لغيرك». فإلى أى مدى وصل التفريط؟!

كم تنفق المرأة على الحلاقة وبيتها عورة، فهى أحوج إلى الدرهم والدينار، أما عن رأى الدين فذلك ما نفصله فى الفصل الثالث عند الحديث عن الحلال والحرام.

نعم.. شريعتنا فيها من السعة والرحابة ما لم يوجد فى أى شريعة أخرى، فيجوز للمرأة تصفيف شعرها على يد امرأة مثلها مأمونة الخلق، وأن يكون ذلك للحاجة، وأن يكون التزين لزوجها، فهذا العمل عمل غير ضار بذاته، وأهم الضوابط هنا أن يتحقق خلو المحل من الرجال الذين يظهرون على عورات النساء، وألا يغشاه من عرف بسوء السمعة، وألا يعرض فيه ما يخل بأحكام الشرع الشريف.

وقد كتب دسوقى عمارة: كانت الفتاة قد دخلت الكوافير لتصفيف شعرها وقام صاحب المحل بعمل حمام زيت لشعرها استعدادًا لتصفيفه ثم خرج من المحل فجأة وأغلق خلفه الباب فقام صديقاه بتجريدها من ملابسها وتناوبا الاعتداء عليها[1].

وهذه الصالونات، البعض منها مروج للمخدرات بأنواعها، وهو مكان تجمع سيئ للنساء يزخر بالغيبة والنميمة وكشف العورات، بل ضبطت الأجهزة الأمنية بعض هذه الصالونات فى بعض الدول حين تتحول إلى أماكن للفجور.

وما هو أدهى وأمر أن كثيرًا من النساء يخلعن ملابسهن فى ذلك الصالون للتدليك؛ فالتدليك يستلزم خلع الملابس وانكشاف العورات.

(١) انظر: كتاب اللباس والزينة، سمير بن عبدالعزيز، ص٦٢ وما بعدها.

## المـرأة حـلاق للرجـال[1]:

لا نعترض على الجديد مادام مجديًا، أما أن تقوم المرأة بتصفيف شعر الرجل فذلك لا مرحبًا به؛ لأن مجتمعاتنا حارسة للفضائل، حامية للحرمات.

فيحرم على المرأة أن تلامس بدن الرجل الأجنبى من غير المحارم إلا لضرورة، وكذلك الرجل لا يلمس بدن الأجنبية إلا لضرورة؛ حماية للطرفين وضبطًا للشهوات ودفعًا للشبهات. فكم تجر علينا أمثال هذه الموبقات من ضروب التطور الهابط الذى يسوق الشباب إلى الخنا والمرأة إلى الفسق المبكر.

ألا يوجد فى المجتمع من القادرين والجديرين العاطلون من الرجال بالملايين؟!

## آخر البدع الغربية: دق الوشم على أجساد الفتيات

كتب أحمد شعبان فى جريدة عقيدتى[2]:

انتشرت هذه الأيام بين الشباب ظاهرة غريبة على مجتمعنا الإسلامى وهى دق الوشم الذى اتخذ شكلاً جديدًا من حيث المكان الذى يتم فيه الوشم حيث تسلل إلى صدور الفتيات وبطونهن مما يعرضهن إلى كشف عوراتهن أمام من يقوم بتلك المهمة التى نهى الإسلام عنها؛ حيث لا يصح أن تكشف المرأة عورتها إلا أمام زوجها.

والغريب أن معظم محال (الكوافير) خصصت قسمًا خاصًا بها لدق الوشم وبأسعار باهظة.

ويتجمع الشباب فى حفلات الأندية أو الجامعات ومعهم الواشم حيث يرسم على أذرع وصدور الشباب والفتيات الرسوم المرغوبة، ويتم تقاضى الأجر لكل منظر، ويتسابق الشباب والفتيات عليه.

وهاكم شابًا قام بعمل الوشم بصبغة الشعر؛ لأن لها ألوانًا مختلفة بعكس الوشم الأخضر المعروف، ويقول إنه عرفه بعد لقائه مع موزع إعلانات أمام أحد المطاعم وكذلك فى بعض صالات الديسكو.

---

(١) اللواء الإسلامى فى ١ أكتوبر ١٩٩٢م، ص١٤.

(٢) سمير عبدالعزيز، كتاب اللباس والزينة، ص٦٢ وما بعدها.

وتلكم فتاة تقول: إنها تعرفت الوشم من خلال إعلان عن مركز تجميل، وتضيف أن الموضة الآن بين البنات هى الوشم على البطن والصدر والرقبة وخلف الساق.

ويأتى إلى مركز التجميل الذى يعمل به الكثير من الشباب والفتيات لدَقِّ الوشم (بالماكينة)، وتتراوح أعمارهم بين ١٤ و١٦ سنة، وهى تقوم بطبع الوشم على الجلد بدلاً من طريقة دق الوشم، لكن بعض الشباب ممن يقدم على الزواج يعودون إلى المركز لإزالة الوشم خوفًا من انتقاد الطرف الآخر، ويقوم بعض الشباب باختيار وشم الفرق الأجنبية ليتم تمييزها فى صالات الديسكو. وهذه أخرى، طالبة ذهبت إلى أحد الأندية لحضور احتفال فوجدت سيدة ترسم الوشم وتوافد عليها أعضاء النادى، فوقفت أمامها لتشاهد الشباب وهو يدق الوشم وتتعجب من التقليد الأعمى للغرب بدلاً من التقليد فى التقدم..!!

ثم ذكرت الجريدة أن الوشم استعمله الأوروبيون والهنود الحمر والرومان والأفارقة لإرضاء الآلهة والتعبير عن الحب وإثبات قوة الشخصية وغير ذلك، وهو يستخدم الآن فى الأفراح.

أما عن الأثر الطبى لدق الوشم على الجلد فإن المواد الغريبة التى تدخل الجلد تؤدى إلى حساسيته، وإذا احتوى على مواد بترولية يؤدى إلى سرطان الجلد وتليّفه، والوخز بالإبر يؤدى إلى نقل أمراض الكبد الوبائى والإيدز وغيرها.

وأخيرًا فإن الوشم هو تغيير لخلق الله وهذه كبيرة من الكبائر.

## مصافحة الرجال [1]:

الخبراء والعلماء والعوام يعلمون علم اليقين أن المصافحة باليد تفضح العواطف سيما بين الشباب والفتيات[2] وهو أمر مما تعم فيه البلوى، ومن يحرمه فى البلاد التى اكتوت بنار الغزو الفكرى متهم بالرجعية نتيجة صدأ الحاسة الإسلامية لديهم، والاستسهال الدينى الذى عم تلك المجتمعات.

إذا كان المسلم يحرم عليه النظر إلى المرأة الأجنبية فهل يجوز له أن يصافحها ويتحسسها ويلمس يدها وقد يتلذذ بها؟ لقد انتشرت بيننا تلك العادة حتى أصبحت عرفًا سائدًا وصار من يخالفها كما أسلفنا متهمًا بالشذوذ المسلكى، وذلك بسبب تمكن الغزو الفكرى وما تلاه من غزو سلوكى أجنبى،

(١) مجلة آخر ساعة، العدد ٣٥١٦، ١٣ مارس ٢٠٠٢م، ٢٩ من ذى الحجة ١٤٢٢هـ.
(٢) انظر مجلة المصور، فى ٣٠/١٢/٢٠٠٥م، مقال نهى بلال.

والرجل الغيور يدرك بحسه أن الإسلام خير عاصم لزوجته الشابة حيال من فى قلبه مرض، فيغار أن تضع زوجته يدها فى يد شاب آخر، ولو كان ذا قربى مادام من غير المحارم، كما أن المرأة الغيور لا ترضى لزوجها أن يصافح امرأة أخرى أكثر جمالاً، فيدها جزء منها، سيما إذا طالت مدة المصافحة، وكثيرًا ما تطول.

إن المرأة يطلب يدها واحد فقط، هو من يفوز بالزواج منها، أما أن تمد يدها لكل طالب، فذلك مخالف للعرف الإسلامى، وقديمًا قالوا عن بغايا اليهود إنها كانت لا ترد يد لامس لها.

ومن الطريف فى هذا الصدد أننى حين كنت وكيلاً للنائب العام بالمنوفية جاءتنى إحدى الموظفات بالنيابة تمشى على استحياء وتتبعها واحدة تلو أخرى تشكو رئيسها الإدارى أنه اعتاد كل صباح أن يصافح الموظفات وكن تسعًا، ويصرح إثر ذلك بأنه يعرف الحسناء من غيرها من ملامسة يدها، وقد نقل ذلك الموظف على الفور.

ولاتزال تطلع فى مجتمعات الجزيرة العربية التى لم يداهمها الغزو الثقافى الأجنبى على أن المرأة لا تصافح الرجل من غير المحارم وهو ما كان موجودًا فى المجتمعات المحافظة كمصر مثلاً منذ عهد ليس ببعيد، سيما فى الريف.

**ما ترك المسلم شيئًا لله إلا عوضه الله عنه خيرًا منه.**

وإذا كان الشرع الشريف قد أمر الرجال بغض البصر عند النظر للأجنبية، فهل يأذن بمصافحتها والإمساك بجزء من بدنها قد يستشعر معه الرجل اللذة والشهوة أحيانًا؟ وهنا يقولون فى الحكمة: إن كثرة الانحناء تؤدى إلى الكسر. إن مصافحة المرأة الأجنبية والإمساك بيدها لفترة قد تطول هو نوع من مقاربة الزنا والذى حرمته الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾، فهناك فرق بين اقتراف الزنا ومقاربته، واللمس نوع من المقاربة.

إن مصافحة الرجل للمرأة الشابة إما أن تكون مقرونة بشهوة وعندئذ تكون محرمة شرعًا؛ لما قد يؤدى إليه من عواقب وخيمة، وإما أن تكون غير مقرونة بشهوة ولذة وفى هذه الحالة تكون مكروهة أو خلاف الأولى لما فيها من مخالفة للسنة، ولنا فى الرسول ﷺ أسوة حسنة، فلم يؤثر عنه أنه صافح امرأة أجنبية.

حافظ على يد امرأتك فهذا أصون لها وأعف من كل آفة سلوكية غريبة، إن أخلاق دين القيمة والأخذ بها واتباعها لا تسبب حرجًا أو ضيقًا إلا عند ضيقى الصدر، وضيق الصدر من شأن الضعيف.

## انتساب المرأة لزوجها:

كل فتاة بأبيها معجبة، فهل تفقد اسمه عند اقترانها بقرينها، أى طمس للحقائق وأى تزوير فى الأعراف والأوراق الرسمية؟ لكنها المدنية الغربية!!

فيقال مثلاً: (جاكلين كينيدى) والاسم الأخير هو اسم عائلة الزوج، فهل يكون الزوج زوجًا وأبًا فى نفس الوقت؟ تلك دعواهم، وإذا توفى زوجها الأول واقترنت بآخر فسرعان ما تحمل اسمه على الفور، وسادتنا وكبراؤنا سارعوا إلى التقليد، فالتقليد عندهم عذب فرات؛ لأنه الاقتداء بالأجانب ودليل على علو الطبقة، ولكن من حسن الحظ أن المقلدين عندنا يقلدون فى المظهر دون الجوهر؛ إذ تظل الزوجة من الناحية الرسمية حاملة اسم أبيها، وإن كان ينادى عليها باسم زوجها، وهذا يفسر أننا أمة تحمل بين طياتها خصوصية حضارية، وأن التقليد عارض أو عرض لمرض الغزو الفكرى.

وفى هذا يحدثنا هادى البشرية رسول الله ﷺ عن أفرى الفرى أو أكذب الكذب أو أكبر الكبائر أن ينتسب المرء لغير أبيه وهو يعلمُ أباه، وما يصدق على الرجل يصدق على المرأة، وقد نهى القرآن الكريم عن مثل هذه الرذائل بقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

وهنا يسخر الأستاذ أنيس منصور فيقول: لماذا تأخذ الزوجة اسم زوجها؟ لأنها قد استولت على كل شىء[١].

## المسلمة فى مقعد الرجال:

يقولون إن المرأة قادرة على القيام بأى عمل يقوم به الرجل إلا الصمت، ويقول الأستاذ أنيس منصور: إن المرأة العاملة لا هى عاملة ولا امرأة فهناك نوعان من الرجال، الرجال والمرأة العاملة[٢].

إن المرأة لا توضع الآن حيث تدعو الحاجة إلى أن توضع، ولكنها توضع لإثبات وجودها ولإقحامها على كل ما كان العقل والعرف ينادى بعدم صلاحيتها له، وخلقت المبررات التى تجعل انسلاخنا من إسلامنا وعروبتنا أمرًا واقعًا للدخول فى دين الملك.

(١) الأهرام المصرية فى ٢٩/٦/٢٠٠١م.
(٢) الأهرام فى ١٢/٤/٢٠٠٢م.

وفى جريدة «إستيرن ميل» نشرت كاتبة إنجليزية مقالاً يقطر حسرة وأسى قالت فيه بالحرف الواحد: «إننى أتمنى أن تسير بلادنا على نظام الإسلام، ولأن يشتغل بناتنا خوادم فى البيوت أو كالخوادم خير لهن وأخف بلاء من اشتغالهن فى المصانع والمعامل التى تذهب بجمال أنوثتهن. ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفة والطهر؛ إذ الخادم والرقيق يتنعمان بأسعد عيش، ويعاملان كما يعامل أولاد البيت، ولا تمس الأعراض بسوء، فما بالنا لا نسعى لجعل فتاتنا تعمل فيما يوافق فطرتها، وتدع أعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها؟!».[1]

وهنا يقول الأستاذ أنيس منصور: المرأة العاملة أنثى أحيانًا، رجل معظم الوقت[2]. منافقون من يقولون إن المرأة لم تحصل على كامل حقوقها. بل هى نالت أكثر مما تستحق.

إن الفروق الفردية بين الرجل والمرأة هائلة جدًا، وليس الذكر كالأنثى، فطرة الله التى فطر الناس عليها، ولكن المرأة دخلت عالم الاسترجال ولم تأبه لطبيعتها، وما أصاب عقلها من تشتت بين البيت والعمل، ولم تأبه للضحية وهم الأبناء، والجناية على الجيل.

نعم لعمل المرأة، ولكن فى الإطار الذى يحفظ كرامتها ويصون عفافها وأنوثتها، فهناك مجالات للرجل ومجالات للمرأة، وبينهما برزخ لا يبغيان، فإذا دخلت المرأة عالم الاسترجال فماذا بقى للرجال وماذا بقى للمرأة؟

إن الخلل الذى أصاب المجتمعات الغربية فى هذا المجال أصابها بأضرار وخيمة شتى؛ منها البطالة، والتفكك الأسرى وانتهاء عصر الترابط، وشرعت بعض المجتمعات العربية والإسلامية فى المحاكاة لتتجشم المرأة أرتالاً من المتاعب والمصاعب تتصادم مع رسالتها التى أهلت لها. ومن ذلك:

### ( أ ) الآنسة ضابط شرطة[3]:

من الذى يرضى لفتاة أو امرأة حسناء أن تحمى الرجال، وتهبهم نعمة الأمن، هل أمنت المرأة نفسها لتؤمن هى غيرها؟

نعم، الجندية واجب يطوق أعناق الجميع، ولكن ليس الذكر كالأنثى، لقد أصبحت

(١) عبد الله الشيبانى، المرجع السابق، ص١٦٢. (٢) الأهرام فى ٢٠٠٣/٨/١٥م، ٢٠٠٥/٢/٢٥م.
(٣) انظر: مجلة زهرة الخليج فى ٩ يناير ١٩٩٩م، الآنسة ضابط شرطة.

المرأة ضابطًا فى الجيش أو فى الشرطة، وهى تجربة باءت بالفشل حسبما أوضحته التقارير والدراسات التى أفادت أن فتاتنا ليس لديها الاستعداد الفطرى لخدمة قضايا العمل الأمنى، فانزوى التقليد فى مجالات إدارية لا شأن لها بالأمن.

نعم، للمرأة دورها فى سجون النساء، والتفتيش فى أماكن التفتيش وإجراء البحوث ومتابعة سلوك الأحداث والقيام بخدمات اجتماعية وتربوية، ولكن إلى هذا الحد المحدود، فهى لا تستطيع أن تنافس الرجل فى مطاردة المجرمين وإطلاق النيران على العتاة.

هل حدث فى بلادنا العربية نقص فى عدد الذكور فنستعير من الإناث لإكمال مهمة الرجال، أو هو تقليد نستجديه من الغرب باسم المساواة وإن لم يكن أهدى سبيلاً؟ هل نجح الغرب فى تعقب الجناة وأكابر مجرميه بفضل المرأة واختراقها للعمل فى الشرطة؟!

إلى هذا الحد نسمح للتقاليد الأجنبية لتهدم الأعراف الإسلامية التى تأبى أن تمكث المرأة لساعات طوال فى العمل خارج المنزل سيما إذا كانت حسناء، وما شأنها إذا كانت حاملاً وحملها ظاهر، هل هذا يتناسب مع مظهر السلطة فى المجتمع؟ هل يجوز فى العرف الإسلامى أن تجرى تفتيشًا للرجال وفى حجرة مغلقة كما يفعل فى الغرب؟ وقد أعجبتنى تصريحات بعض كبار المسئولين فى بلد كمصر عن فشل هذه التجربة والتى يجرى الآن تطبيقها غداة إشهار إفلاسها[1].

إن البطولة معقودة للرجال منذ القدم، ولكن معناها قد تأرجح فى هذا الزمان، فصار الفنان بطلاً والفنانة بطلة، فماذا بقى للمحاربين ورجال الشرطة وهم رمز البطولات والتضحية فى كل المجتمعات؟! ومن الطريف الذى يؤثر فى هذا الصدد خبر تناقلته الأنباء العالمية بالنسبة للجيوش تحت عنوان «جنود يدبرون مكيدة لقائدتهم» وتفصيل القصة: الأوامر العسكرية تحتم هناك الفصل بين الجنسين فى الثكنات العسكرية آناء الليل، وقد أفادت الصحيفة أن نفرًا من الجنود أرسلوا واحدًا منهم إلى موقع القائد وكانت أنثى، وأوصوه بأن يتلطف معها لإغوائها وإقامة علاقات حميمة معها، بينما ظل الآخرون خارج الثكنة يراقبون على سلالم متحركة من أجل رؤية ما يدور فى الداخل، وقد انفجروا بعدما شاهدوا ما وقع بينهما من حب وغرام، ولكن قائد القاعدة كان قد أقبل مما جعلهم يولون الأدبار فسقط واحد منهم على الأرض وكسرت ساقه.

---

(١) الأهرام فى ٢٥/١٠/١٩٩١م.

نعم:

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له    وهن أضعف خلق الله إنسانًا

إن المرأة المسلمة تصنع الرجال والنوابغ والأبطال، تلك هى رسالتها وهى أجل رسالة لها.

## (ب) المرأة تعتلى المنصة:

نعم، هى مثقلة إلى حملها، فهل يحمل منه شيء، أم نزيد عليه بدعوى المساواة بين الجنسين؟ وعلى الفور حين شرع الغرب فى تقليد النساء أمر القضاء قلدت بعض الدول الإسلامية كتركيا والعراق وبلاد الشمال الإفريقى، مع أن القضاء يؤرق بالها ويحرج زوجها وبيتها حين تخرج للتحقيق فى آناء الليل، فهل هذا تحرير للمرأة أم تبوير؟ مع ما جبلت عليه من تغليب للعواطف وسرعة الإثارة سيما فى فترة المحيض، وما يدريك هل تحتفظ بصوابها حين ترى المجرمين والعتاة وسفاكى الدماء وجهًا لوجه، أو حين ترى الدماء تنزف من ضحاياها، والجثة أو الجثث تفوح بالروائح الكريهة؟

حسنًا فعلت مصر حين جرى العرف فيها على تجنيب المرأة أعباء القضاء وإراحتها من عناء تلو عناء؛ إذ القاضى ينظر فى اليوم أحيانًا مائتين بل ثلاثمائة لا بل أربعمائة قضية، فهل نزج بالمرأة فى هذا الخضم، وتدخل المحراب بدعوى التحضر والعصرية لتهدم كيانها الأنثوى؟

إنها هموم وشقاء وعناء تلك هى مهمة القضاء؛ ولذلك رغب عنها كثير من العلماء، فهل ترغب فيها النساء؟ لا بل إن الذى يتبوأ منصب القضاء لا يرجو لبنيه أن يدخلوا فى محرابه؛ فهو عبء ثقيل وكد وعناء.

إن القضاء قديم قدم الدنيا، والقضاء تلو النبوة، وما كانت هناك امرأة نبيًا، ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين أن المرأة تغشى مهمة القضاء لتتولى فصل الخطاب، فهو أمر يكلفها فوق طاقتها، ولايزال فى الطب ميدان الجراحة بعيدًا عنها مع أن المرأة أقرب إلى مهنة الطب.

أذكر أننى حين كنت مبعوثًا إلى فرنسا للاطلاع على أنظمتها القضائية أشترك فى جلسات التحقيق التى كانت تقوم بها قاضية شابة تقوم بالتحقيق فى جريمة

هتك عرض أنثى واغتصابها، وطلبت من المجنى عليها ومن المتهم أن يشرحا تفصيلات ما حدث بالدقة، فهل الفتاة العربية والشرقية التى جبلت على الحياء يليق بها هذا؟ لماذا نفقد خصوصيتنا مرة واحدة؟ مرحبًا بالمعجزات دون المنكرات فى ميدان السلوكيات.

حقًا كما يقول الأستاذ أنيس منصور لقد فشل كل المصلحين فى أن يجعلوا المرأة رجلاً.

وحقًا ما قاله كونفوشيوس[1]: «لا يجوز للمرأة أن تأمر وتنهى فإن عملها مقصور على أعبائها المنزلية فهى مثقلة إلى حملها، ولابد من احتجابها فى البيت حتى لا يتعدى خيرها وشرها عتبة الدار».

ومهما قيل يا رجال العالم اتحدوا فالنساء قادمون يزاحمون، وهنّ على وهن، والمحيض شاهد عليهن، ولكنها المكابرة، واختلال المنظومة الفكرية لنا، والجميع فى غمرة ساهون.. ساهون عن أن عمل المرأة وراء بطالة الرجال فى أغلب الأحوال.

وقد حدث فى أثناء انتخابات البرلمان (مجلس الشعب) فى جمهورية مصر العربية عام ٢٠٠٥ أن وضعت إحدى عضوات الهيئات القضائية حملها فى اللجنة قبل الأوان وكانت منتدبة لرئاستها؛ لما تجشمته من كبد ومتاعب ومصاعب أثناء القيام بعملها، وقد أسرَّت الندامة بعدها على اشتراكها فى العملية الانتخابية.

حقًا ما يقولون، لماذا يعترض الرجل على اشتغال المرأة؟ لماذا لا يتركها تشرب من نفس الكأس؟[2]

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِى الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨].

كم هى تتجرع فى حياتها العملية؛ ولكن لا تُسِرُّ بذلك إلا لأخواتها حين تقتحم أو تلج محرابا غير محرابها.

---

(١) الأهرام فى ٩/٤/٢٠٠٤م.
(٢) الأهرام فى ٢٥/٢/٢٠٠٥م، أنيس منصور.

## الفرع الثانى

## شبابنا المزركش.. الغرب مولاهم

### الشباب وقابليته للتأثر:

الإسلام كمبدأ عام لا يمنع أن يكون الشباب المسلم مثل الأوروبى لامع الشعر والنعل، حسن الهندام، يتأنق فى الحديث، ويتلطف مع الآخرين، ويوزع البسمات والتحيات بأدب جم، ويتكلم بلغته ولهجات قومه[1].

ولكنا نرى الآن كثيرًا من الشباب العربى فَقَدَ توازنه النفسى وصارت تستهويه (التقاليع) والتقاليد الغربية، وطفق يأخذ من هذا وذاك دون تمييز بين الغث والسمين، فأصبح تفكيره يحفل بأفكار مشبوهة عن العلاقة بين الجنسين، ويزخر بتخيلات تفوق ما يسمع عنه أو يقرأ، وقد وصل التقليد إلى تطويل الأظافر التى تحمل الأوساخ والأدران، وتركها دون تقليم مخالفة للفطرة، وأصبح الرقص الغربى لونًا من ألوان (العياقة) والرقى، ناسين أنه رمز للتخنث والفجور والفسق حيث تتلاصق أجساد الرجال والنساء، بل إنه فى بعض البلاد الإسلامية أصبح خروج الفتيات فى صحبة الفتيان من الأمور الطبيعية التى يتجرعها بعض الآباء ولا يكاد يسيغها أو يستسيغها، باعتبارها جانبًا من جوانب النمو النفسى والجسمى للمراهق، على الرغم من أن علم النفس أثبت أن الغريزة لا يمكن قتلها أو إخفاؤها أو التسامى بها عن طريق الاختلاط.

إنهم دعائم الأمة وعماد نهضتها، ولكن من يذهب منهم إلى الشرق الشيوعى يعود متيمًا، ومن يمكث فى الغرب الصليبى يرتد مفتونًا ومنبهرًا.

نعم أجيالنا منهم الصالحون ومنهم دون ذلك، والإنسان يميل عادة فى بداية تكوينه الفكرى والعملى والأخلاقى إلى المحاكاة، وقد أضحت مغريات العصر تجاوز مدارك الشباب، فالتقدم الحضارى المادى قد انطلق، بينما الفجوة الثقافية هائلة وماثلة. والتأثير الأجنبى يستهدف شبابنا بصفة خاصة.. يريدون أن تنقطع الصلة بماضيهم، فلا يريهم إلا ما يرى، مع ملاحظة مهمة أن شباب الغرب إذا انغمس فى الموبقات فلا تزال تطلع على إيجابيات كثيرة لهم تجعل المسيرة

(١) محمد الغزالى، الجانب العاطفى من الإسلام، ص١١٢.

متواصلة، أما عندنا فالسلبيات ثقلت موازينها، وصارت إيجابياتهم تتوارى من القوم، وصار الاهتمام بالشعر والنعل، أو كما يقول الشاعر حافظ إبراهيم:

قيمة المرء عندهم بين ثوب ... باهر لونه وبين الحذاء
إن قومي تروقهم جدة الثوب ... ولا يعشقون غير الرداء

شاب فارع فارغ، ذلك هو المثل الأعلى الأمريكي، فهل شبابنا على آثارهم مقتدون؟ نعم صار الغرب مولاهم، فجماهير غفيرة غيبوا عن الوعي الديني، ألفوا آباءهم ضالين، فأصبح كل وافد من الغرب مبهرًا لهم، وأصبح الغرب قبلتهم، واأسفاه في المظهر دون الجوهر، وفي القشور دون اللباب، حتى إنه لو أصبح النظر إلى القذر عادة أو عبادة عند شباب الغرب لطفق أبناؤنا مقتدين ومقلدين، وأول العابدين كذلك هم عبدة الشيطان أبناء المترفين.

جماهير عريضة منهم لاهية قلوبهم، سيما من أبطرهم الترف الممقوت لا الممدوح، فأصبح التمرد على المعروف مألوفًا، وإذا تزين شباب الغرب بأساور من فضة يحلون بها فعندنا تبع لهم، ناهيك عن السلاسل الذهبية في الأعناق التي تفقر الاقتصاد الفقير، والتي لو جمعت لتكاد تنشئ اقتصاد دول بأسرها، وحقًا ما يقوله المفكرون: إن أهم ما يميز الشباب في هذه الأيام أنه بلا مزايا، أين هؤلاء من سلفنا الصالح الذين كان الواحد منهم يعدل أمة؟

## الشباب العربي يتبختر بالشورت الغربي:

هل تغير الزي القومي أم أصابته نكسة؟

فوجئت في زيارة عائلية يومًا ما بشاب فارع فارغ يخرج علينا في بيته بالشورت مكشوف الفخذين أمام الأسرتين، مع أنه من أصل ريفي ومن صعيد مصر حيث القيم راسخة، مع أننا نذهب إلى بلاد الغرب في أبهى حللنا والتي نضن بها على بلادنا، ولكن الشباب الغربي إذا قدم إلينا يكاد يمشي عريان الفخذين، وكم من المعجبين به والمتيمين، ولا يستطيع شاب عربي هناك أن يظهر بالشورت الغربي.

يا لها من نكسة لأعرافنا ولطمة لقيمنا، وإن من أشر الناس من لا يعرف المعروف أو ينكر المنكر.

هل يجوز لرجال الغد وأبطال المستقبل تقليد السائحين الذين يفدون إلى بلادنا موصومين بالعرى البدنى؟

هل شيم الإسلام وقيمه قد أعطت رخصة للشباب العربى أن يتبختر كالأخطل أو الأهطل فى مجتمعه الإسلامى، يجوب الشوارع والطرقات مكشوف الفخذين عارى الركبتين ويقابل الأصدقاء والصديقات ويصدم العرف الإسلامى؟ هل تستوى ملابس الشاطئ بملابس الحضر؟ هل هؤلاء شبابنا الذين سندخل بهم سباق التسلح، فإذا هم سبقوا إلى سباق (التشلح)؟

هذا هو الفاروق عمر بن الخطاب أمير المؤمنين كانت فيه الجلالة فى أسمى معانيها فى بردة كاد طول العهد يبليها، فلا يا أتباع محمد ﷺ، إن تقدم الغرب لم يأتِ من ارتداء الشورت، وإنما من ثقافته وإيجابيات تفوق السلبيات، ويوم انكشفت عوراتهم صارت تضعف من رصيدهم الذى كان لهم.

## قصات شعر غربية:

وانتقلنا من الشورت القصير إلى تسريحة الشعر التى تفد إلينا عبر الشاشات والفضائيات مثل (الكابوريا)، فتلك قصة من المارينز، فإن قصروا شعورهم قصرنا، وإن أطالوه بغير ترتيب أطلناه، وإن ضفروا ضفرنا، وإن صبغوه قلدنا، وإن أرسلوه إلى الكتفين فعلنا، وإن أرسلوه إلى اللحى أو أطالوا سوالفهم اقتدينا، وهذا دأب الإمعات، ناهيك عن ملابس تحط من قدر الرجولة، وهنا لعن رسول الله ﷺ: «الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل»، ويقول القرآن الكريم: ﴿. . . يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

## أتباع جاكسون:

وقد صار أتباع جاكسون المفتونون اليوم بالملايين، ووقر فى أذهانهم أن ذلك هو التقدم بعينه، وكم ينتظر الكثيرون يوم رأس السنة الميلادية بفارغ الصبر لكى يذهبوا بعيدًا فى الخروج على المألوف وارتكاب المنكرات والهزل الرخيص.

إن الأمة إذا أرادت النهوض فى كل ضروبه فإنها لا تنهض وتحارب بالراقصين والراقصات، وإنما بالسواعد الفتية والإيمان الصادق والعلم النافع

المواكب للعصر. فحينئذ يكونون أُولِى قوةٍ وأولى بأس شديد، فتفتح لهم أبواب السماء وأبواب النصر.

تقارير الخبراء في بريطانيا طالعتنا فى حسرة شديدة أن ثلث الشباب هناك تحت سن العشرين قد ألفوا تعاطى نوعٍ من المخدرات، ويعزى ذلك إلى حفلات الرقص التى تمتد طوال الليل حتى يصير مغمورًا أو مطمورًا[1].

واليوم وفى كل المناسبات السارة وحفلات الميلاد تكاد تغتالنا التقاليد الغربية، كمدخل لهزائم المسلمين، تفتح أبواب الخلاعة والميوعة على الديسكو والموسيقى الصاخبة وما يصاحبها، وليشيع كم التفاهة فينا قانعين بمخلفات المدنية الغربية[2]، لقد شيدت دولة الإسلام على أكتاف الشباب المسلم، فما لكم عن التذكرة معرضين؟

## وأخيــرًا.. تشبه كل من الجنسين بالآخر[3]:

واقع مرير نشهده كل حين، اندفاع بعض النسوة والفتيات المهزومات فكريًّا إلى الظهور فى المجتمع بمظهر الرجال، بل يتحدثن على النحو الذى يتحدث به الرجال، كما نألف من بعضهن وضع الرجلين الواحدة على الأخرى، وتدخين السيجارة، وتقصير الشعر ما استطعن على غرار ما يفعل الرجل، حتى ليكاد الإنسان يفقد ملكة التمييز بين الجنسين معتقدًا بذلك أنه من سمات المرأة العصرية.

وعلى النقيض من ذلك نشاهد كثيرًا من الرجال كالصبيان قد أهمتهم أنفسهم، يميلون إلى عادات النساء، فيتركون شعورهم تتدلى على أكتافهم، ويتزينون بالذهب حول المعصم، وهذه العادات وأمثالها قد استوردناها من الأبطال الفاتحين (جماعة الخنافس)، الذين أنتجهم الغرب وقدم لهم كل تحية، ولطالما تحير الإنسان أو تردد أمام هذا الجنس الثالث كما يسمونه، أهو من النساء أم من الرجال؟!

أما المبدأ الإسلامى فى هذا المجال فقد عبر عنه رسول الله ﷺ بما رواه عنه عبد الله بن عباس: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال».

---

(١) جريدة الأهرام فى ١٩٩٣/٦/٢م.

(٢) د. عبد الفتاح عبد الكريم، اللواء الإسلامى ١٢ ربيع الأول ١٤٢٣هـ ١٩٩٢/٩/١م.

(٣) أحمد شلبى، الحياة الاجتماعية فى التفكير الإسلامى، سنة ٧٢، ص٢٣٦.

ما سمات الرجولة والأنوثة فى المجتمع الشرقى المسلم، إن سئل أبناؤنا من أجناس وافدة عليهم للاطلاع على حضارتهم وأصالتهم وخصوصيتهم؟

## المراسلة بين الجنسين سيما عبر الإنترنت:

المراسلة بين الجنسين فى الثقافة الغربية هى نوع من تأكيد الذات وتوسيع دائرة المعارف، غرام معبأ داخل الرسائل أو عبر الهاتف، تجلب الخداع والتغرير، فهى هواية مبهمة.

هى طريق مفروش بالأوهام؛ لأن الصداقة البريئة قد تلد علاقة غير شريفة، وكم تكون موجعة فى النهاية أو مخجلة، نعم لها فى الغرب ما يبررها حيث تختفى الحواجز بين الحلال والحرام.

فمراسلة الرجل للرجل أو المرأة للمرأة لا شبهة فيها إلا أن تنطوى على منكر من القول، أما المراسلة بين الجنسين الغرباء فهى لا تجوز بحال من الأحوال، فلا يجوز للرجل أن يراسل امرأة أجنبية لما فى ذلك من فتنة فى الدين واستدراج للأذى، أما شعارات الانطلاق والتطور فقد جرفت الغرب إلى مزالق كثيرة، فبمَ إذن تبشرون حين تفقد فتاة المراسلة سمعتها التى تحيا فى كنفها حياة طيبة تعصمها من الفضائح، ناهيك عن أن المراسلة بين الجنسين قد تتحول إلى خطر داهم يداهم العقيدة والشريعة، أو حين تكون تهديدًا من الأنذال بكشف الأسرار وابتزاز الأموال، أو تتحول إلى مصيدة لجهات مشبوهة قد تكون شباكًا للتخابر مع الأعداء؟

## حتى الطعام داهمته الموضة:

**ثقافة (الهامبورجر) أو (التيك أواى)**

من المعلوم أن النمط الغذائى يعد إحدى السمات المميزة لكل شعب من الشعوب، بل لكل جماعة من الجماعات الإنسانية[1] ولكننا نرصد اليوم انتشارًا سرطانيًا لمحال الأغذية الأجنبية، مع أنه كما يقول أساتذة علم الاجتماع إن الطعام القومى ثروة قومية وطنية، ولكن انقراض الإقبال عليه والانصراف إلى الآخر أصبح اليوم من سمات شبابنا! نعم هناك تحول جرىء مرصود يجر إلى

(١) د. محمد يوسف، الأهرام ٢٩/١٢/٢٠٠٠م.

قرية كونية واحدة متشابهة فى الملامح، تهيمن عليها الثقافة الغربية عامة والأمريكية خاصة، وهما وقود العولمة ، وهو ما يعنى تدمير الهويات لصالح نمط سلوكى أوحد.

وقد أذعنت مجتمعاتنا الآمنة لثقافة الأطعمة الحديثة التى تشكل سلاسل عابرة للقارات والجنسيات واختراق حصون القوميات، باعتبارها مشروعات اقتصادية عملاقة، فخصت بلادنا بفوج مقتحم من محال الأغذية الأجنبية، نتاج ثقافة (الهامبورجر)، سيما دول الترف والسرف لتعصف بسلوكياتنا المرتبطة بالعادات الاجتماعية للطعام، وهى من أكثر القيم تأصلاً فى المجتمع، بل تعدت إلى غير المترفين كمظهر للتقدم عندهم والتحضر فى الأذواق.

وأرجع البصر فى أسماء تلك الأطعمة، فهى خير شاهد لنا أو علينا، بل وقلدناهم فى السرعة والأكل على طريقتهم التى تقول إنهم يعيشون عصر السرعة؛ فكانت الوجبات السريعة التى صارت تغزو كل مدينة وقرية فى بلادنا[1]. والراصدون لكل وافد دخيل على أنماط الحياة فى المجتمع يضعون ثقافة (الهامبورجر) كعادة دخيلة تصيب مجتمعاتنا بأشكال من الانقسام الاجتماعى، فتعمق الهوة بين طبقات المجتمع؛ إذ أصبحت جماهير غفيرة من أجيالنا لا تفضل أنماط غذائنا التقليدى الوطنى؛ كل هذا بسبب جاذبية الوجبات السريعة للفئات الشابة. وكم من آثار خطيرة تنجم عن أشياء صغيرة فى حياتنا لتنهار معها المواعيد المقدسة لاجتماع الأسرة حول الطعام؛ حيث الفرصة مواتية للحوار والتوجيه والانتقال السلمى للثقافة وغرس القيم عبر الأجيال فى هدوء وراحة، ولتئن الأغلبية التى ينتابها شعور بالعجز عن الانخراط فى هذه السلوكيات والتهام هذه الوجبات، مع أن الباحثين مؤخرًا حذروا من تكرارها لما تحتويه من مواد تؤثر فى كيمياء المخ؛ كمكسبات الطعم، وتسلبهم الإرادة، فتجعل قرار التوقف عن هذه الوجبات فى غاية الصعوبة مثلما تفعل عقاقير الإدمان[2].

واقرأوا يا سادة ما سجله الأستاذ أحمد بهجت[3] : «هناك دول تشتهر بمطابخها مثل المطبخ الفرنسى فى أوروبا، والمطبخ التركى فى آسيا والمطبخ المصرى فى

(١) انظر: المرجع السابق، الهزيمة النفسية، ص١٤١.

(٢) انظر: د. محسن الألفى، الأهرام فى ٢٠٠٢/٨/٢٥م، لدرجة أن الأطباء ينبهون إلى ضرورة أن يكتب تحذير على علب الوجبات السريعة بما يفيد أنها ضارة بالصحة أسوة بما يكتب على علب السجائر.

(٣) أحمد بهجت فى جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠٠٢/٥/٩م.

إفريقيا. كان الذى يتحدث فى إحدى المحطات الفضائية رجلاً يمتلك مطعمًا شهيرًا فى فرنسا، ويبدو أنه كان فى الأصل طباخًا؛ لأنه كان يتحدث عن الطعام بلغة شعرية كعاشق يناجى حبيبته، بعد مقدمة عن المطبخ الفرنسى وأطباقه الشهيرة وإبداعاته فى عالم الطهى، بعد هذه المقدمة دخل فى الموضوع كما نقول نحن بلغة الصحافة، وبدأ الطاهى الفرنسى يهاجم الطعام الأمريكى السريع كالكنتاكى والهامبورجر وغيرهما، كان الطاهى الفرنسى يهاجم هذه النوعية من الأكل الذى يعتبره العالمون ببواطن الأمور مجرد (زبالة) لا أقل ولا أكثر، واعتبر الطاهى الفرنسى أن هذه المطاعم الأمريكية السريعة تهدد الذوق الفرنسى، وتهدد المطبخ الفرنسى وتعتبر لونًا من ألوان الغزو الحضارى الناعم المرفوض. صحيح أن إيقاع الحياة قد تغير والناس صاروا يأكلون اليوم وهم يمشون فى الشوارع أو يجرون للحاق بالمترو.. هذا كله صحيح، ولكنه لا يبرر أن يهجر الناس المطاعم الفرنسية حيث تكشف الحياة عن مباهجها ويتحول الأكل إلى متعة وسعادة.. مضى الطاهى الفرنسى يتحدث بحماس كأنه يتكلم فى السياسة لا فى الطهى، وكان يبدو عليه الاهتمام كأنه أمام مشروع لإنقاذ البشرية، وفى نهاية حديثه أطلق الرجل صرخة باسم المطاعم قال فيها: نحن فى طريقنا أن نتحول إلى متاحف».

إن ندوات الأطباء التى حملتها لنا وسائل الإعلام صارت تجأر وتزأر على ما أصاب شبابنا من التقليد الأعمى، هل الطعام موضة غربية أم هو ضرورة صحية(١)؟

## الشرطة تعثر على «عبد الطاغوت» فى ديارنا:

جرثومة غريبة اخترقت بعض المجتمعات الشرقية يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول، أجاء بهم الانهزام الثقافى فأرسلوا شعورهم وارتدوا سراويلات الجينز الممزقة، والوشم على الأكتاف برموز شيطانية، والموسيقى الصاخبة وولعهم بالملابس السوداء حلتهم، من طقوسهم أن تكون أجسامهم ملطخة بدماء القطط والفئران، وأحيانًا يتجردون من اللباس وتأمرهم أحلامهم بممارسة الجنس الجماعى، مع التركيز على اغتصاب الأطفال والفتيات، ويمارسون الإباحية كاملة على أنغام الموسيقى الأجنبية الصاخبة.

---

(١) الأهرام فى ١٥/١١/٢٠٠٢م.

هم شباب يتمتع بالثراء ولكنهم يعانون البؤس والفقر فى الثقافة الإسلامية يحبون التقليد فى الهوجاء والعوجاء.

وقد يصل الأمر بينهم إلى التضحية بأبنائهم، وذبحهم وأكل لحومهم وشرب دمائهم، وقد يجهضون المرأة فى شهرها الخامس ليقدم الجنين قربانًا للشيطان، وعلى المجهضة أن تأكل من جنينها. ومن مخططهم استدراج أسرهم إلى مستنقع التقليد، واستمالة الآخرين بإقناع المراهقين بالثورة على الدين، ومن يزغ منهم عن أمر الجماعة تكن عاقبة أمره خسرًا، وهم يمارسون طقوسهم داخل أماكن سرية مريبة، وقد سرت عدواهم إلى دول من بريطانيا وبلجيكا والولايات المتحدة، فكان لهُم عندنا أتباع وسماسرة فى لبنان ومصر، وغيرهما.

فقد فجع الرأى العام فى مصر بظهور أتباع لهذه الطائفة يأتون فى ناديهم المنكر، وهم يربطون المصاحف فى الأحذية ... وصرخات صاخبة، وقد أسفرت تحقيقات الشرطة عن مفاجآت مليئة بالإثارة والغرابة، فمن طقوسهم مثلاً ممارسة العنف بعضهم ضد بعض، ونبش القبور وتحريم الزواج مع الإباحية الجنسية، أما الرجال فتعرفهم بسيماهم؛ إطالة الشعور وأظافر اليد، وتستخدم الفتيات اللون الأسود لطلاء الأظافر والشفاه، ويحملون ميداليات لها أشكال غريبة كالجماجم، والملابس السوداء رداؤهم، مع اتخاذ الوشم فى عموم الجسم والدخول فى حلقات للرقص «حتى الثمالة» وإتيان الموبقات.

وعلى الفور اعترفوا بذنبهم[1] وكانت دعواهم: «أمٌّ تخلت أو أب مشغول»، ناهيك عن أنهم من أولى النعمة أو من أصحاب الجاه الذين لا يذكر فى بيوتهم اسم اللّه، أو من طبقة الأغنياء الجدد العارين من المجد، وفى مصر أسدت الشرطة إليهم خدمة جليلة، فقامت باستئصال شأفتهم، فمُزِّقوا كل ممزَّق.

(١) إبراهيم نافع، الأهرام فى ٣١/٧/١٩٩٧م.

# الفرع الثالث

## مظاهر التقليد والغزو السلوكى بوجه عام[1]

### ١ ـ التغريب فى مجالات الفكر والتعليم والثقافة:

حقًا ما أدركه المؤتمرون فى مؤتمر تطبيق الشريعة الإسلامية بالخرطوم أن أخطر العقبات التى تواجه الصحوة الإسلامية والزحف الإسلامى اليوم، إنما تأتى من قلة أو نخبة رضوا بأن يكونوا مع الخوالف، فأصبح كل همهم هو النقل والاقتباس متناسين اختلاف البيئات، وتميز الإسلام بشريعة خاصة ودين قيم وينابيع عذبة، فالتبعية الثقافية مبثوثة فى كثير من المناهج الدراسية التى تدرس فى العالم الإسلامى، ويتكون من مجموعها مركب فكرى وعقائدى يخالف روح الإسلام[2].

وأول الميادين التى داهمها التغريب واستحوذ عليها مجالات الفكر والثقافة والتعليم، فأضحى ذلك الميدان مُحاطًا بقيود وأغلال ثقيلة، أسيرًا للثقافة الغربية.

ومثال هذا الاقتباس ما نجده من ترويج أفكار علماء الغرب كنظرية فرويد ـ ذلك اليهودى ـ فى التحليل النفسى والتركيز على الجنس وتبريره فى التصرفات ودوافع السلوك، واعتبار الإنسان عبدًا للجنس الذى يتحكم فى فكره ومشاعره وسلوكه[3]، دون أن تكون الدراسة متبوعة بالنظرة الإسلامية الرشيدة التى تميز بين الخبيث والطيب.

كما نجد تجاهلاً لشأن علماء المسلمين كابن خلدون وغيره من أساطين العلم والمعرفة، ناهيك عن ترويج الأفكار الغريبة والغربية فى مجالات كثيرة مما يسىء إلى مجتمعاتنا إساءة بالغة، لاختلاف الجذور التى تقوم على العلمانية والوثنية اليونانية، فلا عجب أن تنشأ هناك فلسفة الوجودية على يد زعيمها

(١) هناك أيضًا مظاهر أخرى لتقليد الغرب، مثلاً الجندى المجهول، فهل توضع أكاليل الزهور على مقابر الشهداء أم على مقبرة جندى مجهول؟ لاشك أن مقابر الشهداء أحق بها وأهلها. إن مقابر الشهداء هى مقابـــر حقًا وتعنى خلفية ثقافية إسلامية عميقة، أما مقبرة الجندى المجهول فليست سوى (إتيكيت) عصرى لا يقدم ولا يؤخر، ناهيك عن أنها ليست مقبرة حقًا فليس فيها جندى مجهول يزار.

(٢) ففى كتب العلوم الطبيعية نجد مدونًا بها أن الطبيعة قد وهبت للإنسان كذا وكذا من الطاقات والقابليات، وأوجدت الأكسجين والهيدروجين مثلاً عنصرى التآلف لتركيب الماء من خلق الطبيعة، ومن ركب فى الماء عناصره؟! أإله مع الله؟! ﴿أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ [الواقعة: ٦٩].

(٣) د. أكرم العمرى، مهمات أساسية أمام الجامعات الإسلامية، الأمة ١٤٠٣هـ.

«سارتر» ذلك الفيلسوف الذى استولى على فكر كثير من المثقفين لدينا، ومما يقول: إن ما ينبغى أن تكون عليه حياة الوجود هو توديع ما يسميه الجبناء وجدانًا وضميرًا، والاستجابة لداعى الحيوانية وتلبية ما تدعو إليه شهوته، ونبذ كل التقاليد والتعاليم الاجتماعية قفزًا إلى المصير المحتوم.. إلى الهاوية.. إلى الموت والعدم الأبدى[1].

وفى مجال التعليم العام وقر فى أذهان بعض قادته أن الإسلام عقبة فى سبيل التطور الحضارى، وأن الشرق حتى يدخل فى سباق التقدم عليه أن يذر الدين ويحصره داخل المساجد، وبذلك نفسح المجال للتطور. وقد ساعد على ذلك أن المسلمين ـ على عكس ما يأمرهم به قرآنهم ـ لم يكترثوا بتطوير نظام التعليم التقليدى ليكونوا قادرين على المواجهة؛ مما سهل لأعدائهم فرصة توجيه الاتهام.

وهناك وفود غربية للتغريب جاءوا ليتموا رسالتهم السامية، للتفتيش عن العقول والمناهج فى البلاد العربية والإسلامية، سيما فى الوقت الذى صرنا فيه أذلة للحضارة الغربية، وتأتى محاولة تطوير المناهج على النحو الذى يرنون إليه لنزع الكراهية لليهود أو الغرب، وهى كراهية ليست نابعة من مناهجنا؛ وإنما من القهر الذى نجنيه منهم، وغياب العدالة فى التعامل مع القضايا العربية والإسلامية[2]، فى الوقت الذى يهيئ فيه اليهود أبناءهم لكراهية غيرهم وخيانة عهدهم، ويُبَيِّتون لنا ما لا يرضاه عدو لعدوه.

إن جلب المناهج المستوردة وغرسها فى ميادين الدراسات الإنسانية تقلع الإنسان ولا تزرعه، مستوردة ممن تخصصوا فى استعمار الشعوب، والنيل من نيلهم، والذهاب بذهبهم وفض فضتهم ودق دقيقهم.

## استبدال السقيم بالسليم[3]:

هذا ما يرنو إليه أصحاب السيادة للدخول فى دين الملك، فحضارات العالم بزعمهم لها رؤية مشتركة فى بناء الإنسان؛ ذلك الإنسان الذى يلتزم

(١) وليم جيمس، إرادة الاعتقاد، ترجمة د. محمد حب الله، ص١٢١.
(٢) أمركة الإسلام، مجلة الأسبوع، العدد ٢٥٦ فى ٢٠٠٢/١/٢١م.
(٣) جريدة الأسبوع، العدد ٣٣٠، فى ٢٠٠٣/٦/٣٠م.

الأخلاقيات الكائنة فى كل حضارات العالم، فهناك صورة عن الفضائل الأساسية للديانات الثلاث، تلك دعواهم، ولكن هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، فأى أخلاق تودون؟ هل هى أخلاق المدنية الغربية التى تجعل البغاء مهنة حرة؟ هل هذا مدون فى شريعة عيسى ابن مريم، أم هى أخلاق اليهود الذين يسعون فى الأرض فسادًا، أم هى أخلاق مؤتمر بكين الذين خلصوا نَجِيًّا إلى استحباب تنمية الدعارة والفسق المبكر لشباب العالمين؟

إن الأخلاق لا تعرف إلا من خلال الأديان، فلماذا نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير؟ وهل الأخلاق هى أخلاق الغرب أم الشرق أم الشمال أم الجنوب، أخلاق الكفار أم المؤمنين، أخلاق الشيخ أم أخلاق الشاب المراهق؟ منعطف خطير، نتائجه مبهمة فى العاجل مدمرة فى الآجل. فلماذا يفعل بنا كل أولئك وينبوع الأخلاق الخلاق عندنا ﴿قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾[الجن:١، ٢]، والروض النضير من كلام سيد الأنبياء والمرسلين؟ لماذا نخبئ الجواهر الثمينة فى الطين؟

## حتى المناهج الدينية وفق النموذج الغربى[1]:

محاولات حقيقية لأمركة الإسلام، ومسلسل لجعلنا أذلة، وفود غربية مكوكية لاستطلاع المناهج فى البلاد العربية ترنو إلى ما يسمى بتعديل لغة الخطاب الدينى، والسؤال المطروح: هل نستطيع أن نطالبهم بالمثل، أم هى مجرد هيمنة مشاعر العداء والعنصرية تجاه كل ما هو إسلامى؟

إن تطوير المناهج أو تطوير لغة الخطاب الدينى فى وقت تشتد فيه الضغوط الكريهة على أمتنا يحمل شبهات تلو شبهات، كما يقول الدكتور أحمد كمال أبو المجد إنه سيفقدنا اعتزازنا بأنفسنا لنصبح أذلة صاغرين لأبناء المدنية الغربية، وحينئذ لا تستطيع أمة أن تبنى مجدها إذا فقدت استقلالها، سيما فى مجال الثقافة والحضارة، فإنها تضحى إذن كجذوع النخل الخاوية.

## ٢ ـ التغريب فى مجال التشريع:

### القوانين الغربية تُغِير على أحكام الشريعة الإسلامية:

شريعة الإسلام ما عاش تحت ظلالها مغبون، فهى منزلة من لدن حكيم عليم،

(١) انظر جريدة الأسبوع فى ٢١ يناير ٢٠٠٢م، موجة تفصيل المناهج الدينية على المزاج الأمريكى.

ولكن فى أيام نحسات وفدت على الساحة الإسلامية فى مجال السلوكيات والقيم قوانين غربية لا تستند إلى شريعة سماوية، فأصابتها بفصام فى الشخصية، وتناقض بين مبادئ الدين وواقع المسلمين، وأعراف منقولة غير مقبولة لا مرحبًا بها، تشجع الخنا وتشيع الفاحشة فى الذين آمنوا، ومع أن أعدادها كانت قليلة إلا أن ضربتها كانت موجعة وأليمة أثرت فى الواقع الإسلامى تأثير الفيروس المنهك للبدن، ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

نعم هناك قوانين أجنبية استوردناها، كانت نموذجية وبناءة كما فى مجال التنظيم والإدارة والقانون الإدارى وتخطيط المدن، ولكن هناك قوانين أخرى ليست كلها تحمل طابع الرشاد سيما فى مجال الأخلاق والاجتماع والاقتصاد والسلوكيات.

فى تركيا كعبة الخلافة الإسلامية كان أتاتورك هو أول من سَنَّ سُنة سيئة، ومن ثم فعليه وزرها ووزر من عمل بها، فاستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير، ونحَّى جانبًا من قوانين السماء بدعوى أنها «قانون الصحراء»، فمنع تعدد الزوجات، ولا تثريب على متخذى الأخدان والخليلات، ساوى بين الرجل والمرأة فى الميراث، وليس الذكر كالأنثى، وقيد الطلاق مع أن فيه سعة للمرأة حتى تتخلص من زوج بغيض. وهكذا كان خطاب الكماليين فى تركيا ينحو نحو إسلام جديد غير ذلك الدين القيم الذى كان نقلة حضارية فى تاريخ البشرية، وحققت تركيا بفضله أكبر إمبراطورية عظمى، وسجلت صفحات مضيئة فى التاريخ الإسلامى المجيد.

إن التشريع كان أكبر مداخل التغريب فى القرن التاسع عشر، وتمكنت بواسطته الدول الغربية من اختراق الدول الإسلامية؛ مما أدى إلى تراجع الشريعة الإسلامية لصالح القوانين الغربية، وكذا بدأ فصل الدين عن الدولة، واطرد انحسار الشريعة الإسلامية حتى هيمن النظام الغربى وسلك ينابيع القضاء ونظام التجارة والتنظيم الجنائى، والغريب أن الفرنسيين والإنجليز لم يغيروا شيئًا من قوانين الأحوال الشخصية، ويريد المسمون بالعلمانيين اليوم تغييرها، وفى مصر تسرب القانون الغربى إلى النظام المصرى بعد معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م التى فتحت الأبواب على مصاريعها للأجانب بمن فيهم المرابون وفئات المغامرين الذين احتموا بنظام الامتيازات الأجنبية، حتى وصل الأمر إلى أن كان هناك ١٧ نظامًا

قانونيًا، وكانت الطامة الكبرى في بواكير عهد الخديو إسماعيل؛ حيث كانت بداية النهاية في تحويل مصر إلى مجرى القانون الفرنسي، وأصبح القانون وضعيًا ـ أى من وضع الإنسان ـ وافدًا لا يتناسب مع القيم الاجتماعية ذات الأصل الديني.

خذ مثلاً بسيطًا مع كونه خطيرًا، فالمبدأ عندنا فى الإسلام أنه لا يضيع دم هدرًا، ولقد نحيت أحكام دية المقتول عمدًا أو خطأ من أحكام القوانين فى كثير من البلاد الإسلامية المصابة بالغزو فى مجال التشريع، فكان العبث بالأرواح، وآلاف مؤلفة من الحوادث يرتكبها السفهاء والسكارى، دون أداء دية المقتول من الجانى أو فصيلته التي تؤويه.

وكذلك هبطت علينا فقرات هائلة من القوانين الأوروبية في المسائل السلوكية والأخلاقية؛ لتنخرط فى قوانيننا؛ لتفتح الباب لصنوف من الرذائل الأخلاقية التى ألفتها بيوتات الغرب؛ ومن أمثالها:

## الزنا على سبيل المداعبة حرية فى التشريع الوضعي:

في القانون الغربي لا تثريب على من ارتكب الفحشاء على سبيل المداعبة مع فتاة أو امرأة برضائها، بل إن كانت فى ذمة زوج غير غيور جُبِل على الخنا فالتزم الصمت، أما الزوج الغيور إن همَّ بالانتقام لشرفه فقتل المغتصب حوكم وحوسب وحُبس، وأما المغتصب إذا قتل الزوج الغيور فلا تثريب على القاتل المغتصب؛ لأنه كان فى حالة دفاع شرعى عن النفس، وبالنسبة لزنا الزوجة فلا عليها؛ لأن الزوج قد مات، فهو صاحب الحق وحده فى الشكوى إلى القضاء.

وفى جريمة الدعارة بالأجر يشهد الزانى على الزانية وتسمع شهادته ليصير مصيرها على هدى أقواله، والغريب أنه لم يقل أحد فى البلاد الإسلامية إلى الآن ابتداء من رئيس الدولة حتى أصغر صعلوك بها: إن الزنا مباح، فالجميع مجمعون بفضل الله على أن الزنا حرام.

والغريب أن عقلاء الغرب صاروا يطالبون بتطبيق شرع اللّه فى بلادهم كجلد المخمورين وإعدام الغاصبين بعدما فشلت قوانينهم فى إصلاح سلوكهم. أما نحن فموقفنا من شريعتنا سمعنا وعصينا؛ لتحدث تحولات خطيرة فى مجالات عديدة سيما فى علاقة الرجل بالمرأة والزوج بزوجته، ولتهتز الحواجز بين الحلال والحرام، ولتنطلى القوانين الغربية حتى على أكابر مثقفينا المصابين بالشعور بالدونية.

وهناك قوانين إسلامية صارت تسوّي بين الرجل والمرأة في الميراث، وبلاد أخرى أنهكت نفسها فمنعت تعدد الزوجات فتولد تعدد الخليلات، وهو أبشع الموبقات. وتلكم دول إسلامية أنهكت أبناءها بتشريعات ليس أهلها تبعًا لها؛ فأعطت للمرأة حق اقتسام أملاك الزوج عند طلاقها وهو ما لم يأذن به الله كالمغرب[1].

## ٣ ـ التغريب في مجال اللغة:

### اللغات الأجنبية تغيظ الحسناء في ديارها:

١ ـ باي باي يا تنت، أوكي يا أونكل، برافو يا مدام...

سباق محموم يشهده المقربون، ويقوده المترفون والمثقفون معًا لإقصاء بنيهم أو ذويهم عن لسان العرب لحساب الغرب، بالتزاحم حول مدارس اللغات الأجنبية، وأصبحت المدارس الخاصة بمثابة ساحات لاغتيال اللغة العربية وتشويه لسان الأجيال، فالحرف الغربي يفتح الباب لهيمنة الفكر الغربي.

وبالجملة، فقد أصبح تفوق الطلاب عندنا مرهونًا بالعَبِّ من اللغات الأجنبية، التي أصبحت ذائعة وشائعة.

وإن تعجب فعجب أن نرى كثيرًا من الغيورين على الإسلام ينغمسون بدورهم في إعلاء اللغة الأجنبية على لغتنا العربية، فهو يضع مكِنَة على تليفونه تتحدث إلى طالبيه عند غيابه بالإنجليزية، وكروته مطبوعة باللغة الإنجليزية، وصار البعض اليوم مفتونًا بكلمات يرددها في المجالس والمحافل، كدلالة على الشخصية والتقدم، بل لاحظت شيئًا مهمًا من خلال عملي بالقضاء في دول الخليج، وهو أن العقود بين الشركات تحرر باللغة الإنجليزية ولا توجد نسخة لها باللغة العربية مع أن الصفقة عربية في بلد عربي..!

وهكذا يستدرجون آلة التعبير إلى غير اللغة العربية وفي عقر دارها، وهو ما يصيبنا بحالة من البلبلة اللغوية، سيما في عصر صراع الأمية، حيث يبتغون لنا

(١) د. رجاء المكاوي، اللواء الإسلامي العدد ٢١٢، ٥ ربيع الأول ١٤٢٦هـ الموافق ١٤ إبريل سنة ٢٠٠٥م، علمًا بأن الكاتبة المذكورة تعرض ذلك على سبيل المدح وأنه خطوة فاعلة في طريق الرقي، مع ما يجلبه ذلك من حيل من جانب الزوج وظلم لأصحاب الحقوق المكتسبة بالجهد والعرق ومنازعات قضائية تجلب الإخفاق، ناهيك عن إصابة جامع المال بالإحباط إن لم يؤد ذلك إلى ضعف الحافز والقعود عن العمل والسعي على الرزق.

الدخول فى دين الملك والانصهار فى ساحة العولمة وما فى ذلك من أخطار لم تكن فى الحسبان.

فالتلاميذ الذين يتلقون المعارف بلغتهم القومية يستوعبونها بصورة أعمق مما لو تلقوها بلغة أجنبية، ناهيك عن أن تعليم الطفل بلغة أجنبية يصيبه بعقدة الشعور بالدونية إذ يصم لغته بالقصور؛ لإدراكه أن اللغة التى يتحدث بها والده وأسرته ليست مؤهلة لتوصيل المعارف إليه، وأنها دون اللغات الأجنبية.

إن التجانس الثقافى هو الذى كون دولاً وإمبراطوريات مثل روسيا والصين والولايات المتحدة، فهل تتحول البلاد العربية إلى جزر أجنبية على نحو يغيظ العربية فى ديارها لتصبح حسناء عند أعمى؟

ليكن معلومًا علم اليقين أن الإسلام يحض على تعلم لغات الأعاجم والأجانب؛ بل إتقانها بشرط ألا تفرط علينا، فتطوى لساننا ليكون احتلال اللسان أنكى من احتلال الأرض.

وأخيرًا، فإن الخطر كل الخطر فى المدارس الأجنبية لا يكمن فى تعلم اللغات، وإنما يتجاوز إلى تهديد السلوكيات الإسلامية، فتلك مثلاً معلمة تطلب من تلاميذها المسلمين أداء صلواتهم فى نهاية الأسبوع جملة على غرار طقوس دينها، والتلاميذ بها مفتونون، وهلم جرًّا.

وإذا أراد عدو نيلاً من دولة فأول ما يخطط له هو إضعاف لغتها وقهر لسانها، وهنا يقول حافظ إبراهيم الشاعر المصرى:

**فلا تكلونى للزمان فإننى        أخاف عليكم أن تحين وفاتى**

كم هو دحر للوطنية، وهزيمة للقومية عند القوميين، وفتح مبين لأبواب الأممية وانسلاخنا من الهوية.

## كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية:

هل يجوز تغيير ملامح الرجل العربى ليتحول إلى أعجمى؟ نعم هذا ما يبتغيه أعداء الداخل من سماسرة التغريب، فراح البعض منهم يروج لكتابة اللغة العربية بحروف لاتينية بدعوى أن عملية الطباعة بالحروف العربية تجلب الحرج

والمشقة؛ حيث إن لكل حرف عدة صور فى الكتابة، فى أول الكلمة ووسطها وآخرها، وإذا شكلت هذه الحروف بالفتحة والضمة والكسرة والسكون والتنوين فى الفتح والضم والكسر بلغ عدد أشكال هذه الحروف ٥٨٨ شكلاً ٢٨×٣×٧=٥٨٨، وهذا أمر يستنفد الجهد ويضيع الوقت، أما الحروف الإفرنجية فهى أقل من ذلك.

وعليهم أن يعضوا الأنامل من الغيظ؛ لأن الحروف الإفرنجية لا يصح الكتابة بها إلا من اليسار على عكس اللغة العربية، والتي تواكب الدين فى تقديم اليمين على اليسار. ومن ناحية أخرى، فإن هناك حروفًا فى اللغة العربية لا مثيل لها فى اللغات الإفرنجية مثل الضاد والقاف والسين والحاء، فهل تجدى الحروف اللاتينية فى تحقيق مآرب الحاقدين[1]؟

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

ناهيك عما قالوا بشأن الخط العربى بأنه جالب للرزق وموضح للبيانات ويدل على رفاهية الذوق واللسان، ولقد كانت سيرة الخط العربى طويلة حتى بلغ صورة جميلة ومشوقة، وصار هناك خطاطون مبدعون، يقول الإمام على كرم الله وجهه: «عليكم بحسن الخط فإنه من مفاتح الرزق»[2].

## الرَّطانة باللغة الأجنبية:

صار الكثيرون يعتبرون التكلم بلسان الفاتحين مفخرة من المفاخر، ويفضلون التحدث بقبس منها، معتبرين ذلك وسيلة لارتقاء شأنهم فى المجتمع؛ فيقولون مثلاً: Say ومعناه افترض أو قل، even ومعناها حتى، perhaps ومعناها ربما، التيرم الأول ومعناها الفصل الأول، ومول ومعناه سوق.

هل الوثبة الحضارية تحتاج ذلك حقًّا، أم هو تعبير عن الانهزام الفكرى والتبعية الثقافية فى أسمى معانيها؟

وأخيرًا، فإن تعجب فعجب أنه فى الوقت الذى يستخف بعض أبناء العربية بلغتهم تذهب الغيرة على اللغة العربية بمستشرق إنجليزى إلى التحذير للعرب من ضياع العربية؛ لأنها أساس الهوية[3].

(١) انظر مؤلفنا، الحرية الفكرية وترشيد الواقع الإسلامى.
(٢) حسان عطوان، الإيمان ملحق الأنباء الكويتية فى ٢/٢/٢٠٠١م.
(٣) الأهرام فى ٨/٨/٢٠٠٢م، مقال د. يونان لبيب رزق.

## اللافتات الأجنبية تتألق فى الشوارع العربية:

«شوب سنتر» «بل فى» «هابى لاند» «هابى مان» «محل توب» «عمادكو سنتر» «صلاحكو للتبريد» «سيتى مول»، وكأنه قد كتب على لغتنا - والعياذ بالله - الجلاء أو الفناء، أم هو الشعور بالدونية الذى أحاط بأصحابه فيظنون بلغتهم الظنون، إن لغتنا أقوم قيلاً وأبلغ فى المراد، حتى المثقف نفسه يقف حائرًا أمام المسميات الطارئة فما بالك بالعوام والبسطاء والدهماء.

ومما يغيظ العربى أن فى بعض بلاد الجزيرة العربية محالاً تجارية لبيع الأجهزة الكهربائية مثلاً توزع نشرات على العملاء عن منتجاتها ليس فيها حرف عربى واحد؛ وهو ما يسر العدو ويحزن الصديق.

ماذا دهاكم أيها التجار العرب حتى تتجاهلوا الحسناء؟! كأن لغتنا ضاقت عن أسماء مؤسساتنا ومحالنا، وهى اللغة التى لم تضق يومًا عن استيعاب أى مصطلح فى الحضارة، ولكنه الجحود والتقليد.

إن كثيرًا من الأسماء المستوردة لا يفقهها أصحاب المحال أنفسهم، فلو سألت بقالاً عن معنى كلمة (توب) التى تعلو حانوته يجيبك بصراحة أنه يجهل معناها ومرماها، فقد أتى بها ابنه المفتون بالغرب فتونًا. والأسماء الأجنبية، غزت أسماء بناتنا مثل سالى وسيلفيا ولارا وإيلين وفيفيان، وهذه الأسماء تظل غريبة على الملامح العربية؛ بل تجر أصحابها إلى مشاكل نفسية، فيؤكد علماء النفس أن هناك علاقة حميمة بين الاسم والسلوك الفردى، ناهيك عن أن لكل إنسان من اسمه نصيبًا، وتسمية الطفل بالأسماء الأعجمية تجعله يشعر بالانتماء لهذا الاسم الأجنبى وما يمثله من معايير خارجة عن مجتمعه، وهو ما يضر الانتماء ويغلغل عقدة الخواجة لدى المغرمين بالتقليد.

لقد عاش كثير من الأجانب فى بلادنا حينًا من الدهر، فما تسمى أحدهم يومًا بأسمائنا، أو احتفى بلغتنا، مع أن لدينا أسماء رنانة دخلت رحاب العالمية.

## التقويم الإفرنجى يزحزح التقويم الهجرى:

كانت الهجرة هى فجر الإسلام وضحاه، ومبدأ انتشاره وسناه، وهى بداية النقلة الحضارية، لا، بل أكبر نقلة عرفها التاريخ للحضارة البشرية، غيرت ميزان

القوى من الضعف إلى القوة ومن القوة إلى الضعف، ولهذا كان التقويم الهجرى هو تقويم الحضارة والسؤدد والسيادة والمجد، منذ هذا اليوم حقًا دوَّن التاريخ فى سجلاته ميلاد الدولة والحضارة الإسلامية، فنزلت الشريعة الغراء هداية للعالمين، فكان الأسرة والمجتمع الراشد، وقبل هذا كان العرب أجراء عند اليهود فى يثرب الذين كان بيدهم القوت والقوة والجبروت، فغيرت الهجرة كل ذلك، وأمر عمر بن الخطاب بالتأريخ بها، وقد كان العرب قبلها يؤرخون بكبار الأحداث الجسام.

لقد عاشت الأمة الإسلامية حضارة باسقة، فى ظل تقويمها الهجرى العريق، لم تعرف فى تاريخها التبعية أو الشعور بالدونية وفقًا للشهور القمرية، وهو ما يؤدى إلى زيادة سنى التقويم الهجرى عن الميلادى بمقدار عام كل ثنتين وثلاثين سنة.

هل تحسب بالتاريخ الإفرنجى أم التاريخ الهجرى عدة المطلقة؟

لقد بات التقويم الهجرى جزءًا من مقوماتنا فهل نفرط فيه كما فرطنا فى أمور كثيرة؟ إن التخلى عنه جريمة نكراء بدأها أتاتورك الذى كان لآياتنا عنيدًا، إنك إن سألت مثقفًا فى البلاد العربية المفتونة بالغزو الثقافى عن الشهور العربية فهو قد يسميها لكن لا يكاد يحصيها، مع أن صلاته ونسكه ومحياه ومناسباته تتم وفقًا للتقويم الهجرى، فالحج أشهر معلومات بالتاريخ الهجرى، وصوم رمضان الذى تسمو فيه الروح على المادة، ويوم مولد رسولنا ﷺ، ويوم عاشوراء، وليلة الإسراء والمعراج، وليلة النصف من شعبان، كلها لا تعلم بتاريخ الإفرنج، وكذلك أعيادنا.

لقد اقترحت علىَّ كريمتى الصغيرة يومًا ما نبذ التبعية السلوكية، اقتراحًا تُقُبِّلَ بقبول حسن وهو أن يُدفع لها مصروفها فى بداية الشهر العربى بدلاً من الميلادى، فلا يغتالنا التقويم الإفرنجى. عظموا شعائر دينكم تفوزوا برضاء ربكم.

## وأخيرًا رقمنا العربى يأتمرون به:

أرقامنا العربية المتداولة هى من اختراع النابغة الذى علم العالم، العالم الشهير «الخوارزمى»، فهى ليست من اختراع عالم أوروبى؛ لأن أوروبا لم تكن شيئًا مذكورًا حين اختراع الرقم العربى.

ماذا ستجنى الأمة العربية من وراء تغيير أرقامها المتداولة طيلة أربعة عشر قرنًا من الزمان؟ هل من الأصالة والحصانة أن نربى جيلاً عربيًا يجهل أرقامه

وتاريخه وينظر إليها نظرة المستغرب، وقد زخر بها ميراثه وتراثه؟ هل سيحتاج إلى خبير فى المستقبل ليفك له رموز أرقامه كما يحتاج إلى خبير يقرأ له الخطوط الهيروغليفية[1]؟

هل نتخلى عن رقمنا لصالح الرقم اللاتينى الغريب لإكمال مسلسل الاغتراب؟ إن المؤامرة على الرقم العربى جريمة نكراء؛ لأنه يحمل فى طياته اللغة العربية ومحاسنها من حيث اتجاهها من اليمين إلى اليسار ومن حيث التدرج، والآحاد تسبق العشرات فى نفس اتجاه الكتابة، وأخذت عنها اللغات الأوروبية كما هو الشأن بالنسبة للغة الألمانية التى نقرأ فيها الرقم ٢٧ مثلاً كما فى العربية تمامًا سبعة وعشرين؛ إذ تأتى الآحاد قبل العشرات عكس الإنجليزية التى نقرأ فيها ذات الرقم عشرين وسبعة.

إن الذين يأتمرون برقمنا العربى قد نجحت مؤامراتهم فى دول عربية استدرجها التقليد، غافلين عن أن أرقامنا المستعملة أكفأ من غيرها كما يقرر العلماء الثقات؛ لأنها أرقام متجانسة وليدة حضارة واحدة، كما تتجانس مع اللغة الأرمينية التى كانت سائدة فى الجزيرة العربية منذ حوالى ألفى عام، فنحن أحق بها وأهلها حفاظًا على هويتنا وعلى التواصل الحضارى بيننا وبين الدول المسلمة غير العربية، والتى لا ترضى بغير رقمنا بديلاً[2]، مثل إيران وباكستان.

إنه لأمر تسْوَدُّ له الوجوه حين يخدعنا المخادعون بأن الأرقام الأوروبية هى أصلاً عربية، متناسين أن أرقامنا قد كتب بها كل تراثنا قبل أن تعرف ذلك أوروبا، فهل نتنكّر له اليوم ونستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير، جريًا وراء دعاة المحاكاة فى غير المحاسن؟

## تحية الإسلام بها يستهان!

هى مما كرم الله به هذه الأمة، وهى فضل من الله ونعمة «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»؛ لأن الإسلام من معانيه الطمأنينة والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر، فضلاً عن الرحمة المُهداة من الله والبركة، ولهذا فهى أجمل تحية وأكملها.

(١) د. عبد الفتاح حبيب، مقال الأهرام، الأرقام العربية قيمة تاريخية.

(٢) د. محمد يونس الحملاوى، الرقم العربى، تهديد الأرقام القومية، مقال بالأهرام ١٤/٥/١٩٩٩م.

وتحية الإسلام ليست كلمات عابرة تلقى على مسامعنا، وإنما هى شعار الدولة[1] التى تعنى السعادة و الطمأنينة لكل من يستظل بظلها، ولا نظير لها فى أى حضارة أخرى مهما اتسمت بالرقى، ولكن البعض عندنا يحلو له أن يستخدم تحية الأجانب صباح الخير ومساءه، وهى على ما ترى لا تجلب لك البشرى التى تخبئها تحية الإسلام فى طياتها، فالسلام اليوم هو ما ترنو إليه البشرية جمعاء، فهل يجوز لنا أن نتسول تحيتنا من الأجانب؟!

إن من فضائل تحيتنا أنها تلقى فى الصباح والمساء وفى الظهيرة وآناء الليل وأطراف النهار، فهى مواكبة لكل وقت، أما صباح الخير ومساؤه فهى مقصورة على الصباح و المساء، فماذا عن حكم الأوقات الأخرى؟!

نقول لمن يحلّون تحية الغرب إن رصيدنا ملىء بما يكفى لإغراق الدنيا بسلوكيات رائدة وأعراف طيبة، ولو أن أهل الغرب وقفوا على تحيتنا وفضائلها لحاربونا عليها بالسيوف، فتحيّتنا تجلب السعادة والخير لمن تلقى عليه بصرف النظر عن عقيدته، ويكفى أن العالم اليوم قد شيد منظمات دولية من أجل السلام وإن كان قصدهم هو الاستسلام لهم.

## ٤- الأعراس الإسلامية تتحول إلى مراقص غربية:

عروس اليوم ثقافتها إما فرنسية أو إنجليزية مع ما يتبع كل أولئك من سلوك تابع للثقافة الغازية.

والزواج هو بداية حياة سارة طاهرة، والأفراح هى ابتهاج بكمال الدين ولا علينا إن احتفينا بها بالترويح والبهجة، لا بل هو واجب أو مندوب «**أعلنوا النكاح ولو بالدف**». هكذا يقول رسول الله ﷺ، وقد أباح الدين غناء النساء للنساء والرجال للرجال، ولكن أن تتحول تلك المناسبات الدينية إلى مناسبات يسارع المدعوون فيها إلى حلبة الرقص وتتشابك الأيدى رجالاً ونساءً محارم وغير محارم، ويتمايل الجميع فى غمرة ساهين لاهين، ذات اليمين وذات الشمال يزيدهم خفة وطيشًا إيقاع الدفوف وشدو المزمار، والغريب والعجيب أنك ترى نساءً كثير منهن يرتدين الزِّى الإسلامى، وبعد هذا يهبط العروسان من عرشهما الذى كان الجميع يرقبه فإذا

(١) الدكتور/ أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، ص ٣٢.

هما فى سذاجة بالغة يخوضان كما خاض الأولون لترقص العروس بابتذال ظاهر.

وهكذا ينقلب الحفل الذى أعد للعروسين إلى ملهى ليلى وشعبى هازل على النمط الأوروبى، يحط من قدْرنا ومجدنا، سيما حين يطْلِع علينا أهل الغرب الذين يتسللون إلى قاعات العرس فى الفنادق الكبرى فى القواصم من العواصم لمشاهدة أعرافنا، فإذا هم يشاهدون حلبة للسباق ترتدى فيه المسلمات الملابس الكاشفة (الديكولتيه) المفتوح من الظهر أو الصدر لتظهر النُّهود للجميع وما يتلو ذلك من منكرات، وكم هو سلوك يؤذى أصحاب الحاسة الإسلامية المدعوين إلى تلك المراقص الذين يسرون الحسرة على مزالق أبناء دين القيمة، والذين ما كسبوا فى إيمانهم خيرًا.

هل بالرقص تواصل الحضارة الإسلامية عطاءها الموصول؟ ولقد أجابت مجلة اللواء الإسلامى بالعدد (٥٠) هل الرقص الإفرنجى الذى يشترك فيه الرجل والمرأة يخالف الدين الإسلامى؟ وما حكم الشرع الشريف فى المرأة التى تراقص أجنبيًّا عنها وفى الخنزير الذى يرقص مع أجنبية عنه؟ و ما حكم الدين القيم فى الرجل الذى يرقص مع امرأته على مرأى من الناس؟ وكانت الإجابة بالحرف الواحد: «إنه لا يشتبه مسلم فى دار الإسلام فى أن الرقص الإفرنجى المعروف الذى يشترك فيه الرجل والمرأة محرم شرعًا، معلومة حرمته من الدين بالضرورة» والبداهة أن كلا من المرأة التى ترقص مع أجنبى عنها والرجل الذى يرقص مع أجنبية عنه آثم بارتكابه ذلك الفعل، ويستحق ما أعده الله للفاسقين المجترئين من العقوبة فى الدنيا والآخرة، كما أن الرجل الذى يرقص مع امرأته على مرأى من الناس، ظالم لنفسه مجترئ على ربه مستحق للعقوبة المذكورة. وهذه قضايا معلومة بداهة من الدين لا يحتاج إلى إقامة برهان عليها، ومن يرضى بها سواء أكان حاضرًا وقت ارتكابها أم لم يكن حاضرًا أَثِمَ كذلك؛ لأن الرضا بالمعصية معصية، كما أن الرضا بالكفر كفر، والعقل الراجح والفطرة السليمة يستقبحان هذا الفعل وينفران منه ومن مرتكبه سواء كان ذلك مع أجنبية أم كان مع ذات محرم منه، وقد جاء فى السنة أن المرأة إذا خرجت من بيتها متعطرة متجملة متبرجة تختلط بأجنبى عنها، وأن يُرى وهى تتحرك معه هذه الحركات المثيرة فى النفوس، لاشك أن هذا من الدياثة التى لا يدخل صاحبها الجنة، والحديث عن رسول الله ﷺ أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الجنة قال: «وعزتى وجلالى لا يدخلنك بخيل ولا كذاب ولا ديُّوث». (وقد فسر الديوث بأنه

من لا غيرة له)، هذا وقد ذكر العلامة ابن القيم فى كتابه «الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية» فصلا بيّن فيه أنه يجب على أولى الأمر أن يمنعوا اختلاط الرجال والنساء فى الأسواق ومجامع الرجال.

ولا ريب أن الرقص الجماعى (وترقيص) العروسين أمام المدعوين هى ظواهر لا مرحبًا بها، ولن تقتلع هذه العادة الغربية إلا على يد أئمة يهدون بأمرنا والصالحين من عبادنا الذين يعظمون شعائر دينهم: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

وقد نشرت جريدة الأهرام كبرى الجرائد القاهرية فى ١٩٩٩/٨/٦م تحت عنوان (غلطة عمرى): عروس تقول: إننى لم أتوقف عن الرقص لحظة واحدة منذ بدأ الفرح، وحتى انتهى وبدوت وكأننى سعيدة جدًّا بالزواج ولا أعرف لماذا فعلت ذلك، فكنت أرقص بدون أن يدعونى أحد وبلا أحد وبلا داع حتى إننى كنت أترك عريسى وأرقص بمفردى على الساحة المخصصة للرقص، وأصبحت أخجل عندما يشاهد أحدٌ شريط الفيديو؛ لأن التعليق يكون واحدًا: ما كل هذا الرقص؟! ولو عادت بى الأيام لما فعلت ذلك.

وفى ختام الحفل يدعى العروسان لالتقاط صورة العمر كما يُدعى والد العروسين معهما فى أوضاع مقلوبة، حيث تقف والدة العريس بجانب والد العروس وتمسك بيده، بينما فى الناحية الأخرى تمسك والدة العروس بيد والد العريس تعبيرًا عن العصرية واقتداء بسنة الأجانب فى سلبياتهم.

**العروس المسلمة تخلع حجابها يوم زفافها:**

أمر منكر لا يجوز لها شرعًا مادامت قد التزمت منهج دينها وتحلت بثياب الفضيلة فإذا بها ألقت وتخلت فلا يحل لأية مسلمة أن تظهر زينتها على غير زوجها فقد أصبحت حرمًا آمنًا لشخص واحد فقط: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

## ٥- الأعيـــاد الوافــدة:

ليلة رقص السنة

معلوم أن لكل أمة أعيادها وأفراحها التى تعبر عن أمجادها ومناسباتها،

فالأعياد مظهر من مظاهر شخصية الأمة، وهى جزء من عادات الشعوب، وكل أمة لها ما كسبت فى هذا الشأن، أما نحن فقد طوقتنا الأعياد الغربية، وانهمكت الأسرة المسلمة فى الحفاوة بها والإعداد لها وفى مقدمة ذلك أعياد الأم والكريسماس، ورأس السنة، فتعد الولائم وترسل الدعوات وتضاء الشموع وتلبس الطرابيش وتشترى الهدايا، وتنفق الأموال ويتأهب الشباب المأزوم للرقص والابتذال والطرب الرخيص، الذى يولد أجيالاً تتحول إلى أعباء على أممهم.

وعيد الأم فى الحادى والعشرين من مارس بهائى دخيل، تبدأ به السنة البهائية ويسمى عيد النيروز، ثم زينوا له شعارًا هو عيد الأم وزفوه على المسرح الغربى ليعاد إلينا بطابع الفرنجة فى زىٍّ عصرى خلاب[1] فقد تلقفه الغرب بعد تفكك عرى الأسرة وإطلاق المجتمع الغربى للأبناء فى سن مبكرة بعيدة عن الجو الأسرى بدعوى الاستقلال، أما نحن فالأم نحتفل بها كل يوم، وإن أصابها الكبر فاستضافتها واجبة مع الدعاء الدائب لها: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء:٢٤].

ويا للحسرة لقد أصبح عيد الكريسماس عيدًا للأغلبية الشعبية من المسلمين، يتبادلون فيه التهانى أو يمضون الساعات حتى الصباح فى الخلاعة (والرقاعة) والبذخ والسَّرَف، والمباهاة، وارتكاب المحرمات، مع غفلتهم بالكلية عن السنة الهجرية.

نحن أولى بالاحتفال بميلاد المسيح ولكن على نهج الاحتفال بميلاد المصطفى محمد رسول الله ﷺ بغير استطالة إلى منكر، أو تنحية للفضائل أو تحول المجتمع الإسلامى إلى بيئة تلهو بآداب غيرها ناسية أعراف دينها.

إن أفراح المسلمين تعمق الاعتبارات الإنسانية وتهيئ للمودة فى القربى، وهنا مكمن السعادة والتوازن النفسى وهى ليست فى حاجة إلى أفراح أو انشراح مستورد.

وأما أعياد الميلاد فإن كان عيد الميلاد مقصورًا على عشيرتك الأقربين وأصدقائك المقربين فثم وجه الله، فهو مودة وإخاء شريطة ألا يتحول إلى مرقص ليلى للجنسين أو مرتعًا للتدريب على التَّفاهة، ويصير حلقة فى مسلسل التقليد للغرب.

هنيئًا لشعب الصين و حكومته فقد أصدرت قرارًا بمنع احتفالات الكريسماس

(١) د. بنت الشاطئ، أصولنا العربية والبهائى الدخيل الأهرام فى ١٩٨٦/٣/٢١م.

ويابا نويل وعيد الحب وكذبة إبريل فى المدارس والجامعات لإنهاء عادات سلوكية لا علاقة لها بالتقاليد الصينية[1]. فهل يقتدى بها المسلمون؟

## ٦- البنون على البنات فى معاهد التعليم:

الحركات النسائية المغمورة المدعومة بأهل الفكر المفتون بالغرب تكسر الحواجز بين الجنسين وتسوِّغ الاختلاط بزخرف القول، وتقدمه على أنه ضرورة نفسية واجتماعية، فمعه تنتفى العقد النفسية ويتلاشى الشعور بالخجل ويعلم الذوق فى وجود الجنس الآخر ويشتعل التنافس، ودعواهم تلك داحضة، فأخطار الاختلاط بين المراهقين والمراهقات بالقناطير المقنطرة أقلها الإرهاق المبكر للجنسين وظهور الأعراض الأنثوية على الشباب وظهور أعراض الخشونة على البنات، وبداية المشاجرات بين الطلاب بسبب الجنس، والذكور يعبرون عن عواطفهم بعبارات على مقاعد البنات، تضطرب معها العواطف والأفكار والرؤى، فضلاً عن إثارة الغرائز[2] بل وصل الأمر إلى تحرير عقود زواج للطلبة بالطالبات على ورق الكراسات ثم يتلوه زواج رسمى عاجل ولو فى أقسام الشرطة، حين تنتفخ البطون ويكشف المستور وتفوح الرائحة.

وإن تعجب فعجب أن تعلم أن التعليم فى المدارس المسيحية الكاثوليكية لا يعرف الخلط بين الجنسين.

إن أداء التلاميذ فى اختبار الثانوية العامة (الجى. سى. إس. إيه) فى الفصول غير المختلطة كان أفضل من أداء زملائهم فى المدارس المختلطة التى يموج فيها الجنسان بعضهم ببعض، والبنات بوجه خاص يستوعبن بصورة أفضل فى المدارس غير المختلطة.

والتعليم فى سن المراهقة لا يزيد ثقة الشباب الخجول بنفسه، وإنما ثقته تزداد بالتحصيل والمذاكرة، والمنافسة العلمية تكون أشد ضراوة بين أبناء الجنس الواحد، فلو أن سؤالاً وجه للطالب فإنه فى حضرة البنات قد يضطرب خيفة الفشل أمام الجنس الآخر، وكذلك الأمر بالنسبة للفتيات؛ لأن الاختلاط المبكر لا يتأبط إلا شرًا، فآثاره المدمرة أن تصبح المراهقات بين عشية وضحاها من أولات

---

(١) الأهرام فى ١٠/١٢/١٩٩٣م.

(٢) المسلمون العدد (٤٥٥) ٧ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ - ٢٢/١٠/١٩٩٣م.

الأحمال قبل الأوان، وأى خير يرجى بعد هذا الاختلاط الذى يفتن المؤمنين والمؤمنات، غداة انحسار تيار الثقافة الإسلامية البناءة.

إن الاختلاط فى الإسلام نوعان: مشروع وممنوع، أما المشروع فهو فى مواطن ثلاثة: موطن العبادة كالحج، وموطن العلم على أن يكون لكلٍّ جزءٌ مقسوم، بينهما برزخ لا يبغيان، وموطن الجهاد حيث يقمن بالتطبيب وسقى العطشى، بل والجهاد إذا لزم الأمر.

إن الإسلام لا يعرف سلوكيات المودة الهابطة، والتى تتجاوز إطار الدين؛ لأن كلا منها لا يزال غريبًا عن الآخر، وتصل العلاقة إلى الخلوة انبهارًا بالتقليد والغزو السلوكى، بل إنه فى المدارس المختلطة تمارس الرياضة البدنية المشتركة وهو ما يخالف شريعة موسى وعيسى ابن مريم وما أوتى النبيون من ربهم.

وباختصار شديد فإن التعليم المختلط إثمه أكبر من نفعه مهما كابر أهل التنوير؛ لأن الأمر يصل إلى زيجات بين الطلبة والطالبات أحيانًا وزيجات سبقتها من المنكرات، وهو زواج مكتوب على ورقة طلاق كما يقول أهل التربية والإصلاح لانتفاء الأجواء المناسبة له.

وهل تصدق أن الرئيس الأمريكى(١) قد صدَّق على مشروع قرار يقضى بمنع الاختلاط بين الجنسين فى المدارس العامة وإعطاء معونة مادية أكبر للمدارس التى تلتزم بتنفيذ القرار؟! وهو ما يقضى على وضع قائم منذ ثلاثين عامًا فى المدارس الأمريكية وذلك تأسيسًا على أن الفصل بين الجنسين فى مجال الدراسة يساعد على اجتياز الجنسين المراحل الدراسية بصورة أفضل.

## ٧- تبادل الزوجات:

شاهد ومشهود رآهم رأى العين، ثلة من الرجال ومثلهم من النساء، أزواجًا وزوجات، عشاقًا وعشيقات، يعرفون بعضهم بعضًا جاءوا معًا ليستمتع بعضهم ببعض، فهذا رجل – ووا أسفاه على هذا التعبير – يغازل عشيقته أمام زوجته، وهذه امرأة ترتمى أمام زوجها فى أحضان صديقه الصدوق ليعبث بالحرمات أمام الآخر الديوث!!

(١) الأهرام ٢٤/٧/٢٠٠٢م.

هذا ما سطره بالحرف الواحد الأستاذ عادل حمودة الكاتب الصحفى المرموق[1].

أفكار متبادلة وأجساد لا تشعر بالغربة ولا تعرف معنى الحياء وتجمع الصديق مع الزوجة.

ويضيف الكاتب المذكور: عندما أبديت دهشتى ولوعتى من هذا التردى السلوكى خرج عليه من يتهمه بالغفلة والرجعية والقصور فى متابعة ما يجد على الساحة من انحدار وانهيار، خاصة من فئات تحظى بالحظوة فى الإعلام، سول لهم الشيطان وأملى لهم، فذلك عرف معروف عند شواذ أهل المدنية الغربية، نعم هى فئة قليلة عندنا، شرهم مستطير، سرعان ما ينتشر، نعوذ بالله من شر قد اقترب فى ساحة العرب.

## ٨- الفتيات الفاتنات فى الإعلانات:

السمة العامة لفتاة الإعلان هى صغر السن والجمال الأخاذ، بالإضافة إلى استخدام المرأة الأجنبية بكل مقاييس جمالها فى مجتمعنا العربى والإسلامى، على نحو لا يدعم مكانة المرأة بل يؤثر سلبيًا فى كراهية الرجل لزوجته سيما المرهقة فى عملها، حين يقارن بينها وبين الفتاة المأجورة التى تطل عليهما لعرض أنوثتها[2]، ضرة بغير ضرة حقًا.

فهل الإعلان عن بطاطس أو بطاطين فى التلفاز يستلزم راقصات فى الإعلانات التى تعتمد على صورة الأنثى الجذابة فى وضع مثير للغرائز لترويج السلع والمنتجات بالحركات والإيماءات والإيحاءات الجنسية وبصورة لا تليق بامرأة تُدعى إلى الإسلام، لتستدرج المشاهد من غرائزه؟! هل تروج لمرقة الدجاج أو الصابون أو السيراميك أم تروج للصدر والخصر وهز الأرداف والالتفاف وتلعيب الحواجب[3]؟!

وليت الأمر مقصور على الفتيات البالغات بل تجاوز إلى الطفل الذى تحول بدوره إلى نجم صاعد حسب قاموس الفنانين، قبلات متبادلة، يضع الماكياج على وجهه وتستغل براءته من أجل الكسب السريع ليتحول بعد فترة إلى شخصية

(١) فى جريدة عين فى ٢٠٠٣/٨/٢١م. (٢) المسلمون فى ١٩٩٢/١/٣١م.
(٣) د. مصطفى محمود الأهرام فى ١٩٩٢/٥/٢م.

يعشق ذاته وتصبح الشهرة شغله مع ما يتلو ذلك من آثار مدمرة فضلاً عما يترسب عند ملايين المشاهدين الأطفال من حب تقليده، ويتحول الطفل فى النهاية إلى صبىٍّ عجوز.

ومجلس الشورى فى مصر قد تطرق إلى بحث هذا الحدث، لأثره السيئ على الناشئة بالتنبيه لخطورة الإعلانات الفاضحة للأفلام السينمائية التى تعرض فى صورة لافتات بكل شارع[1].

هناك ضوابط إسلامية للإعلان ترفض المبالغة والإثارة، واستغلال المرأة فيما يخالف تعاليم الإسلام لما فيها من الإثارة وكشف العورات المستورة وإبراز المفاتن[2].

## ٩- رياح أوروبا تعصف بالعمامة والجلباب كما عصفت بالحجاب[3]:

### ( أ ) رجال الدين يتخلون عن زيِّهم الرصين:

إذا دخلت رحاب جامعة الأزهر لا تكاد تعثر على عالم يلبس لبس الأزهر الشريف، ويقول العلامة ابن السبكى: إن تمييز الأشراف بعلامة أمر مشروع. ومن قبل كان أبو يوسف من أصحاب أبى حنيفة رضى الله عنهما يرى تخصيص العلماء بزىٍّ ليعرفوا فيطاعوا، ولتكون كلمتهم هى العليا أينما كانوا، وهو حينئذ أمر مندوب، حتى وإن لم يفعله السلف لأن فيه تمييزًا لهم فى عصور التمييز.

ففى كل عصر ومصر نجد لرجال الدين لباسًا خاصًا يميزهم عن القوم، تمييزًا يُجِل قدرهم ويلقى عليهم تبعات جسامًا فى السلوك السوى، ويجعل لهم عند الناس إيثارًا وليكونوا فى النفوس كبارًا، سيما إذا خرجوا من ديارهم ليطوفوا بأرجاء المعمورة.

فهاكم إخواننا فى الإيمان رجال الدين المسيحى فى أغلب بلدان العالم وفى مصر يحسب لهم أنهم متمسكون بزيهم لم ينتهوا عنه، أما علماء الأزهر فى بلد كمصر وهم ملح البلد فقد ألقوا وتخلوا عن زيِّهم الذى تعارف الناس عليه، وأصبحوا ينأون عنه تحت وطأة التغريب الذى داهمهم أيضًا.

(١) الأهرام فى ١٤/٤/١٩٩٣م.
(٢) صحيفة الأنباء ملحق الإيمان فى ٥/٣/١٩٩٩م.
(٣) ملحق الأهرام فى ٣/٨/٢٠٠٢م.

حتى الصاعدون على المنابر، زادت قابليتهم للتأثر. فعبّوا من التقليد، وقد يسأل سائل: هل هناك من زى لرجال الدين؟ والجواب على ذلك: فاسألوا أصحاب الملة الأخرى، هل هناك زى خاص بهم؟ والجواب بالإيجاب، وحينئذ يكون علماؤنا أحق به وأهله، وقد أصبح الزى المعروف من قبيل تعظيم شعائر ديننا.

كم يكون المسلم فرحًا فخورًا حين يلتقى برجال الدين فى زيهم الذى ألفناهم عليه، والمظهر يدل على الجوهر، فيا رجال الدين يا ملح البلد، وأنتم مظهر للدين فى ديار المسلمين، زى تعلقت به القلوب الراشدة وفى اندثاره غياب رمز من رموز الأمة.

### (ب) وجلباب العرب الآن يساوره الهرب:

لباس له رونق وبهاء، وهو أبلغ تعبير عن الهوية والشخصية سيما فى الجزيرة العربية، فضلاً عن أنه سرابيل تقيهم الحر فهو أشبه بمكيف للهواء يلطف من حرارة الصحراء، وارتداؤه من علامات حب رسول الله ﷺ الذى كان يلبس بيض الثياب، وهو يحمل فى طياته كل الفضائل وثلة من المحاسن، فهو رمز الكرم والشجاعة والوفاء والفطرة الجيدة، حتى لقد اتخذ شهرة تجوب الآفاق، ويتمتع أصحابه بمكانة فى المحافل الدولية؛ لأنه أصدق تعبير عن الشخصية العربية، وقد شاء الله أن يحمل فى طياته طابع الثراء فى هذا العصر.

ولكن جرثومة التقليد لم تترك هانئًا يرفل فى حلل السعادة، فراح أصحابه يهيمون فى التقليد وهم فى الصحراء غافلين عن أن ما فعلوه هزيمة سلوكية تصيب المظهر وسرعان ما تتسرب إلى الجوهر، فيتحول ابن الجزيرة العربية إلى خلق آخر وما أهلٌ لذلك.

حتى الوفود العربية الرسمية صارت فى المحافل الدولية تتخلى عن زيها الرصين، وذلك أصدق تعبير عن الشعور بالدونية الذى يعكس بعض مظاهر الهزيمة السلوكية وهم لا يزالون قدوة لكل من ينتسب إلى العربية.

إن جلباب العرب يتهم قومه أبناء الجزيرة العربية بالجحود، ولكن التقليد صار يغشاهم من أعلاهم إلى أدناهم، ظانين أنهم بذلك أدركوا ركب الحضارة وهم واهمون، فمن مظاهر الحضارة لباس القوم لا التنكر له.

## ١٠ - عمارتنا الإسلامية تغرب فى عين حمئة:

العمارة الإسلامية فى أوطاننا معجزة كبرى طوقت شرقنا أو غربنا، تشد الحس دائمًا إلى مواطن الجمال التى تفرَّد فيها سلفنا الصالح، تحكى اقتدارهم وجدارتهم، وتصور الإيحاء بالمعنى الذى يجب على المكان الإيحاء به للإنسان، ومن ثم دخلت بعضها ضمن زمرة عجائب الدنيا، فهل يستوى ذلك الإعجاز بالعمارة المستوردة والتى تقوم على استغلال كل سنتيمتر من أجل الربح، دون مراعاة لراحة المقيم وظروف التهوية والإضاءة[١].

ها هى إحدى عجائب الدنيا السبع – تاج محل – تحكى لنا من الهند واحدة من روعة عمارتنا، ومع غيرها رفعت المدنية الإسلامية مكانًا عليًا فاستحوذ كل أولئك على إعجاب العالم بأسره وصارت تُشَد إليه الرحال، سيما أبناء الغرب المتيمين بالثقافة الفريدة، وكم نوه الباحثون والعلماء والمؤتمرون بأنها كانت عمارة فريدة على مر الزمن بهرت أعين الناس، وكانت أحرى باشتمالها على مناطق الخدمات والمتاحف والحدائق والأجهزة الحكومية واحتوائها للإضافات المتتالية التى تستوعب المدنية كلما جد فيها جديد[٢].

والفنون الإسلامية من أعظم الفنون وأطولها عمرًا فى التاريخ، وقد بلغت فى رقيها ما يغيظ الأجانب أو يعجبهم، وهى من الرصيد الكبير الذى سلمته الحضارة الإسلامية الباسقة للغرب إلهامًا لفنانيهم[٣] فالعمارة الإسلامية تمتاز بملامح جمالية مميزة على مر التاريخ، فالقباب والساحات الإسلامية المكشوفة تمنحها خصوصيتها، وفى الوقت نفسه هى غاية فى البساطة والأناقة والانسجام.

فى أوروبا يصمم المصممون مبانيهم بلا شرفات أو مشربيات لعدم الحاجة إليها إزاء الصقيع والثلج والبرد، والنوافذ الزجاجية لا تغطى بشيش خشبى كالذى عندنا ليقاوم الحرارة فلا قيظ لديهم، ومن ناحية أخرى فهى تصمم على اتساع لكى تستقبل أكبر قدر من الحرارة حين تشرق الشمس، تلك فوارق بين البيئة الأوروبية والصقيع وبيئة أسيا وإفريقيا، فلم نقلد بنيانهم الذى بنوا فتصمم الواجهات والحجرات والشرفات على النموذج الغربى، ويحتل الزجاج والألومنيوم

(١) ثروت عكاشة، القيم الجمالية فى العمارة الإسلامية. (٢) مقال بالأهرام فى ١٩٩١/٧/٧م.

(٣) عبدالغنى عبد الله، جامع عمرو بن العاص أول العمائر الإسلامية فى إفريقيا، مجلة الأمة، جمادى الأولى ١٤٠٥هـ.

مساحة كبيرة فى عمارتنا مكتوين فى بلادنا بالحر حتى تغرب الشمس، ونقلد الغرب فى بروج مشيدة ومبانٍ شاهقة تعلو علوًا كبيرًا فتحجب عنا الهواء والضوء والشمس، وأرضيات بالموكيت تبوح لنا بالحر متنكرين لبلادنا وقد أغدقت علينا.

وإذا جاز التمرد على الأصالة بدعوى المعاصرة، فلا يجوز التمرد على ظروف المناخ والبيئة، فالعمارة فى بلادنا سرابيل تقيكم الحر فهل نستبدل بها عمارة تقاوم الصقيع؟ إلى هذا الحد من الانهزام الثقافى نتورط فى تقليد الغرب ونلقى ستارًا من الدخان أو العتامة الثقافية على عمارتنا الشامخة.

إن للهوية المعمارية نصيبًا مفروضًا فى شخصية الأمة فهى تعبير عن الحضارة والقيم السائدة كالمساجد مثلاً فى الشرق الإسلامى، أو الكنائس فى الغرب الصليبى.

كم بهرت القاهرة الإسلامية وحدها أعين الناس بالألف مئذنة، وفيها أكبر متحف ومخزن مفتوح للعمارة والفنون الإسلامية فى العالم!

كم أسهمت العمارة الإسلامية فى تغيير المعتقدات وكم ارتقت المساجد بالقيم الجمالية(١)!

إنه إثم كبير فى حق الأمة إن لم يكن نوعًا من الجهالة، التمرد على الأصالة بدعاوى المعاصرة، فالطراز الإسلامى حلقات متصل بعضها ببعض، لامتداد عروق الحضارة، والمتخصصون فى المهنة يأخذون من التراث القديم مع الاستفادة من تقنية البناء ومنجزات العصر، والعمارة الإسلامية لا تعادى التطور، وإنما ما ألمَّ بنا هو انقطاع تيار الحضارة الإسلامية لقرون عديدة بفعل الغزو العسكرى، وارتباط المثقفين المسلمين بالتوجهات الغربية.

وهاكم اقرءوا عن أضرار العمارة الحديثة المقتبسة؛ فلقد كشفت الدراسات والأبحاث أن العاملين فى المكاتب الحديثة فى الأبنية المصممة على النمط الغربى تغشاهم أمراض شتى تزمن مع الزمن، لم تكن معروفة من قبل، بفضل الأرضيات الصناعية وكيماويات البناء والطلاء.

ولا يزال بنياننا الذى بناه لنا الأولون فى الأندلس شاهدًا على روعة الحضارة الإسلامية، وما تميزت به من الفخامة والضخامة ولا تزال قائمة على أصولها إلى

(١) صحيفة الأنباء، ملحق الإيمان فى ٢٠٠١/١١/١٢م.

اليوم تبهر العالم على الرغم من رحيل المسلمين عنها منذ قرون عديدة، بعد أن مكثوا هناك ثمانمائة عام من الزمان، وكم أفادت منها الحضارة المعاصرة الغربية.

## ١١ - الحفاوة بالكلاب على النمط الغربي:

الكلاب في الغرب تعيش عصرها ومجدها وأبهى حللها، هناك اليوم منتجعات ترفيهية للكلاب، تمرح الكلاب فيها في صالات للألعاب وحمامات للسباحة وصالونات للعناية بالجسم وجماله.

نعم الخِل الوفي والأنيس الجليس عند أهل الحضارة الغربية، بل هو البديل الشرعي للإنسان عن الإنسان، وهو اليوم يرتع ويلعب كالأطفال، كذلك يأكل ويتمتع كالإنسان، لا بل إن الكلاب هناك قد أغرقت في الترف والنعيم المقيم بينما حقوق الإنسان في العالم الثالث في أسفل سافلين. فبعد أن هجرت المودة في القربى صار للكلاب مكانة في المجتمع، وأصبح ينشأ في الحلية منذ نعومة الأظافر، ففي فرنسا مثلاً تجد صالونات للحلاقة والتجميل لا يدخلها إلا الكلاب وأصحابها يقصون شعرها ويحسنون هندامها، يطعمونها أطيب الطعام، فلحم الضأن منه يأكلون والأسود تموت في البيداء جوعًا. ونجدها محمولة على الأعناق في السيارات الفاخرة أو الفيلات الأنيقة تحملها النساء على صدورهن، يسرون إليهم بالمودة، ويأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فلتهنأ الكلاب حقًا هناك!!

يقول الأستاذ أنيس منصور في قول مأثور: «أنعم ما في حياتي زوجتي والسيارة والكلب، ولكن ليس بهذا الترتيب».

وفي روما مهد الحضارة والمجد العتيق، تجد لها حمامات للسباحة ودورات للمياه، بل للكلب المدلل حجرة للنوم وسرير خارجي، وقميص للنوم، وإذا طلع إلى الطريق فله مظلة واقية، بل هناك العيادات النفسية لمن أصابه الاكتئاب، وإذا مات الكلب فنعيه في الصحافة وفيه يتقبل العزاء، وآخر الأنباء أن هناك بيوتًا لرشاقة الكلاب، بل هناك استعراضات للأزياء نجومها الكلاب ولهم مصممون للأزياء.

وهذا كله هين إذا علمنا أن الأوروبيين يكتبون وصاياهم قبل مماتهم للكلاب، فيحجب أصحاب الحقوق عن أنصبتهم في الميراث، وتذهب القناطير المقنطرة سدى.

ولقد انتقل قبس من ذلك السلوك الميمون إلى أبناء العرب المتيمين بالغرب

فدخلوا بذلك مع الداخلين فى زمرة المتحضرين، والفقراء فى أمتنا أحوج المحتاجين وهم بالملايين، فتجدها فى سياراتهم أو على صدور النساء محضونة، وبالجملة تجد حفاوة بالغة بها وأنواعًا من التدليل تغيظ الشرفاء والعقلاء بل والأغبياء.

ولقد كان رسول الله ﷺ يوصى خيرًا بالحيوان بل إن الرفق بالحيوان مبدأ إسلامى عريض، والكلب يستأنس به للحراسة ولكن خارج المنزل، فلقد نهى ﷺ عن اقتناء الكلاب داخل البيت؛ يقول ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب أو صورة**». والأضرار شتى من مخالطة الحيوان كشف عنها الطب الحديث، فمخالطة الكلاب والقطط تنقل الفيروسات والأمراض الخطيرة؛ لأن شعر الحيوانات مرتع خصيب لتكاثر الجراثيم والحشرات التى تنقل أمراض الحساسية والسل الرئوى والأمراض الجلدية والعقم، فضلاً عن عضة الكلب ولعابه التى قد تودى بحياة الإنسان. فهل أنتم منتهون أيها المقلدون؟

إن طبقة الأثرياء الجدد عندنا كثير من أقاربهم معوزون، أفلا يكونون أولى بالرعاية من الكلاب المرفهة؟

نعم ربما يود كثير من بنى الإنسان أن يدخلوا فى حظيرة الكلاب حتى يفوزوا مثلهم بالنعيم المقيم.

## ١٢ - ملابس مستوردة وعبارات جارحة:

ألفاظ قبيحة أو مثيرة أو مخالفة للدين والأعراف، ألوف مؤلفة من الفتيان والفتيات فرحون فخورون بها، تَحَلّوا بتلك الأزياء بما اتشحت به من عبارات مخجلة، جهالة أو عمدًا، سفهًا بغير علم، ظانين ظن السوء أن هنا يكمن التطور المنشود، لم يجدوا وليًا مرشدًا أو ناصحًا أمينًا، فأحذية ضخمة وجينزات ممزقة وأزياء عجيبة وألبسة مضحكة ورغبات للمراهقين لا حدود لها كلها تدور فى فلك الملابس الغريبة الغربية.

سأل سائل فى بريد الأهرام ٢٠٠٠/٢/٣م (لمن يشتكى؟) عميد متقاعد بعث بشكوى تنبض بالألم فحواها أنه ذهب مع ابنه البالغ من العمر (١٦) سنة لكى يشترى له (فانلة) خارجية فاضطر للمرور على جميع المحلات التى تعرض هذا

الصنف فى مدينة المنصورة بمصر، وكم كانت دهشته أن جميع هذه الفانلات عليها مسميات لا يعرفها، وما عرف منها كان مستفزًا ولا يمت إلى الرجولة بشىء ورجع ابنه بخُفَّى حنينٍ وهو كظيم، أما هو فقد آثر الندامة على العنت الذى صادفه وعلى ذيوع وشيوع هذه الأزياء المنكرة فى مجتمع آل محمد رسول الله ﷺ.

وهذا أستاذ جامعى بعث برسالة إلى جريدة الأهرام فى ٢٠٠١/١٢/٢٦م تقول: أثناء خطبة الجمعة وقع بصرى على قميص يرتديه شاب فى الصف الأمامى مكتوب عليه بالإنجليزية: «أنا فخور بأننى - صدقوا أو لا تصدقوا - ابن حرام غبى». وفى إحدى ليالى رمضان وجدت فتاة ترتدى «تى شيرت» مكتوبًا على صدره «لا تلمس» مع ملاحظة أن (لا) مكتوبة بخط صغير جدًا بينما كبرت جدًّا عبارة «المس».

وإذا رأيت ثم رأيت هنا وهناك نرى على ملابس الفتيات عبارات باللغة الأجنبية تعلو صدورهن مطبوعة على البلوزات المستوردة، يتسابق عليها فتياتنا ونساؤنا، ومثلها عبارات على ملابس الشباب لا تعرف المعروف أو تنكر المنكر، وصور للفنانين العالميين المبدعين وهم لم يبدعوا فى شىء إلا توريثنا كمًّ التفاهة، فنقرأ على قميص الفتاة عبارات مخجلة تعلو صدرها؛ فهاكم اقرءوا مثلاً «تفاحتان للآكلين»، «زهور لمن يقطفها»، «زهور يانعة»، «ملىء بالحيوية»، «أنا أحبك»، «أنا شاذ» وكلها تحمل زخارف القول غرورًا ببناتنا وشبابنا، عقول معطلة وغرائز منفعلة، يعيشون عصر التقدم الاستهلاكى الذى ابتلى به المسلمون فينطلى عليهم كل وافد ولو فاسد!!

وحسنًا فعلت دولة الكويت فقد أصدرت القانون رقم ١ لسنة ٢٠٠١م بتعديل قانون التجارة بأنه لا يجوز أن تكون هناك علامة تجارية تخل بالآداب العامة من كلمات أو رموز أو تصاوير أو نقوش أو أى إشارة قابلة للإدراك بالنظر تستخدم فى تمييز بضائع أو منتجات تعرض للبيع.

وقد وجد فى متاجر ميتشجان بالولايات المتحدة محلات تبيع بنطلونات جينز نسائى عليها آيات من القرآن الكريم وطبع عليها لفظ الجلالة والبسملة، وهكذا بالله وآياته يستهزئون(١).

(١) الأهرام فى ٢٨ يوليو سنة ٢٠٠٠م.

## ١٣ - ماكياج مستورد للبراعم المسلمة:

فى الوقت الذى يحذر فيه الناصحون من أضرار الأصباغ وأخطار الكيماويات على الوجه والبدن، طرح فى الأسواق آخر فنون وجنون الموضة المستوردة تحت بند أدوات تجميل الطفلة، حتى تمتنع عن استخدام ماكياج والدتها، وصارت البنات فى سن الرابعة تصر على استخدامه حين تخرج من بيتها فى المناسبات السارة.

وخطورة هذا التقليد كامنة وكافية فى إصابته لجهاز المناعة، لأن بشرة الأطفال سريعة الامتصاص سيما أنها قد تكون منتجات غير معروفة المنشأ.

وهذه المواد وإن دخلت فى رحاب التدليل فإن الأطباء جميعهم يحذرون منها؛ لأن فى هذا التقليد تخطيًا للمراحل العمرية والنفسية التى يجب أن تمر بها الطفلة، ويجب أن تعيش خلالها فى براءة ولن تستطيع الأم فى المستقبل أن تقف أمام رغبات ابنتها إذا رضخت لتلك التقاليد لما يتلوها من المساوئ[1].

## ١٤ - حفلات التأبين:

يقال فى الحكمة: ثلاثة عديمة النفع «قول بلا عمل، وتأبين الأموات، والندم على ما فات». أما مصير الميت فى الدار الآخرة فمرهون بعمله فكل امرئ بما كسب رهين.

أما تأبين الأموات و حيث يتأبط زوجة الفقيد أى رجل وجيه أو ذو مكانة فهو تقليد غربى قد يكون مبعثه عندهم أمور كثيرة: أقلها العقيدة المبهمة فيما يتعلق بمصير الميت، وبالجملة فإن مبلغهم من العلم عن الدار الآخرة أقل من المحدود، ومن ثم يسبق الدفن كذلك حمل الجثة تجرها الخيول والموسيقا تنظم إيقاع الموكب الجنائزى، وكم نتلمس العذر لأهل الغرب بسبب عتامة الفكر فى مسائل العقيدة الدينية وما تجلبه من الفراغ العقائدى، ناهيك عن اختراقهم بفلسفات الوجودية العدمية بعد الموت والتى تزيد من كم العطش الروحى.

أما ديننا فهو حقًّا دينٌ قيمٌ، يهدى للتى هى أقوم ويرشد الحيارى، فميزان التفاضل وعلو القدر هو العمل الصالح وحده، فلا التأبين ينفعه ولا الموسيقا الجنائزية التى تقدمه؛ فحسابه عند ربه.

(١) د. عمر شاهين، الأهرام ١٤/١١/١٩٩٧م.

إن ابن آدم إذا مات لا يرفع قدره إلا ثلاث، علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له أو صدقة جارية، ولن ينفعه نعى فى حفل مهيب ولو اجتمع له العظماء والكبراء وألقيت فيه قصائد الشعراء والمدائح من النظراء.

### لبس البرانيط فى تركيا :

فى تركيا المسلمة، كعبة الخلافة الإسلامية من قبل، يحيونك بالبرانيط، أدخلها أتاتورك إلى بلاده ليتشبه الأتراك بالغرب، حين يُحيِّى بعضهم بعضًا بدلاً من إلقاء السلام تحية الإسلام، فيكون بالقبعة نفسها وهزها باليد، ولقد أفتى الشيخ محمد عبده ـ والذى لبث من عمره سنين فى ديار الغرب ـ بأن لبس البرنيطة إذا لم يقصد فاعله الخروج عن الإسلام والدخول فى دين غيره فلا يعد كفرًا، وإذا كان اللبس لحاجة كحجب شمس أو دفع مكروه أو تيسير مصلحة لم يكره ذلك لزوال معنى التشبه بالمرة[1].

## ١٥ - نوادٍ بلا هوية فى بلاد العقيدة النقية:

أعضاؤها وروادها هم أولو النعمة فى بلادهم، همهم تحقيق السعادة بالاستجابة لمطالب الغرائز البشرية، وشروط العضوية فيها أن يكون ذا مكانة متحررًا من أفكاره وسلوكياته وأن يؤمن بأن الإنسانية فوق كل الأديان، والأديان كلها سواء، والتعصب لدين معين يثير الأحقاد بين الشعوب، وتذوب الأديان فى بعضها وهو تحقيق لدار السلام، والأخوة فوق اختلاف الجنس والعقيدة، وبالجملة ترفع لافتات كذابة جذابة تشد أغنياء القوم وتخدع أصحاب الوجاهة فيؤمها المثقفون الفقراء فى الوعى الإسلامى، فهى خير داع إلى الوحدة، وحدة البشر وهدفها الإخاء والمساواة والتعاون المشترك، وهى تحترم السلطات المدنية ولا تشارك فى الحركات السياسية، تلك دعواهم، وتلكم أندية الروتارى والليونز وجمعيات الذواقة والمتفائلات التى أسرت العديد من أصحاب القلم والنفوذ الإعلامى، وكم كان لهذه الجمعيات الفضل فى الانقلابات السياسية سيما الانقلاب العثمانى الذى بعثر الدول الإسلامية.

نوادٍ تجوس خلال الديار الإسلامية لكى تهيمن على العقول المستنيرة فلا تريهم إلا ما ترى، وهى لا تقبل غير أبناء الطبقات الراقية، فترى هناك رجالاً

(١) اللواء الإسلامى، العدد (٥٠٥) ١٧ ربيع الأول سنة ١٤١٢هـ الموافق ٢٦ سبتمبر ١٩٩١م.

كثيرًا ونساء ممن لهم باع فى الفكر أو ضلع فى السياسة، أما عن أضرار هذه النوادى فهى جمعيات سرية فى تكوينها، مموهة شعاراتها، تعكر صفو الواقع الإسلامى فى حِلِّها وترحالها واجتماعاتها الداعية إلى المساواة والتحرر والانطلاق، وهى إذ تستقطب أكابر القوم وصناع القرار فهى من وراء عرقلة تطبيق الشريعة الإسلامية فى بلادها، ومن ناحية أخرى فهى تضمر الترويج للإباحية عن طريق نشراتها واجتماعاتها الداعية إلى تحرير المرأة، وتقديس الجنس وإذابة الخجل[1]. وتبادل الزيارات بين الطلبة والطالبات، وهو ما يتنافى مع قيم دين القيمة، ونظرًا لغرابة هذه النوادى واستقطابها لرجال الدولة وبذكاء بالغ لبلوغ مآربها التى تخدم الصهيونية؛ ولأن أصابع الاتهام تدخلها قفص الاتهام، فكان البيان الصادر من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف والممهور بتوقيع فضيلة الشيخ عبد الله المشد يؤكد أن الأندية الماسونية والمؤسسات العاملة فى فلكها (نوادى الليونز والروتارى) هى من المنظمات الهدامة التى تسيطر عليها الصهيونية ابتغاء الهيمنة على العالم وبث سمومها وأدرانها[2] وكذلك كان حكم مجمع الفقه بمكة المكرمة، لأن العالم كله يلتف حولها ويستضىء بهديها.

وكما أسلفنا القول أين تكمن جذورها الغائرة؟ الجواب الكافى عند رجال الأمن فهم أعلم بها، هل تخفى فى طياتها الماسونية؟ وكان النادى الماسونى قد أغلق فى مصر عام ١٩٦٤م، ولكن الماسونية عادت إلى عالمنا الإسلامى عام ١٩٨٢م بأسلوب مبتكر عن طريق أندية الروتارى والليونز، فما هو شأن هذه النوادى؟

## ١٦ - ولد وبنت من أجل حياة أفضل:

الأسرة الغربية هى السعيدة، ولد وبنت من أجل حياة أفضل. نعم ولكن وما الحل إذا وهبك الله بنتين ولم يأت الولد؟ وما مصير الأسرة الصغيرة إذا مات الولد الوحيد مبكرًا أو صارت أمه لا تصلح للحمل؟ ناهيك عن أن كل شخص يود أن يكون له أخ يشد عضده، وكل فتاة تود أن تكون لها أخت تؤازرها فى السراء والضراء.

الصين حولوا تعدادها الضخم الذى زاد على المليار إلى ميزة فبنوا الصين

(١) المسلمون العدد (٥٩٢) ٧ يونيو سنة ١٩٩٦م.

(٢) صدرت هذه الفتوى فى ٢٥ شعبان سنة ١٤٠٥هـ ١٥ مايو سنة ١٩٨٥م.

العظيمة التى جعلت كل الآراء تُجمع على أنها القوة القادمة التى ستقف أمام القوة الأمريكية فى زمن قريب، قد يختلفون فى تقدير الزمن ولكنهم لا يختلفون على ظهورها كقوة معادلة لأمريكا وأن تكون هى دين الملك.

أما الأخبار الواردة من أوروبا بأن الأوروبيين يتناقصون بسبب عزوف الزوجة عن إنجاب الأطفال، اللهم إلا طفل واحد، امرأة الغرب صارت مثقلة فى حملها وأنهكها عملها ومن ثم صار الإنجاب عندها لا مرحبًا به، وقد تسرب هذا السلوك إلى الكثرة الكاثرة عندنا خاصة أكابر مثقفينا فصاروا يقنعون بطفل أو طفلين من أجل حياة أفضل بزعمهم.

وعندنا اليوم مقولة خادعة تسربت من المفهوم الغربى أن الأسرة الصغيرة هى السعيدة ولد وبنت من أجل حياة أفضل، لأن الغرب يعتبر الوفرة أساسًا للمتعة، وتسرب ذلك المفهوم إلينا كتمهيد للاستعمار الجديد، والاستعمار البيولوجى الذى يخططون له بإمعان، لوقف نمو العالم الثالث سيما بلاد المسلمين، لأن الإسلام هو قوة المستقبل الدافقة والعدو الأخضر بزعمهم.

فأملهم أن تكون قوانا فى حجم ضئيل فيسهل عليهم السيطرة على ثرواتنا الطبيعية، كما يوحون إلينا أن الدول النامية أفواه جائعة، وعليه أن يطعمهم من جوع، ومن هنا كان «الانفجار السكانى» بزعمهم، وأن الشعوب المتخلفة هى عبء على الرجل الأبيض، ناهيك عن تخوف اليهود من كثرة أبناء الأمة الإسلامية وجيوشها.

ودعاية الأفواه الجائعة فضلاً عن أنها دعاية مضللة، فإن الغرب هو سبب إفقار العالم الثالث، فهو ناهب ثرواته بتخطيط جيد وبرمجة ذكية فى الامتصاص.

والأبحاث الطبية الحديثة قد أوردت أن رحم المرأة وعاء تسكنه الأمراض إن لم يحتضن جنينًا، وهو ما يفسر لنا العلل التى حلت بنساء العصر والتى لم تكن من قبل، وحينئذ فلا تعجب أن ترى بلدًا كفرنسا تغرى نساءها بزيادة الإنجاب (شرعيًا أو غير شرعى فهما يستويان مثلاً)، غداة التفكك الأسرى بل وانقراض الأسرة، وخوفهم من الشيخوخة المبكرة على الوطن فى العقود القادمة، وقد أفلح السلوك الغربى مع الطبقات التى هى أعز مالاً فى بلاد المسلمين، فانصاعت

لدعوات الإقلال من النسل خشية إملاق، مع أن بلدًا كمصر من أغنى بلاد العالم، حباها الله بكل الخيرات الحسان ويكفينا قول القرآن الكريم عنها: ﴿مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ﴾ [الزخرف:٥١]، ﴿مَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الدخان: ٥١].

فيها زروع وكنوز ومقام كريم ونعمة فيها فاكهون، تضم بين جنباتها العريضة (ثلث آثار العالم)، وخزانات للمياه الجوفية تزرع لمئات السنين، وأبناؤها خير أجناد الأرض، من يملك حقًا ملكًا كملك مصر؟ لو استغلوا خيراتها وثرواتها وآثارها لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم دون حاجة لكراهة الأجيال المقبلة أو أن تكون عبئًا على الجيل الحاضر، وصدق الله العظيم ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ [البقرة:٦١].

إن الأطفال ابتداء من السابعة حتى الرابعة عشرة مصابون بالخزى وبشعور خفى يتسلل إلى وجدانهم بأنهم غير مرغوب فيهم كأثر للدعاية المضادة للإنجاب.

وهناك فرق مهم بين تنظيم النسل وتحديده، فتنظيم النسل يدعو إليه القرآن الكريم، فالوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ثم يأتى الحمل بعد ذلك فى الطفل التالى، ومن ثم تكون الفترة بين الطفل وأخيه ما يقرب من ثلاث سنوات هذا دين القيمة[1]، وليس بعجيب فى مطلع الألفية الثالثة مايو عام ٢٠٠٠م أن يطلع رئيس وزراء بريطانيا (تونى بلير) على العالم بأنه أنجب طفله الرابع حثًا للإنجليز على الإنجاب، بعدما أصبحت بلاده مهددة بالشيخوخة المبكرة وانقراض الشباب.

إن ما تعانيه بعض بلداننا من فقر وفاقة ليس سببه زيادة السكان وإنما هو اغتيال الأغنياء لمقدرات الشرفاء وبعثرة المال، وفساد الموظفين فى إدارة الموارد الهائلة، واقتصاد متهم بالسرف والتلف، والتقدم الاستهلاكى الذى يبتلع الدخل واكتناز للذهب لدى السيدات وصدق الله العظيم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف:٨٦]. إن البداية والنهاية أنهم لا يريدون لدولة الإسلام أن تكون أعز نفرًا، ولو كان خالق الكون ومدبره يرى ملكه فى قلة الإنجاب ما ذكر فى كتابه العزيز : ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١].

(١) انظر جريدة الأهرام فى ٢٠٠٢/٨/٢٩م كلمة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر تحت عنوان: موقف الإسلام من تنظيم الأسرة.

## فى إيطاليا اليوم مكافأة لكل مولود جديد:[1]

هى تُسرُّ الندامة على ما قدمت يداها، فهى تكابد مثل العديد من الدول الأوروبية أزمة حادة وجدالاً مرًّا بشأن تناقص أعداد المواليد لديها مقابل زيادة فى أعداد كبار السن لا بل فى موتهم، فهى مقبلة على شفا أزمة سكانية حادة تكاد تعصف بها، حتى قال المحللون: إن القارة الأوروبية تواجه خطر الاحتضار فى العقود المقبلة.

ومن أجل ذلك تمنح كثير من الدول الأوروبية ومنها إيطاليا بوجه خاص مكافأة سخية لمن ينجب مولودًا، وكذلك فى فرنسا يفعلون، فقد منحتنا مكافأة سخية حين أنجبت بنتًا فى فرنسا، فشكرًا لباريس عاصمة النور.

## ١٧- حتى الأدب العربى بدوره طفق يقلد:

### كتاب مبدعون أم ناقلون للآداب الأجنبية؟

فاليوم قد سهل نقل نصوص أجنبية كاملة من على شبكة الإنترنت واستخدامها دون ذكر لمصادرها الأصلية، ولأن ما بين التأثر والاقتباس والتناص والسرقة مع سبق الإصرار خيوط رفيعة، فقد طال الأمر بعض كتابنا وكبارهم بنقل أعمالهم أو ردها لنصوص أجنبية، وقوانين الملكية الفكرية عندنا ـ على خلاف الغرب ـ ضعيفة التطبيق لا تعرف الحزم. وتَتبُّع الحبكة فى كثير من الأعمال الأدبية العربية سيكشف لنا أن لها مقابلاً فى الآداب العالمية كما يقول الدكتور محمد عنانى، وهذا ما يدخل بعض أدبائنا فى قفص الاتهام.

أدبنا أدب عالمى، قدم للإنسانية منظومة فريدة فى الحضارة الإنسانية، ينابيعه من العقيدة الصافية وثقافتها الإلهية البناءة، ومن ثم كان براء من الضلال والأساطير التى يموج بها الأدب الأوروبى، فقد استقر فى وجدان أديب الغرب أنه لا مجال لأن يلتقى قدر الله مع إرادة الإنسان، وأنه – تعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا ـ لا يمد يده إلى الإنسان فى ساعة العسرة، وأنه لا مجال لأن يكون القدر صديقًا للإنسان، ولذا راح أدباء الغرب يصرخون: ما تلك الحياة؟ وما المصير؟

تلك الصورة الشوهاء عن القدر تنحدر عن الأدب اليونانى، فذلك الإنسان تحاصره اللعنات والنكبات، وأنه يدخل فى صراع مرير مع القدر وهو ما يزيد فى الوثنية وقتامة القدر عندهم، وتراثنا الأدبى براء من كل أولئك، فلا خصومة

(١) عن صحيفة «الأوبزرفر» البريطانية، الأهرام فى ٢/٢/٢٠٠٣م.

عندنا بين الإنسان وخالقه، ولا شاعر ينعت القدر بالظلم والجور حتى فى قصائد الرثاء، ولكن الأدباء انخرطوا بدورهم فى طابور المقلدين، فأصبح هناك قدر أحمق كما يجترئ المفكرون عندنا.

ويتساءل الباحثون النقاد عما آل إليه حال المسرح التجريبى العربى والذى أصبح بين الهلوسة والإبداع[1].

وهاكم فوجًا من الأعمال الأدبية تسلل إلى الساحة العربية يحمل معه أوزارًا من الأدب الغربى لينشئ نوعًا من قطيعة الرحم بين أدبنا العربى وتراثنا الإسلامى فى مجال يغذى وجداننا، مبهورًا بما تحوزه الثقافة الغربية فى سرادقها من مسارح وزخارفَ، دون فطنة إلى العفن الذى يعشش فى مجال الدراسات الإنسانية، والذى يدفع إلى الانتحار فى وضَح النهار، وذلك على خلاف الثقافة الإسلامية التى تطمئن القلوب وتفتح أبواب السماء للملهوف.

بل إنه فى مجال النقد الأدبى سادت النظريات المستوردة فأصبح النقد بلا روح، فلقد كانت المعارك الأدبية الساخنة سابقًا حين كان النقاد يعبرون عن مكنون فكرهم وابتكارهم، ثم حلت النظريات الوافدة فأصيب النقد المعاصر بالبرود والفتور، لا بل كانت العاقبة فى غير المسرات، إذ وصل الأمر إلى ما يسمى بأدباء الغموض فى الإبداع، وهو ما يقود الأدب إلى الهاوية[2].

## ١٨ - التقليد فى نظام الحكم والسياسة:

### ( أ ) حكومات الناس فى الغرب أسوة حسنة:[3]

«حكومة الناس» تعبير يقصد به أن منهجها من صنع البشر، تلك الحكومات منها ما استعمر شعوبًا من الأرض واستذلهم فبدلت أمنهم خوفًا وحولتهم إلى جوعى، وأضاعت حقوق الإنسان قرونًا من الزمان، ولكن البعض عندنا عاشق لها متيم بها غافل عن مآسيها، يرى أن الحكومات التى هى من صنع الناس هى المثل الأعلى، متجاهلاً مدى سمو النظام السياسى فى الإسلام على النظم قاطبة.

(١) جريدة الأهرام فى ٢٠٠٢/٩/٨م.
(٢) الأهرام فى ٢٠٠٢/٨/٢٥م مقال «حول ظاهرة الغموض فى الإبداع» ص ٣٢.
(٣) انظر: سعيد العشماوى، الإسلام السياسى.

إن نظم الحكم الأخرى شرقية أو غربية وهى حكومات من صنع أيديهم قد أشهرت إفلاسها فى سوق المطالب المادية والروحية للإنسان وتقديم غذاء البدن والنفس معًا، على الرغم من مظاهر الرفاهية المادية الطاغية، سواء فى دول المعسكر الشيوعى الذى ظهرت فيه الخروق والفتوق حتى أذن مؤذن بخرابه، أو دول المعسكر الغربى الذى راح يئن فيه العمال من اغتيال أصحاب رأس المال لحقوقهم وهضمهم لجهدهم، فظهر الإضراب وأصبح حقًا مشروعًا كوسيلة للضغط على أصحاب رءوس الأموال. كل هذا ناهيك عن فقدان التوازن النفسى وتزايد حالات الانتحار والاكتئاب والإجهاض للنساء وشيوع أبناء الفواحش.

وهذا كله نتاج حكومة الناس وعدم التزامهم بشريعة سماوية تحل لهم الطيبات وتحرم عليهم الخبائث.

أما نظامنا فهو من لدن حكيم عليم أدرى بطباع البشر حكامًا ومحكومين[1]، أما نظم الحكم الأخرى مهما بالغت فى ادعاءاتها باحترام حقوق الإنسان فلا تفتأ تتخلى عن تلك الحقوق، كما كانت تفعل الماركسية بشعوبها. ومن ثم فقد راحوا يرجمونها بالحجارة بعد أن أحاط بهم سرادقها.

إنه بفضل مبادئ نظام الحكم فى الإسلام تمتع الأقباط فى مصر مثلاً بحقوقهم وحرياتهم كاملة، بل أزيد من المسلمين أحيانًا بما لم يحصلوا عليه فى عهد الرومان قبل أن تشرق شمس الإسلام على كنانة الله فى أرضه، حقًا بفضل ذلك الدين القيم كان تاريخ الإسلام والمسيحية فى مصر مشرِّفًا ومشرقًا.

إن الإسلام دين التقدم والرقى، ومن المعلوم فى فقه التاريخ والحضارة أن الغرب قد بنى حضارته على ميراث الحضارة الإسلامية. ولكن التعتيم الإعلامى الغربى يفرض على أبصارنا غشاوة، إن التفاعل الحضارى الذى ننشده يمكن أن يتحقق حين نأخذ الكتاب بقوة ونشعر بمكانتنا على خريطة العالم وعبر سير التاريخ، ودون أن تذوب شخصيتنا فى بوتقة الحضارات الأخرى التى لا تعبأ إلا بالجانب المادى وحده.

فالنظام السياسى الديمقراطى - مثلاً - على رواجه بين الدول الغربية وقد أصبح أمنية تتمناها القلوب فى الشعوب المقهورة، لا شأن له بمبادئ الفضيلة والأخلاق،

(١) انظر مؤلفنا، النظم السياسية عن مدى سمو نظام الحكم فى الإسلام، مع الأستاذ الدكتور محمد رفعت عبد الوهاب.

كالدعوة إلى وجوه الخير. فهل رأيت رجلاً ديمقراطيًا يحض على الجود والكرم أو إغاثة الملهوف أو الإحسان إلى الجار والمودة فى القربى؟ إن الديمقراطية مجرد نظام سياسى فقط يوم وُلِدَت وستظل هكذا حكومة الناس، لا مبدأ لهم إلا عشق المادة ولو اقترن ذلك بظلم الشعوب المقهورة، والتآمر بالليل والنهار على اغتيال حقوق الإنسان فى خارج بلادهم، وكم اكتوت بلادنا بنارهم!

لقد نبه المؤرخ المشهور أرنولد توينبى فى وقت مبكر حيث حذر من الضرر الناجم عن نقل نظام فرعى أو خلية من بلد إلى آخر، حيث يتحول ذلك إلى عنصر خلل بل عامل تدمير فى النظام الجديد(١).

إن الإسلام قد سبق كل نظم الحكم فى العالم بجعل نظام الشورى هو قاعدة الحكم فى الدولة والتى ينبثق منها نظام الديمقراطية وعمادها الأغلبية النيابية فى البرلمانات، ولكنا عن دراسته متهاونون أو مقصرون وصدق الله العظيم ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى : ٣٨].

علمًا بأن الديمقراطية قد سبق العربُ بها الغربَ وقد سجلها القرآن الكريم فى سورة النمل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ [الآية: ٣٢] وتشهدون معناه تحضرون وتدلون برأيكم، ولكن التعتيم على كل ما هو إسلامى يغشانا ولا ينسانا.

**(ب) الأحزاب الغربية تتعثر فى بلادنا العربية:**

فالأحزاب السياسية كان مولدها فى الغرب لضرورة خلفتها النهضة الصناعية التى قسمها المجتمع إلى طبقتين: أرباب الأعمال والعمال، أعان على ذلك الخواء الدينى، فلا يجتمع الجميع على كلمة سواء.

أما فى بلاد العرب، فدينهم يؤاخى بينهم ويجمع شملهم مهما بدا لك من تشرذمٍ ظاهرىٍّ، لأن المؤمنين إخوة ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [المؤمنون:٥٢].

ومن ثم فإن الحزبية فى بعض بلاد العرب مجرد تقليد غربى، وليس لها من فضل عندنا سوى بذر بذور الشقاق، ويكفينا من الشرور ما تعانيه بعض مجتمعاتنا من طغيان الولاء للإقليم أو القبيلة، ولذلك ولدت الأحزاب فى بلاد العرب ـ وقد شاب شعرها ـ أحزابا ورقية بلا مضمون، فماذا قدمت وماذا أخرت؟!

(١) د. سيد عليوة، الأهرام ٢٠٠٣/٨/١٨م.

خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف، نعم نقتبس من تجارب الأمم، أما النظم السياسية فهى كالنباتات ما ينبت فى تربة لا يجوز فى أخرى، والتقمص فى التجارب الاجتماعية لا ينبت نباتًا حسنًا، ولذلك فالأحزاب وإن تعددت لا ترى لها ملامح خاصة تميزها عن بعضها كما فى الغرب.

وعندنا فى عصرنا تجربة الكويت ثرية وغنية، فهناك ديمقراطية مثالية وبلا أحزاب سياسية، كم نأمل لها الدوام وأن تحذو حذوها البلاد العربية، فنحن نمقت الأحزاب حتى ولو كانت دينية فمصيرها التشرذم، ولا ننسى أن الحزب يخضع للزعامات الشخصية وقد طغى ذلك وغلب على البرامج فى تاريخ الأحزاب المصرية[1].

إن نظرية الإسلام فى الحكم تعلِّم العالم ديمقراطية تتفوق على كل نظام، مكنت للإسلام أن يقيم ـ وفى أمد قصير ـ أكبر إمبراطورية عرفها التاريخ ولا تزال إلى الآن وإن كان سوس البشر يحاول أن ينال منها. إنه تقليد لا مرحبا به فى بلاد الوحدة الإسلامية.

## (جـ) الجنسية العربية مشبعة بالعنصرية الغربية:

لقد جاء أتاتورك والأمة الإسلامية أمة واحدة، فمزق البلاد الإسلامية كل ممزق، وبعثرها إلى دول شتى، وأصبحت كل دولة تعتز بجنسيتها وتبحث فى إقامة العراقيل أمام أبناء بعضها بعضًا، حتى صار العرب فى بلادهم يصنَّفون من الأجانب.

نعم الإسلام دين وجنسية يجمع تحت رعايته كل أبنائه، فالبلاد العربية كلها أمة واحدة ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، أما دول الغرب فهم جزر مختلفة ولغات متباينة وتعتز كل دولة بجنسيتها، ومن ثم سرت إلينا تلك العدوى وإن كانوا يتحولون اليوم رويدًا رويدًا ليكونوا أمة واحدة وعملة واحدة.

لقد كانت مصر مثلاً إلى عهد ليس ببعيد رائدة كدأبها فى قوانين الجنسية بحيث تشمل كل عربى مسلم، فكان شعبها فى عهد محمد على لا يزيد على بضعة ملايين، وبفضل الأزهر الشريف استقطب قاصيهم ودانيهم ليشهدوا منافع لهم، ومن ثم كان هذا العدد الهائل، وكانت الأسر فى مصر خليطًا من دول شتى الشامى والمغربى والعراقى والسودانى وكلهم فى النهاية مصريون، فهل تفتح الدول

(١) انظر د. يونان لبيب، بين الجريمة والتحزب، الأهرام فى ٣/٢/٢٠٠٢م.

العربية والإسلامية ذراعيها لتحتضن أبناء الأمة الواحدة ونتخطى حواجز الجنسية التى اقتبسناها من الغرب؟ والغريب فى الواقع الأوروبى اليوم أنهم قد أقاموا بينهم مودة فى القربى فصدرت تشريعات تذوب معها حواجز الجنسيات من الناحية العملية، فهل نقلدهم فى الطيبات أم نظل منكبِّين على السلبيات التى كانت؟

## ( د ) عدوى القومية ومحاولة الفصل بين العروبة والإسلام:

عدوى القومية من أخطر الأمور التى داهمت الدولة الإسلامية الموحدة، بالاتجاه بالدول الإسلامية نحو الشعوبية، واعتداد كل دولة بجنسيتها واعتداد كل شعب بذاته، نتيجة لتسرب عدوى القومية إليهم من البلاد الأوروبية[1]. فى حين أن الدول الإسلامية لا تعرف إلا جنسية واحدة وأمة واحدة ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

إن عروبة اليوم بحكم نشأتها عروبة نشأت وترعرعت فى ظل الإسلام، لها كيان تاريخى وليست مولودًا جديدًا تقترح له المقومات، والبلاد العربية كلها باستثناء الجزيرة العربية ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الإسلام، لأن عروبتها جاءت بسبب إسلامها، وأن مصالح الاستعمار والصهيونية تلتقى مع تصور أكابر مثقفينا العلمانيين للقومية العربية، وأن ربط العروبة بالإسلام هو وحده الذى يجمع العرب[2].

وفى مؤتمر الفقه الإسلامى الذى تصدى لبحث مشكلة الغزو الثقافى، تضمنت البحوث المقدمة أن فكرة القومية هى من أكبر الأخطار التى تكاد تعصف بالعالم الإسلامى، وهى وليدة النظريات الضيقة عن الحياة والأحياء، وقد صدرها لنا الفكر الغربى، وكانت أول غزوة على يد نابليون حيث عانى فى مصر مقاومة باسلة ترفع شعارًا تتصدع له الجبال، هو «الله أكبر والعزة للمسلمين» فلم يجد بدًّا من أن يخرج على الناس عن طريق المستشرقين المرافقين له بفكرة القومية ليفتت بها وحدة الأمة الإسلامية ولتكون عقيدة جديدة بديلة يدان لها بالولاء[3].

(١) د. محمد سلام مدكور، معالم الدولة الإسلامية ، ص ٩٨.
(٢) د. محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية ص ١٩٥ – ٢٢١.
(٣) فاروق عبد السلام، أزمة الحكم فى العالم الإسلامى، ص ٨٧.

وقد تسربت فى البلاد الإسلامية نعرات الشعوبية والقومية، فنجد مثلاً فى تركيا نشأ حزب الشعب التركى الطورانى، وهناك فى سوريا والعراق حزب البعث العربى، وأصبحت أنظمة الحكم تنهض على أسس عنصرية بحتة[1] وفى هذا إغراء وتهديد للوحدة الإسلامية التى تمتلك كل مقومات الاتحاد فيما بينها، من الدين والجنس واللغة الواحدة والأهداف المشتركة ووحدة الإقليم والاقتصاد، وما نجأر منه اليوم ونشتكى إلى الله من حروب وضغينة بين بعض الدول الإسلامية، وإهلاك للحرث والنسل بين أبناء دين و احد وأمة واحدة، ليس إلا نتيجة عدوى الوطنية والقومية والشعوبية والجنسية وانصراف هذه الشعوب عن عداوة عدوها الحقيقى، فالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكل، ولا يزال القوميون داخل البلاد وخارجها يزينون للشعوب الصغيرة أمجاد القومية وتاريخها، حتى تصبح نشوانة بالعواطف القومية، وتنقطع عن العالم فتهجم عليها الدول الكبرى فلا تلبث أمامها إلا عشية أو ضحاها.

أليس من الغريب أن يتعرى العرب من دينهم ونمضى فى مهزلة فصل العروبة عن الإسلام، ويحتمى اليهود بعقيدتهم ويصرخون بحماس: نحن بنو التوراة نحن بنو إسرائيل؟!

(١) محمد الغزالى، هموم داعية، ص ٤٠ وما بعدها.

## الفرع الرابع

# تقليد الرؤى والأفكار

## (ما يتلوه من خداع ثقافى)

المفكرون والفلاسفة اجتمعوا ثم انفضوا على أن حروب العصر ليست بالدبابات والصواريخ فحسب، وإنما باللغة والمصطلحات معًا، فهى تخترق العقول وتؤثر فى الوجدان، رغم ما تحمله من عفن أو تطرف، وهذا ما ينطبق على مجتمعاتنا حيث غزاها الغرب بثقافته لإعادة صياغة العقل والوجدان العربى(١).

فوصل الأمر إلى حد اجترار التبع لأفكار الغرب مع اختلاف المناخ الجغرافى والثقافى، كموضوع المساواة بين الجنسين وتحويله من موضوع حديث إلى معركة يستقبلها المفتونون استقبال الأبطال الفاتحين، مع أنها مساواة خادعة، فلا المرأة اشتد ساعدها، ولا الرجل تولى مهمة الإرضاع، وفى المجتمعات الغربية يصادف ذلك مطبات فكرية و اجتماعية هائلة لا حلول لها إلا بالاستكبار والخوف من الخضوع للحقائق. ومن أخصب الموضوعات التى راحت تجوس خلال الديار:

### ( أ ) العلمانية الزاحفة والغرباء عن أمتهم:

العلمانية كلمة براقة أخاذة كذابة يريدون أن يفتنوا بها المجتمعات الإسلامية المريضة بالغزو الفكرى جاهدين فى محاولة ترويجها، فهى مصطلح خادع، فهى ترجمة لكلمة إنجليزية (Secularism) والتى ترادف اللادينية، فليست اشتقاقًا من العلم كما قد يتبادر إلى الذهن. وقد انطلى هذا التعبير الخاطئ «العلمانية» على المثقفين والبسطاء، وصار منهم من يتشدق مفاخرًا بأنه علمانى، على حين أن ذلك معناه ومرماه أنه لا دينى.

وقد ظهرت فى أوروبا غداة أن ظهر الفساد فى الكنيسة الغربية وشاع عن القساوسة قدرتهم على غفران الذنوب ومنح صكوك الغفران لدخول الجنة، ووصل الأمر إلى حد محاربة العلم واضطهاد العلماء، فنادى المصلحون حينئذ بفصل

(١) نجوى طنطاوى، حرب المصطلحات، الأهرام فى ٢٠٠٣/٣/١٠م.

الدين عن الدولة وكان لهم ما أرادوا ويحق، وتوالت الصيحات تلو الصيحات لإقصاء الدين عن شئون الحياة والتحرر من الكنيسة وربقتها، وحين نقل المترجمون إلينا تلك الأوضاع اللادينية نقلوها تحت اسم خادع هو «العلمانية»، بما يوحى بإعلاء العلم و الاحتكام إلى العقل فى كل الأمور، لينخدع بها المثقفون والبسطاء والدهماء، وينحصر الدين فى دور العبادة وتحت القباب، ومرجع المراجع عندهم أقوال الفلاسفة والمفكرين فى أوروبا فى عصور النهضة وما قبل النهضة فى عهد الإغريق والرومان واتهموا الدين بالجمود وأهله بالرجعية.

وهم فى مجتمعاتنا قوى اجتماعية (متحذلقة ومتخندقة) داخل المواقع الأساسية، قليل منهم يمكن الحوار معهم، يؤمنون بالعقيدة ويكرهون الشريعة، وهم متفقون على توزيع الأدوار بينهم، يدفعهم إلى ذلك حب الظهور. ولكن البعض منهم بعيد عن نسيج المجتمع وتقاليده، وعلاقاته بالدين مشكوك فيها، والبعض منهم ينظر للإسلام بكراهية بل وكبرياء. وبوجه عام فقد لعبوا الدور الرئيسى فى تغريب الأمة المسلمة وفى عملية الانسلاخ الحضارى.

**كم أساءوا إلى الإسلام:[1]**

هؤلاء يعطلون نصوص الشرع باسم مراعاة مصالح الخلق، وكأن شرع الله جاء ليناقض مصالح الناس، ويزعمون أنهم بهذا التعطيل لم يخرجوا على الشرع، ولكنهم راعوا مقاصده، وحافظوا على روحه وجوهره، وإن لم يحافظوا على شكله وصورته، وهؤلاء يريدون – تحت ستار المقاصد – إلغاء الفقه الإسلامى كله، وإلغاء علم أصول الفقه كله، والاكتفاء بالمقاصد، كما يفسرونها تفسيرهم الفضفاض؛ لإعطاء المشروعية الإسلامية لكل ما تريده تيارات التغريب الليبرالى أو التغريب الماركسى، أو تيارات الحداثة وما بعد الحداثة فكلها يمكن أن تبرر – شرعًا وإسلاميًا – باسم المقاصد الشرعية.

نعم تحت غطاء هذه الفلسفة يمكن أن نُغيّر أحكام الأسرة، فنمنع الطلاق، ونحرم تعدد الزوجات، ونجيز للمسلمة ابتداء أن تتزوج بغير المسلم، ونسوى بين الابن والبنت فى الميراث، وغيرها، باسم رعاية المصلحة العامة، التى هى مقصد الشرع الأصلى!! ويمكن لهذه المدرسة تعطيل إقامة الحدود والعقوبات الإسلامية التى ثبتت بنصوص قرآنية قاطعة، باسم المصالح والمقاصد كذلك، ويمكن للحكام أن

(١) د. يوسف القرضاوى – الأهرام العربى – العدد ٤٥٦ فى ١٧ / ١٢ / ٢٠٠٥م.

يصادروا أموال الناس وأملاكهم دون تمييز بين المشروع منها وغير المشروع، باسم إقامة العدل الاجتماعى.

ومن خصائص هذه المدرسة المُعَطِّلة للنصوص- التبعية للغير، وهذا الغير هو الغرب بشقيه: الليبرالى الرأسمالى، أو الماركسى الاشتراكى، وكلاهما نابع من الغرب، وهل كان ماركس إلا غربيًا قُحًّا؟ وهنا يقول الدكتور يوسف القرضاوى: وقد سميت هؤلاء من قديم (عبيد الفكر الغربى) اليمينيين منهم واليساريين، وقد قيل لى: لماذا لا تسميهم تلاميذ الفكرٍ الغربى؟ قلت لهم: التلميذ النجيب كثيرًا ما يناقش أستاذه، وقد يتخذ انفسه خطًا غير خطه، ولكن هؤلاء يأخذون كل مفاهيم سادتهم قضايا مسلّمة، لا يمتحنونها، ولا يناقشونها، ولا يجادلونهم فيها، فليس لهم وصفٍ يعبر عن حقيقة موقفهم إلا وصف العبيد، الذين ذابت شخصيتهم فى ذوات سادتهم، إنّ قبلتهم ليست الكعبة المشرفة، بل هى لندن أو باريس أو واشنطن أو موسكو وغيرها، ومصادرهم ليست القرآن الكريم، ولا البخارى ومسلمًا، ولا تفاسير القرآن ولا شروح الحديث، ولا كتب الفقه والأصول، فهذه كتب صفراء لا تليق بالعصر، ولا تصلح للعصر. وأئمتهم ليسوا الصحابة ولا التابعين، ولا الأئمة الأربعة، ولا الثمانية، بل أئمتهم من خارج أرضنا، وخارج حضارتنا وتراثنا.

ولذلك يريدون أن ننظر بعين الغرب، ونسمع بأذن الغرب، ونفكر بعقل الغرب، فما رآه الغرب حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه الغرب قبيحًا فهو عند الله قبيح! ومن هنا يريدون أن يفرضوا علينا فلسفة الغرب فى الحياة، ونظرة الغرب إلى الدين، وفكرة الغرب عن العلمانية، ونظريّات الغرب فى القانون والاجتماع والسياسة واللغة والثقافة. كما قال بعضهم يومًا: نأكل كما يأكلون، ونلبس كما يلبسون، ونكتب من الشمال إلى اليمين كما يكتبون!!

إنها محاولة فاشلة فى خلع أوضاع النظام البابوى فى العصور الوسطى على المسلمين، فالإسلام لا يقيم سلطة روحية لأية هيئة دينية مهما كانت، وإنما يقيم أمة تعرف المعروف وتنكر المنكر، والمقارنة بين الإسلام وغيره ها هنا كرة خاسرة.

وكم يصاب العلمانيون بالخزى حين يستشعرون الفجوة بينهم وبين شعوبهم المسلمة. وحقًا ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

فأهل الذكر دائمًا يرصدون شططهم ويفضحون فكرهم، من الاشتراكية

الموحشة إلى الرأسمالية المتوحشة، وكلها تنأى عن الدين، كم مارست استبدادًا لا مثيل له مع شعوبها لقهرها وإذلالها، وما كسبت خيرًا فى إيمانها.

إن العلمانية الحقيقية إذا كانت حقًا تنتسب إلى العلم هى فهم الدين على حقيقته، واحترام قواعد المنطق والأدب فى المناظرة والعلم، وليس إطلاق سحابات كثيفة من الدخان للتضليل والتمويه والتى ينخدع بها بسطاء الثقافة.

ما الذى يدفع العلمانيين (اللادينيين) إلى بث سمومهم؟ هل هو حب الظهور وهم طوابير غفيرة كانت من أصول فقيرة؟ و مانقموا إلا أن أغناهم الله من فضله ﴿إِنْ فِى صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦].

حقًا كم يندهش المسلم وهو يرى من يتنكر لذاته ويكفر بالأنا ويبرأ من تراثه وتاريخه، فى الوقت الذى يعترف به الآخر إعجابًا بل وافتتانًا بذلك التراث الهائل والتاريخ المجيد[1]. وتلك الإمبراطورية الإسلامية التى سادت وبادت دونها كل الإمبراطوريات.

وأخيرًا إذا كان الاحتكام عندهم إلى العقل فالرسالة المحمدية بدورها هى العقل بعينه.

وكما يقول القرآن الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وباختصار شديد وإيجاز بالغ فإن لسان حالهم دائمًا كما يقول القرآن الكريم: ﴿لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيه. . .﴾ [فصلت:٢٥].

## (ب) العولمة الجامحة وفكرة تأنيث المستقبل:

مفهوم العولمة يكاد يتحول إلى مفهوم شعبى رغم الغموض الذى يكتنفه عند المثقفين، ليعنى تدمير الهويات والخصوصيات الثقافية لصالح نمط ثقافى واحد، وما يتبعه من سلوك أوحد، وهى فكرة أوروبية من صنع أكابر مجرمى الغرب ليحققوا مرادهم فى الاستحواذ والهيمنة على الشعوب الأخرى فى العصر الحديث، وأن تكون لصالحهم تلك العولمة لا لغيرهم. وهم غالبًا ما يقصد بهم العدو الأول للغرب الماثل الآن وهو الإسلام والمسلمون بعد هلاك عدوهم الاتحاد السوفييتى.

وها هى المؤتمرات والمنظمات الغربية تؤجج النار لزعزعة مؤسسة الزواج

(١) د. فيصل الحفيان، الأهرام فى ٢٠٠٣/٤/٣م.

مثلا، وعدم احترام أنوثة الإناث، وإقصاء الآباء والأمهات عن مسئولياتهم والتحريض على بيع المرأة لجسدها، حتى البنك الدولي وهو يقرض الدول الإسلامية فهو يخطط للزج بالمرأة فى العمل السياسى وهو ما يسمى بتأنيث المستقبل بمقولة إنه كلما ازداد نفوذ النساء في عالم السياسة قلت الحروب، وهى ذريعة لإقحامها فى ميادين لا تكاد تسيغها أو تمسك بها على هون، وهنا تقول الأستاذة فريدة النقاش الكاتبة المعروفة: «السياسة سرقت أمومتى»[1].

وزاد الطين بلة أن منظمة العمل الدولية تطالب الحكومات بالاعتراف بتجارة الجنس، ومد شبكة الضرائب إلى الشذوذات المسلكية باعتبارها تجارة قد ربح فيها الرابحون.

**العولمة والهيمنة الدينية:**

مقصود بها العولمة الدينية وهى تنصير العالم الإسلامى والاستحواذ عليه، وهو تخطيط نابه يعمل لحساب اليهود؛ لأن المسيحية الأصولية تخدم العولمة اليهودية، وتسمى «الصهيونية المسيحية» لإعلاء شأنهم استكبارًا فى الأرض وتهديدًا لأتباع الديانات الأخرى، مع أنه ليس هناك من ديانة حقيقية سوى ديانة أتباع دين القيمة.

**(جـ) حرب المصطلحات (مصطلحات غازِيَة):**

هدفها وضع السم فى أكواب العسل عن طريق طرح مصطلحات براقة أخاذة يروجها الإعلام الغربى بدهاء تَموجُ بزخرف القول بعدما هيمن عليه الإعلام الصهيونى، بهدف تكوين قوالب سابقة من الرفض أو الكراهية والنفور تجاه المسلمين، فضلاً عن إرهاب المسلمين الملتزمين، ولينخدع البسطاء فى الثقافة الإسلامية ولينطلى ذلك من بعد على الجميع[2]. هذه المصطلحات لنستمرئ الغزو المقنع مع أن الحق مثل الفلين لا يغرق أبدًا.

ومن المصطلحات التى تَودُّ أن تلفتنا عن أوضاعنا القيمية وتراثنا:

**١- التطهير العرقى:**

استخدمت تلك العبارة الماكرة فى حرب البوسنة ضد المسلمين فى التسعينيات للتمويه، فكانت حربًا دينية تستهدف إبادة المسلمين الموجودين فى تلك الدولة

(١) مجلة المرأة، العدد ٢٤٩، ص ١٠٠.
(٢) د. محمد عمارة الأهرام ٣١/١٠/١٩٩٧م.

اجتمع فيها أهل الغرب كما يجتمع الأيتام على مائدة اللئام، على حين أن القضية لم تكن قضية أعراق؛ لأن البوسنيين كانوا جزءًا من الشعب اليوغسلافى فأطلقوا ذلك المصطلح ليخدع بسطاء الثقافة ولينطلى على الدهماء والغوغاء.

## ٢- الأصولية:

فى مفهوم الغرب: هى حركة جمود روحية تنظر إلى النصوص بحرفية وتعادى العلم والعقل، بينما الأصوليون فى الإسلام هم أهل الاجتهاد والتنوير، فهى فى مجتمعنا شرف نتطلع إليه، فهم حراس العقيدة الإسلامية، يصدون المغير الذى لا يألو جهدًا فى هدم الثوابت الإسلامية والعمل على انتكاس أعرافها، وبوجه عام هم يكرهوننا لأننا أصلاء فما هو أصلهم؟

## ٣- السلفية:

ذو المعدن الأصيل دائما يحب ماضيه، والسلف ما هو إلا ماض، وكل إنسان أمجد لابد أن يكون سلفيًا بمعنى أن يستلهم من ماضيه ما ينير له حاضره ومستقبله، ولكن أصحاب التنوير أدخلوها فى سرادق الرجعية، يَصِمون بها أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى لينطلى عليهم ألاعيب الغرب بالمستضعفين، فالسلفية النقية هى اتباع منهج السلف الصالح فى كل عمل جاد يرقى بالمجتمع البشرى بما يضمن استمرار عطاء العقيدة والشريعة الموصول.

وما نود أن نشير إليه أن السلفية ليست هى فى الجلباب وتقصيره كما يعتقد بعض المتدينين الجهلة دائمًا، بل هى اتباع السلف فى كل عمل صالح فعلوه أو كتب لهم. فصاروا قدوة لنا وللعالم أجمع فقدموا لنا عطاءً سائغًا نجتره يومًا بعد يوم.

مَنْ مِنْ أهل مصر يود أن ينخلع عن أجداده النوابغ؟ فكم تركوا له كنوزًا وحضارة باهرة وزاهرة رسمت التاريخ للعالم، وصارت من أهم موارد الرزق لشعب مصر، أليست هذه نوعًا من السلفية النقية الضاربة بجذورها فى الأعماق؟ مرحبًا بالسلفية النقية نتبعها بإحسان ننشرها وننثرها فى البلاد حتى يسمع بها قوم عاد. لقد قذفوا السلفية بالحجارة وأحيانا بالطين والقذر لأنهم ليس لهم سلف.

## ٤- التنوير:

الإسلام هو دين التنوير، ولكن جدت على الساحة مصطلحات كالحداثة

والتنوير وهما شعاران ظاهرهما الرحمة وباطنهما العذاب، إذ يراد بهما قطيعة الثقافة الموروثة، خاصة الإسلامية، وهو ما حدث في الغرب في القرن السابع عشر بسبب موقف الكنيسة المعادى للعلم والعلماء كما أسلفنا ولا شأن للمسلمين بذلك، فديننا دين النور والتنوير في كل دروب الحياة، ولا يجحد ذلك إلا مكابر أو مسرف مرتاب.

## ٥- الحرية الشخصية:

سادت حديثًا في مجتمعاتنا ما يسمونه «الحرية الشخصية» وهي قيمة قامت على أنقاض قيم «الحياء» و«احترام المشاعر»، وفَهِمها مجتمعنا على أنها تعنى الانقلاب من سرادق القيم، بل ومن كل التقاليد والأعراف الإسلامية المعهودة والمعروفة[1]. وهي مؤامرة حادة يتبناها عندنا سماسرة التغريب ويقدمونها لنا ملفوفة في ثياب الديمقراطية مع أن كل حرية مقيدة بقيود.

## ٦- الإرهاب:

وسط هذا الغبار الذى اخترقت عقولنا بأفكار غربية تستقر في العقل العربي أوصاف غربية محضونة في حضانة الإعلام الغربي، وتبعه بإحسان الإعلام العربي، كمصطلح الإرهاب الذى يطلق على المناضلين في فلسطين مثلاً بقصد إخفاء حقيقة إرهاب الدولة الإسرائيلية، لقمع المقاومة الشرعية مع أنها مقاومة تكفلها لهم كل الأعراف والقوانين الدولية قاطبة، وتكلِّفهم أرواحهم ودماءهم، وقد ابتلعنا الطعم الأمريكي وأعلنَّا الحرب على الإرهاب معهم، فإذا هي حرب على الإسلام والمسلمين، والهدف الحقيقي المضمر هو إغلاق الباب على كل ما هو إسلامي وعلى رموز الإسلام، أو جعل كل الإسلاميين إرهابيين. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥]، فقالوا بزعمهم إن التدين هو التربة التي لا يخرج منها إلا نكدًا، فهي تلد التطرف والمتطرفين والإرهاب والإرهابيين. ودخل الصالحون في قفص الاتهام مع الداخلين، على الرغم من أن المتدينين هم الذين أسهموا بل أسسوا للمجتمع استقراره على مدار القرون في بلد كمصر مع الإخوة المسيحيين يتناوبون المودة والإخاء.

(١) عبد الله الشبانة، المرجع السابق ص ١٤٩.

## ٧- الإنسانية:

ويقصد بها اعتبار الإنسان مكتفيًا بذاته ليس فى حاجة إلى خالق يوجهه فليس إلى الله عندهم ترجع الأمور، فمرجعيته إنسانيته وذاته، وهو مصطلح يخفى وراءه عزل وحى السماء عن الأرض، كى يباعد بين المخلوق وخالقه ورازقه.

شيء واحد يبقى على المأزومين استيراده من الغرب، وهو الكفن الذى يدفن فيه موتانا فعندنا أبيض ينثر عليه الطيب والرياحين وعندهم أسود موحش، فهل نكون على آثارهم مقتدين؟

## ٨- وأخيرًا كذبة إبريل:

عادة سخيفة ومحاكاة رديئة لم تنبت فى أرضنا ولا ألفتها ديارنا، بإشاعة أكاذيب كموت صديق أو قريب أو فقد عزيز، تحدث اضطرابات فى الأسرة كلها، وفي إيجاز فهى رذيلة تخالف الشرع مهما التمسنا لها الأعذار بأنها نوع من المداعبات فى بعض المناسبات، ولكن هل يصل التقليد إلى التكدير وإدخال الفزع على الآمنين؟ إنهم ليقولون منكرًا من القول وزورًا، ولكن التقليد سوَّل لهم وأملى لهم.

# الفرع الخامس

## فوج متربص من سلوكيات الأجانب

فوج مقتحم يستطلع مواقع جديدة يقف على الحدود، ليؤذن له بالدخول لينتشر وليصبح جزءًا من سلوكياتنا، ومن ذلك:

### ١ ـ متاحف المسنين:

نعم تعس عبد الزوجة، فهذا أول القطوف الدانية لمن أغمض عينيه عن والديه اللذين ربياه صغيرًا، لقد لبثت فى أوروبا من عمرى سنين، وفى إحدى مدن فرنسا كان أكثر ما يسترعى الانتباه هو بيت المسنين الذى كنت أرقبه فى الغدو والرواح من خلال النوافذ الزجاجية، والتى ترى من خلالها طوابير من أولى الضرر الذين تخلى عنهم أبناؤهم وألقوا بهم فى غياهبها، يسرون الندامة على ما آل إليه التفكك الأسرى فى ديار أوروبا، والإحصائيات تشير إلى تكاثر هذه الدور مع ما يكابده العجوز من تجاهل المشرفين، بل قد يتركونه دون تمريض حتى يتوفاه الموت.

ولقد لقى والد المستشار الألمانى هلموت شميت فى مطلع الألفية الثالثة جزاء سِنِمَّار إذ كان نزيلاً فى هذه الدور بدلاً من القصور.

هذا أحد إفرازات الحضارة الغربية فى شقها المرذول: نكران الجميل وغلبة المادة على المودة وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الأهل والولد، تلك الظاهرة عندنا تطرق الأبواب وما كان ينبغى لنا، ولكن خروج المرأة إلى العمل وتحول الرجل أحيانًا إلى عبد الزوجة، جاءا لنا بدور المسنين سيما مع اختفاء بيت العائلة الذى كان يجمع شملهم، ويؤوى ضعيفهم.

نعم هى فكرة حضارية للشيخ الفانى والمرأة المسنة إن لم يكن لهما ولد يبلغان عنده الكبر، وهى فكرة يجب أن تكفلها الدولة عند انعدام الولد، فإن كان لهما ولد فحضانتهما واجبة عليه، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ ، ٢٤].

انظر إلى البلاغة الناصعة فى قوله تعالى فى الآية السابقة: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ﴾ بمعنى أنهما يكونان فى كبرهما فى كنفك ورعايتك لهما. ولكن الأفكار الحديثة تجلب لنا كل غريب، حين نودع الوالد المسن والأم العجوز أمانة فى تلك الدور، لكى يكونا تحت هيمنة الخدم والعاملين وذلك حتى يرتاح عبد الزوجة من عناء كفالتهما.

إن شريعة الحياة تأبى الجحود والنكران، بعدما وهن العظم واشتعل الرأس شيبًا، فهل يكون الإبداع فى المتاحف الصامتة؟ فبئس التطور، وعلى قدر انتشار هذه الدور يقاس ما حل من قساوة فى القلب، والغفلة عن مبادئ الدين القيم، والمسنون - على الرغم من هزالة أجسامهم وصعوبة خطواتهم وضعف سمعهم - هم كنوز ثمينة، تغذى أجيالنا بالحكمة والموعظة الحسنة، وشباب اليوم هم أجداد فى الغد، ومتاحف المسنين فى استقبالهم إن هم تنكروا لآبائهم، لقد سبقت تعاليم الإسلام دساتير العالم فى إقرار الرعاية الأسرية لهؤلاء الذين يعيشون فى مرحلة الغروب قبل السفر الطويل، إن رعاية العجزة من سمات المؤمن الصادق، والإسلام لا يعرف مشكلة المسنين المبعدين، فإن فشت بيننا فهى انسلاخ من أعرافنا وغروب لخصوصياتنا.

## ٢ - صديق الفتاة الـ «بوى فرند»:

فكل مراهق له صاحبة، وما عليه من حرج أن يأتى ببعض الموبقات ذلك هو المألوف والمعروف فى الغرب، يلتقيان كلما أرادا اللقاء، وتأتى بالصديق إلى بيتها بمحضر من أهلها بل قد تعاشره، وإن ثار الأهل هددتهم باستدعاء الشرطة على الفور التى سرعان ما تأتى على عجل لتشد من أزرها، ولو أدى الأمر إلى عقاب الأب والزج به فى السجون، وفى غالب الأحوال يكتب الأب المسكين تعهدًا على نفسه بترك الحبل على الغارب لابنته وإلا اتهم بأنه عازفٌ عن التقدُّم، وهو ما يحدث كثيرًا للمغتربين المسلمين فى بلاد الغرب، وهو ما يسبب أزمات نفسية قد يعود بعدها إلى بلاده فى عداد المختلين.

ولمثل هذه السلوكيات يروج دعاة الإبداع فى بلادنا، غافلين عن الخصوصية الحضارية للمجتمع العربى المسلم المتميز على المجتمع الغربى المتحلِّل.

فكتاب الإبداع يدعون كل فتاة أن تأخذ يد صديقها وتذهب به إلى أبيها كما يفعل فى ديار الغرب، أو تصاحبه فى المتنزهات والسينمات والطرقات، وهى

دعوات تجد لها صدى فى نفوس فقراء الثقافة والحس الإسلامى، فيقول كاتب جريدة قاهرية إنه زار إحدى الجامعات الألمانية ورأى الأولاد والبنات أزواجًا أزواجًا مستلقين على الحشائش فى فناء الجامعة، ويأمل أن يرى ذلك المنظر فى جامعة أسيوط لكي ترمقه عيون أهل الصعيد وتتعود عليه انبثاقًا من فلسفة الزواج التجريبى أى «العلاقة الجنسية قبل الزواج» انبعاثًا من مبدأ تحرير المرأة، وانطلاقًا من فكر ماركس داعية الإلحاد الذى خدع الإنسانية بفكره سبعين عامًا وأحل قومه دار البوار.

## ٣ـ الصديق الذى يتحول إلى عشيق:

هو الخِل الوفى الذى يسرون إليه بالمودة، ويتسلل هذا العرف الفاسد إلى كثير من العائلات التى فقدت الحاسة الإسلامية، فيطرق الباب لتفتح له فى غيبة الزوج، وقد يخرج فى رحلات منتظمة مع الأسرة وفى قلبه مرض، ويظهر على عورات النساء المتشبهات بالأوروبيات، ولقد أثبتت الدراسات أن حالات الاغتصاب داخل دائرة المعارف هى أكثر شيوعًا؛ لأن الذئب الإنسانى يستخدم مركز القوة فى فرض سيطرته على المرأة المتقاربة، ولذلك حذر علماء الطب النفسى تحذيرًا بالغًا فى مجتمعات الاختلاط من الرجل الذى تشعر معه المرأة أنه يخترق خصوصياتها، فهو تقليد يخترق الحرمات ويكشف العورات ويفضح المكنونات.

أما الزوجة المسلمة فليس شرفًا لها أن تستقبل غير ذوى القربى والمحارم فى غيبة زوجها؛ لأن البيت المسلم له خصوصيته التى يعلمها العالم كله، وإذا بدا التساهل والتسامح واقتلعت الحواجز التى أمرت بها الشريعة الغراء فإن عاقبة أمرنا خسر.

إن الإسلام يحض على التعارف بما فيه الألفة والقوة والسعادة، ولكنه التعارف الإسلامى، الذى يجعل الأسرة حرمًا آمنًا.

كم من صديق اختطف من صديقه الزوجة الحسناء فهدم الشمل وأهلك الحرث والنسل! وكم من فتاة ضلت طريقها بعدما كانت آمنة فى سِرْبها بسبب أوهام التقليد وأوحاله!

وكم طالعتنا أخبار مؤلمة على صفحات الجرائد والمجلات، أزواج يشكون

نساءهن اللاتي لا يبدين زينتهن إلا عند الخروج من المنزل أو في حضرة الأصدقاء، أوفياء وغير أوفياء، حيث يحلو التجمل!! لقد حذر ديننا من المرأة الحسناء في المنبت السوء، فهي نتاج عفن للأمية الدينية وفقدان الحاسة الإسلامية.

## ٤ ـ عقد الزواج المقدس يهبط من عليائه (الزواج المدني):

عقد الزواج في الغرب تحول من عقد ديني إلى عقد مدني ومعناه أن يكون عقد الزواج عقدًا عاديًا كعقد الإيجار بين المالك والمستأجر، فلا تربطه رابطة بالشريعة إلا ما يرتضيه الأخلاء، فيمكن أن تكون مدته سبع سنوات مثلاً أو أكثر أو أقل حيث يكون بمثابة عقد استثمار للمرأة أو استئجار للزوجة بعيدًا عن سياج الشريعة الإسلامية، وما تفرضه من حماية للمرأة بوجه خاص، فالزواج في الغرب أصبح عقدًا مدنيًا أشبه بشركة تجارية.

أما عندنا فهو نسب ومصاهرة ومصاحبة تحوطه مودة ورحمة من الجانبين، وهناك في لبنان اليوم دعوات تروِّج للزواج المدني المقتبس من الغرب، حيث يتحول رباط الزوجية إلى عقد عادي بما ينجم عن ذلك من سلبيات متراكبة، أو متراكمة، أقلها أنه قد يتحدد بزمن ينتهي عنده ليفسخ بناء على طلب أحد الزوجين، مع أن المسيحيين أنفسهم يقولون إنه عهد أبدي فما جمعه الله لا يفرقه الإنسان. ولا يسمح بنظام الطلاق، ولو كان خلاصًا من زواج فاشل أو فِكاكًا من زوج بغيض، كم هو ضربة موجعة للزوجة الضعيفة قد تفضي إلى الموت، حيث تجد نفسها كل فترة تحمل لقب المطلقة، بعيدة عن الهناء العائلي، كل يوم هي مع زوج مع أنها فطرت على ألا يكشف عوراتها إلا رجل واحد تتجاذب معه المودة والرحمة.

### زواج (الويك إند)

فقد وصل الأمر إلى ما يسمى بزواج (الويك إند)، حيث يلتقي الزوجان فقط في نهاية الأسبوع باتفاقهما، وهو شرط يبطل العقد لأنها إما أن تكون زوجة أو لا تكون، فإن كانت زوجة فهي حلال له طول الأسبوع وإن لم تكن فلا تحل له ولا يحل لها[1].

والزواج المدني يعطي للفتاة الحرية أن تبيت عند من تشاء من الرجال، ويعطي حرية التمرد على الأهل وتزويج نفسها ولا تأبه لمن بيده عُقدة النكاح، وعما قليل

(١) يوسف القرضاوي، الأهرام العربي، ١٤/٤/٢٠٠١م.

يحدث التصدع وتنفك العرى بعد أن صارت الشريكة مثقلة بحملها، وتئن بأولادها، وهيهات هيهات للعقد المدنى أن ينقذها من تعاستها.

وأخيرًا يسمح هذا النظام بموبقات وشرور، فهو يبيح زواج المسلمة من غير المسلم، وزواج المرأة فى العدة متجاهلاً كل الموانع الشرعية، ناهيك عن أنه يبيح الزواج من الرضاعة، أليس هذا تصريحًا بالدعارة، ومؤامرة على الإسلام والأديان، وللإفلات من الضوابط الربانية التى جاءت بها شريعة موسى وعيسى ابن مريم والنبيون من ربهم[1]؟!

هل النظم الاجتماعية التى تنظم أوضاع البشر للبناء أم للهدم؟ وهل تتحقق فى ظلها المدينة الفاضلة الواعدة؟ هل سَلِمت المجتمعات الأوروبية من الآفات السلوكية فى ظل الزواج المدنى الذى يترك لإرادة الطرفين تنظيم بنوده؟

## ٥ ـ الطلاق بيد المـرأة:

أصوات تعلو، ثم تَخْبُو، تنادى بضرورة الانتقاص من السلطة الذكرية لا بل هدمها. وتلك من القطوف الدانية لنعرات التشدق بالمجتمع المدنى والزواج المدنى باعتبار عقد الزواج المقدس عقدًا كأى عقد، يودون أن يكون انفصام عقدة النكاح على يد الزوجة، فيكون الطلاق بيدها لا بيد الزوج، ولو تم لهم ما أرادوا لطلقت المرأة نفسها كل يوم، وزلزلت عرشها وهدمت كيانها وأفشلت هناءها، وغلبت عليها شقوتها.

إن المرأة السوية تأبى أن ينكشف عليها رجل آخر غير زوجها، والطلاق بيد المرأة وما يعقبه من زواج وطلاق يحولها فى الواقع إلى امرأة بغى بعد حين، وقد حماها التشريع الإسلامى من هذا التردى، فجعل العصمة للزوج، ولا تباح للمرأة إلا على سبيل الاستثناء، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

## ٦ ـ أريد عريسًا بالإنترنت (عولمة المشاعر وكونية الأحاسيس):

هل يليق بالمسلمة ـ وخلقها الحياء ـ أن تسلك الرخيص لنوال أقدس الأغراض، وإذا تمخض الإعلان عن زوج لها فهل هو أنسب أو أقرب لها نفعًا حتمًا؟

ألن يأتى يوم يُعيِّرها فيه أنه عثر عليها عن طريق الإعلانات السابحة فى

(١) المسلمون، العدد ٦٨٥.

الصحف والمجلات؟ هل فاقد الشيء يعطيه؟ هل هذه هي الرابطة الأسرية الإسلامية؟

أعمدة مخصوصة مرصودة في الصحف والمجلات عنوانها: «أريد عريسًا» تتحول فيها الفتاة المسلمة الطيبة إلى بضاعة مزجاة وسلعة راكدة كما لو كانت في أسواق النِّخاسة، وقد عادت إلينا بعد طول غيبة، فهذه فتاة بيضاء جميلة وأخرى سوداء رشيقة القوام، وأخرى سمراء قامتها هيفاء تقدس الحياة الزوجية.

قد يقول البعض إن الزواج بهذه الطريقة الغربية الغريبة يكون اضطراريًّا، وإن هذا طريق للعفاف سيما مع ازدياد عزوف الرجال عن الزواج مما يدفع النسوة إلى تقديم إغراءات. وذلك مردود عليه بأن إثمها أكبر من نفعها، وقد تفضي إلى ارتكاب المحرم سيما مع تدني الأخلاق، والزواج أكثر قداسة وحرمة من أن يتبع فيه أسلوب الإعلان عن الموظفين.

فالزواج على هذا النحو سلاح ذو حدين، فقد يتخذ وسيلة للتسلية والعبث وهو ما يسيء إلى نفسية المرأة إساءة تفسد عليها حياتها، وفي إيجاز بالغ هو مقامرة وفدت إلينا كتقليعة غربية من بيئة باءت بمساحة التباعد والتفكك الأسري، وهي غريبة على ساحتنا لا مرحبًا بها في ديار خير أمة أخرجت للناس.

## ٧ـ بنوك الحرام:

الحلال والحرام نظرية موطنها دار الإسلام، فهي القطب الأعظم في الدين، تعصم المجتمع من كل آفة، وشرف الأنساب باب عريض فيه، أما في بلاد الغرب فتكاد هذه الظاهرة تتوارى، وفي أوروبا اليوم بنوك للإتجار تبسط أجنحتها لطلاب النطف من بنوك الأجنة، روادها وسماسرتها من الأطباء والمحامين والأفاقين وتجار الرذيلة والأبالِسَةِ، وقد أصبحت هناك وكالات متخصصة تبيع النطف والبويضات، وتؤجر الأرحام، ويتم ذلك عن طريق اللجوء إلى البغايا، انبثاقًا من فلسفة يروجون لها، وهي أن كل امرأة على ظهر الأرض من حقها أن تسعد بوليد، وهنا يقولون على السيدة مريم بهتانًا وإثمًا مبينًا، فهي بزعمهم أول الأمهات الحاملات في التاريخ التي سعدت بوليدها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى حد أن مصانع أدوات الزينة والتجميل قد صارت تتهافت على شراء الأجنة من أولات الأحمال اللائي يجهضن أنفسهن قبيل الشهر السادس لتحليلها

كيميائيًا، والإفادة منها فى منتجاتها، مستغلين انتشار الإيدز يثيرون به المخاوف لدى الحوامل؛ ليسوغ الإجهاض حلاً سائغًا للإنجاب المشوه.

وها نحن أولاء على آثارهم، فهناك من الأسر المسلمة التى يحلو لها اليوم التردد على بنوك الأجنة، وطريق التلقيح الصناعى أمامهم ممهد، كما سمعنا مناديًا ينادى بإدخال بنوك لبن الأمهات إلى عقر دارنا، غافلين عن اختلاط الأنساب والمحرمات من الرضاع التى سنها الله لعباده ليصون لهم حسبهم ونسبهم.

نعوذ بالله من شر قد اقترب.

## ٨ـ الإنجاب ولو بعد الممات:

نعم أصبح سائغًا هناك أن تلقح المرأة بمنى زوجها بعد وفاته، أسفر التقدم العلمى عن تجميد النطف فى بنوك الأجنة لتظل بعد رحيل أهلها جاهزة تحت الطلب، وهكذا يمكن لامرأة أن تطلب فى أوروبا نطفة من البنوك تلقحها، ومن يدرى قد تكون تلك النطفة لابنها الراحل أو أخيها أو أبيها.

نعوذ بالله أن نُردَّ على أدبارنا بعد إذ هدانا الله.

## ٩ـ تأجير الأرحام زاحف[1]:

رحم للإيجار، هكذا تستطيع أى امرأة فى الغرب أو فتاة أن تعلن عن رغبتها فى تأجير رحمها لمدة تسعة شهور لإنجاب طفل لن تكون أمه، وهذه اللافتة لم ترتفع بعد فى الدول العربية، ولكن هناك اليوم من يريد أن يلفتنا عن ديننا ليبيح فكرة استئجار الأرحام؛ الرحم البديل والأم البديلة، لوضع بويضة ملقحة من امرأة أخرى، ليبقى السؤال الشرعى: لو حدث هذا الأمر فمن تكون هى أم الغلام؟

## ١٠ـ بدعة نقل الأرحام:

### مخاوف من ولادة جيل جديد من «أبناء الزنا» فى غرفة العمليات

فبعد لجوء الأزواج الذين يعانون العقم إلى أطفال الأنابيب والحقن المجهرى ، ثم بدعة تأجير الأرحام وما شابها من جدل علمى ودينى عميق

(١) الأنباء الكويتية فى ٤/٥/٢٠٠١م.

طفت على السطح بوادر زوبعة جديدة تتعلق بما يسمى نقل الأرحام من أنثى سليمة إلى أنثى عقيمة بغرض الإنجاب.

العملية فى شِقِّها الجراحى تعيد الأمل إلى صاحبات الأورام السرطانية اللاتى لا يستطعن الإنجاب أو اللاتى تعرضن لحوادث أدت إلى فقدهن لأرحامهن ولكن فى شقها الدينى هناك ما هو أخطر بكثير وكفيل بأن ينسف الفكرة من أساسها.

بداية تعرفنا على الجانب المعملى والطبى لهذه الجراحة من الدكتور رضا خفاجى أستاذ أمراض النساء والتوليد وقال إن الجهاز التناسلى عند المرأة يتكون من جزءين جزء خارجى وهو المهبل وجزء داخلى وهو الرحم والمبيض وقناة فالوب، وهناك العديد من الدراسات ترجح إمكانية نقل بعض أعضائه، أما نقل الرحم وملحقاته كليا من سيدة لأخرى فلم يتم حتى الآن، وأضاف أن هناك مشكلة واحدة تكمن فى أن الرحم المنقول سيحمل صفات صاحبته الأصلية وليس صفات الأم المزروع فيها لأن الأم المنقول إليها الرحم فقدت أى تأثير لها على الجنين بمجرد استئصال رحمها الأصلى وزرع البديل الجديد وتلك هى مسئولية المبيض.

ويضيف الدكتور مصطفى أبو العيون أستاذ أمراض النساء والتوليد بجامعة القاهرة أن أخطر ما يواجه الأطباء فى عملية نقل الرحم هو كثرة الغدد والأوعية الدموية المتصلة بالرحم والتى تحتاج إلى تكلفة عالية، وحول مقتضيات عملية زرع الرحم يقول د. أبو العيون: إن هناك أسبابا عديدة تؤدى إلى استئصال الرحم كله أو بعضه وأولها الأورام السرطانية الخبيثة فإذا ما انتشرت تلك الأورام فى الرحم أو أجزاء منه فيتوجب حينها استئصاله، وكذلك أسباب خلقية بمعنى أن تولد أنثى بدون جهاز تناسلى كامل أو رحم لا يصلح للحمل ومقتضيات الزواج والإنجاب، فينقل إليها رحم من سيدة متبرعة أو امرأة تحتضر بعد أن يثبت موتها إكلينيكيا.

## ١١ ـ الكرة النسائية وممارسة الفتيات للرياضة:

اعتنى الإسلام بالمحافظة على الفتاة وبكلِّ ما يرفع قدرها ويعلى شأنها،

والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. والرياضة البدنية تشكل البنية الصالحة للعطاء للرجل أو المرأة على السواء، وليس فى ذلك تقليد للغرب.

ولكن الإسلام يضع ضوابط فى هذا الصدد بالنسبة للنساء صونًا للكرامة وحفظًا للآداب، فهن مأمورات بممارسة الرياضة البدنية ولكن فى حيزها الخاص، والبعد عن الاختلاط بالشباب مع المحافظة على ما يستر البدن، وأن يتم التدريب على يد المربية الصالحة، وكل ذلك بعيدًا عن إثارة المفاتن، فالشرع الحكيم يحبذ الرياضة البدنية لأنها تقوِّى البدن وتقيه من الوهن، ولكنها إذا خرجت عن الدائرة الشرعية تكون مرذولة فقد تجلب الضرر للفتاة.

وعلى هذا لا يليق بديننا تكوين فريق قومى لكرة القدم من الآنسات؛ لأنه مسلسل مُقنَّع لكشف العورات، والغرب لا يحفظ للقيم هنا مكانتها، فهناك مدرب وجمهور من المتفرجين ومشرفون إداريون، وحينئذ نكون قد اتبعنا غير سبل المؤمنين بالعرى وإبراز المفاتن، أما أن يتم ذلك فى الإطار الإسلامى فى وسط نسائى وملابس تغطى العورات وتحفظها كما يحفظها الدين، فالأمر حينئذ على الأصل وهو الإباحة.

وقد حدث أن أصدر البرلمان الأوروبى قرارًا بحجب المساعدات عن الدول التى لا تسمح للنساء بممارسة الرياضة البدنية والمشاركة فى الدورات الأوليمبية... فكان من حسنات مجلس وزراء الشباب العرب أنهم اعتبروا بلادهم هى المقصودة بهذا القرار ومن ثم فقد استنكروه وأعلنوا رفضهم له؛ لأنه يمثل نوعًا من الإهانة لثقافات وقيم الأخلاق عند الآخرين لمن لم يمتثل للقريحة الأوروبية، يودون استعراض أجساد النساء المسلمات أمام المشاهدين فى القرية الكونية [1].

ما تقدم جميعه كان رصدًا لبعض السلوكيات التى تجوس خلال الديار لتلفتنا عن أعرافنا، وهى لم تنشأ بين عشية وضحاها، وإنما دفعت إليها أمور كثيرة وها نحن نطوف بالأسباب.

---

(١) جمال سلطان، الرأى العام الكويتية ١٩٩٧/٣/٢٠م.

# الفصل الثانى

## أسباب التقليد فى غير المحاسن

# الفرع الأول

## الغـــــزو الثقــــافى
## وتبدل السلوكيات

صراع حضارى أو صراع دينى وتحد مصيرى، إشكاليات ثقافية وتهديدات أمنية وغيرها، وكأننا قوم نعيش فى وسط غابة مظلمة ليس فيها سوى الوحوش وما علينا إلا أن نستعد لهجوم محتمل علينا، هذه هى فلسفة العالم الغربى المتحضر، وهو ينشد الديمقراطية، وهذه نظرته التعسفية الضيقة وهو يدعى التقدمية، ولكن هذه أخلاقهم وفلسفتهم فى الحياة، فما شأننا إزاء هذا الهجين من القيم والأخلاق؟[1].

نعم السيادة فى الوقت الحاضر هى للحضارة الغربية، بات الغرب يبتكر المعجزات ويحاول أيضًا أن يبسط هيمنته الثقافية فى مجال السلوك، ومن هنا كانت محاولات إلغاء الهوية والذاتية للأمة الإسلامية، وهى نظرية عرقية قديمة يجدد الغرب دماءها كل حين، ومؤداها تميز العقل الأوروبى عن العقل السامى العربى الذى هو - فى زعمهم - غبى التكوين فضلاً عما يتسم به - فى زعمهم - من معاداته للعلم والفلسفة[2].

وفيما يلى نحاول أن نرصد الأسباب الحقيقية التى تدفع إلى محاكاة الغرب والتشبه بأهله ووا أسفاه كما سنرى أنها انصبت على القشور دون اللباب.

### ١ ـ حملات تغريب العرب

#### الثقافة الوافدة واختراق الآخر

بادئ ذى بدء هناك فرق بين العلم والثقافة، فمرحبًا بكل علم وافد، ولكن لا مرحبًا بالثقافة الوافدة، فاحتلال العقول يتبعه احتلال السلوك واختلاله، فتودع الأمة تراثها ودينها وثقافتها لتتقمص طباع الأمة الغازية، وهو أمر يُخطَّط له بذكاء بالغ، فحينئذ تتقارب سلوكياتنا مع أبناء الملة الأخرى، ويتم الانسلاخ المنشود وهو بداية النهاية، حتى قيل بأن أهم التحديات التى نواجهها هو الغزو

(١) انظر د. محمد صالح العجيلى، أصالة القيم الثقافية، مقال بمجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد ٣٧.
(٢) راجع د. إسحاق أسعد، تميز الأمة الإسلامية، مع دراسة نقدية لموقف المستشرقين.

الثقافى القادم من الولايات المتحدة بالذات، والذى يصطدم مع مبادئ الأخلاق القويمة التى تتحلى بها الشعوب، ومسيرة الإرهاب الفكرى يمكن رصد مخططاتها، والعولمة محتومة لا مفر منها، وفى النهاية شمولية تتأسس على الظلم وخلط الأوراق واختراق دول العالم الثالث ومحاولة التصرف فيها كملاك لها، ومن هنا كانت محاولة الاغتيال[1]، فثقافة الغرب فى المجالات الإنسانية تزحف إلينا فى ثوب قشيب يفتن اللب منتهزين فرصة بعثرة الأمة الإسلامية وتنازعها لنتحول إلى مستهلكين لما تصدره القريحة الأوروبية، وهى تدمر فى طريقها أكثر مما تفعله الجيوش.

يا ترى ما الذى حدا بالإنجليز والفرنسيين أن يأتوا إلى بلادنا عبر آلاف الأميال مدججين بالسلاح من كل نوع؟ أهو تثقيفنا أم نهب ثرواتنا؟

والإعصار الغربى اليوم يداهم أرجاء شاسعة من العالم الإسلامى فى صورة جديدة، ويصيب أصحاب الكياسة والثقافة والرياسة الذين يمثلون مواقع القدوة بيننا، وهم فى غمرة ساهون، فهم مقبلون على أوضاع المنصرين؛ بل إن هؤلاء شرذمة منهم يطاردون أوضاعنا السلوكية والتى ترعرعوا فى ظلالها وأوصلتهم إلى مراتب المجد، فاستبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير، فالمناهج الدراسية الوافدة هى مترجمة أحيانًا بذكاء تخلع المسلم ولا تزرعه، فتنأى به بعيدًا عن ثقافة أمته وتغرس فيه حب الانتماء لغيرها، وقد بدأت هذه الأفكار المغايرة تتعدى عقولنا إلى أعرافنا، وفى غير محمود السلوك.

فقد بدأ التعليم عندنا فى العصر الأخير بتشعيبه إلى مدنى ودينى، تغدق الأموال على التعليم المدنى ليبقى التعليم الدينى فى وضع دونى، وصارت مناهجنا تستشهد بأفكار «فرويد» وتترك ابن خلدون الذى خلده التاريخ، ونزلت النظريات الغريبة فى التربية إلى سوق الثقافة العربية.

وإن تعجب فعجب أن المستشرقين وهم من دروع الغزو الثقافى قد نقلوا المسلمين إلى أرسطو ونقلوا أنفسهم وقومهم إلى مناهج المسلمين، وقد تبعهم بإحسان طبقة من كتاب الفكر والثقافة الذين انفصلوا عن الأمة، ومع ذلك فإن الأمة لا يحركها إلا إسلامها وتاريخها[2].

وكانت خطة المستشرقين هى إفراغ القرآن والسنة من جوهرهما وزرع الشبهات

(١) انظر مؤلف جون سيفيليا، الإرهاب الفكرى منذ عام ١٩٤٥ حتى يومنا، الأهرام فى ٢٠٠١/٩/٢٨م.
(٢) د. محمود قاسم، الأمة، إبريل سنة ١٩٨٤م.

حولهما، وذلك عن طريق دس وبث التفسيرات الخاطئة والاجتهادات الفاسدة فى قضايا مهمة مثل التعدد أو أزواج الرسول ﷺ أو الخلاف بين الصحابة وغير ذلك من الأمور. وواكب كل أولئك حركة ترجمة الأفكار اللادينية المسماة خطأ بالعلمانية، وخاصة بعد استمرار البعثات إلى أوروبا وعودة أبنائنا مبتهجين بأنهم صاروا ذوى عقول غربية، ويعضدهم نخبة من غير المسلمين ممن كان لهم قدر وباع فى الصحافة، وكانت النتيجة هى تهميش الدين فهو بزعمهم تراث لا عقيدة.

كما ذاعت وشاعت عندنا دعوات تحرير المرأة المسلمة حتى ولو كان من زيها ولباسها وتخليها عن تقاليد الإسلام، مع أن الراهبة لا تزال تتحلى به، ودعواهم أنه يحجب المرأة المسلمة عن نوال حقوقها، ودعواهم تلك داحضة.

أفكار تتخلل نسيج القيم عندنا، وحينئذ يفرح مرضى الغزو الفكرى الذين يريدون إقصاء الدين عن ساحته، فالثقافة الغربية بالذاتية التى أعلنت، من شأنها منح الحرية الواسعة التى وصلت إلى حد التفلت والتى اتسمت بها، باتت تحتفى ـ فى سلبياتها ـ بنموذج فتى لعوب أو امرأة متهتكة أو نجم شاذ جنسيًّا فى عالم السينما، بلا خجل ولا حياء من ذلك فى المجتمع الغربى[1].

وفى تصوير صادق أمين لما يجول ويصول فى خاطر قادة الغرب يقول الأستاذ أحمد بهجت الصحفى المرموق تحت عنوان (قضايا معاصرة) خلاصة ما سجله الدكتور إبراهيم العاتى العراقى فى أحد مؤلفاته[2] منذ بضعة قرون أن الحضارة الغربية الحديثة تتمدد خارج إطارها الجغرافى شرقًا وغربًا فتحتل الدول وتلتهم الثروات وتذيب الثقافات لصالح ثقافة واحدة، وقد تم كل ذلك ومازال يتم فى إطار من الصراع والتناحر، وكانت الغلبة فيه للطرف الغربى الأقوى عسكريًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، وحينما بدأت الدول الغربية احتلالها للعالم الإسلامى شكلت الهوية الثقافية والحضارية معتركًا حقيقيًّا للصراع بين الطرفين. وقد لاحظ الغرب أنه لا يمكن التمتع بثمار النصر العسكرى والهيمنة السياسية طويلاً، مادامت الأمة معتصمة بدينها وثقافتها ومخزونها التراثى.

كان هذا كله يشكل منجمًا للقوة الروحية الكامنة، والقادرة على تعبئة الشعوب ودفعها نحو المقاومة والمنازلة من جديد وهو ما حصل مرارًا. ومن هنا دأبت الدول الاستعمارية على تحطيم ثقافات الشعوب وتفكيكها أو تذويبها، وكان للمسلمين فى ذلك نصيب الأسد، وتم هذا باسم التقدم والتحديث واللحاق بركب الحضارة.

---

(١) فهمى هويدى، الأهرام ٢٣/٩/١٩٩٧م. (٢) أحمد بهجت، الأهرام فى ٢٠/٢/٢٠٠٣م.

من هذه الزاوية طرحت العلاقة مع تراثنا بوجه عام، والفلسفى منه بوجه خاص؛ إذ لم يكن التعامل معه محايدًا أو موضوعيًا، وإنما خضع لأحكام مسبقة ونظريات جاهزة، أو بتطبيق مناهج لا تتفق والنسق المعرفى للعلوم الإسلامية، وقد شكل الاستشراق رأس الحربة فى هذا المشروع، الذى عمل على ربط الفكر العربى والإسلامى بمسارات الفكر القديم السابق على الإسلام، وبخاصة الإغريقى منه، هادفًا من وراء ذلك إلى نفى صفة الإبداع والأصالة عنه لأنه فى نظرهم لا يعدو أن يكون نسخة مكررة لما سبقه من علوم وأفكار.

## ٢ ـ الغزو الفكرى المتبوع بالغزو السلوكى (الإرساليات)

الإسلام البديل لا الأصيل، تلك دعواهم، نعم تخطيط وعداء معلن تجاه أمتنا على أخلاقها وهويتها، ولم يكن هدف الغزو الفكرى أن يقرع ثقافة بثقافة أو فكرًا بفكر، وإنما كان تشويه الواقع الإسلامى وشن حرب شعواء على الهوية الإسلامية، سبيله الميسر هو أن يفتن المؤمنين والمؤمنات فى سلوكياتهم، حتى يصل السكين إلى العظم، ويصبح التناقض جليًا بين مبادئ الدين وواقع المسلمين كما نشاهد فى بلد كتركيا، وآخر شاهد على ذلك هو أن الغرب أحيانًا يستغل الأمم المتحدة كمظلة شرعية لفرض أفكاره الإباحية على الشعوب الإسلامية(١).

والغزو الفكرى عادة يطرق أبوابًا ثلاثة يحاول أن يلج منها وهى: الإعلام والتعليم والقانون، وحينئذ تسود ملامح الغربة، وتتسرب الشذوذات المسلكية الغربية فتختلط بحياتنا لتغتال شبابنا.

والغريب أن أوروبا احتفظت بنصرانيتها كتراث تاريخى، ولكن مع ذلك فقد أدخل الأوروبيون نظمهم ومفاهيمهم التعليمية للعالم الإسلامى، إما بوسائل القهر أو بوسائل أخرى، تقابلت الأهداف الاستعمارية مع التبشيرية فى المناهج التعليمية، وأنشأت الدول الغربية مدارس وجامعات لها فى قلب عالمنا تنفق عليها بسخاء، لتكون الأسوة الحسنة دائمًا للنمط الأوروبى دون منافس.

وهاكم تاريخ التعليم فى بلادنا شاهد ومشهود، كيف هيمن النفوذ الأجنبى على أجهزة التعليم، ففتحت أبوابنا للإرساليات التبشيرية والبعثات العلمانية من كل جنس غربى، حتى يخرجوا أبناءنا غرباء فى اللغة والفكر والوجدان، ينتابهم

(١) مؤتمر بكين المنعقد فى يونية ٢٠٠٠م لإزالة جميع الحواجز الدينية والقيم الأخلاقية التى تبديها الوفود النسائية المشاركة، انظر الإيمان ـ ملحق الأنباء الكويتية فى ٩/٦/٢٠٠٠م.

شعور بالنقص من قوميتهم، فكانت عندنا مدارس الليسيه واليسوعية الإنجيلية والأمريكية والفرير وسان چورچ والتلمود وفيكتوريا والقلب المقدس، «وأم الله» - نعوذ بالله - والراهبات، وهلم جرًا. وزحزحت المدرسة الإسلامية من مكانتها التى كانت لها، وغدا أخلاط الخريجين من مدارس الفرنجة هم قادة الحياة الفكرية والاجتماعية والوجدانية للأمة الإسلامية.

مدارس (الملابس القصيرة والمعلمات المتبرجات)

فالمدارس الأجنبية اليوم تنشئ أجيالاً مضطربة الفكر والعقيدة، يهتمون بلغتهم وآدابهم وسلوكهم، نعم تنمى فيهم المهارات ومواهب النبوغ، لكنها تترك لديهم استخفافا بالفرائض وما حولها من آداب وقيم.

فتعليم الرقص عندهم والاختلاط مواد أساسية لا كمالية، نعم من المحاسن أنها تعلم لغة نطل منها على حضارة أخرى، لكن المساوئ هى إضعاف العقيدة والإسهام فى مسح الشخصية الوطنية. فالطلاب الذين يتخرجون يكون ولاؤهم للدولة التى تتبعها، فالغرب فى عقيدته الدينية شديد الاضطراب وكذلك أخلاقياته، فما بالك بمثقفيه الذين يرون أن العرى والاختلاط بل والعلاقات الجنسية بين الشباب والفتيات والعلاقات الشاذة بين أبناء الجنس الواحد حرية شخصية[1].

ولولا فضل الله علينا ورحمته لما زالت مثل هذه المتاريس، فدورها وعددها قد تقلص الآن سيما فى بلد كمصر، وهى تحت سيطرة الدولة إلا أنها لاتزال تلعب دورها فى دول إسلامية أخرى من خلال المناهج والمفاهيم الغريبة والتقاليد المصاحبة التى تبثها، فتُخرج أجيالاً متخمة بالعلوم والمعارف إلا معارف دينها.

إن الحملة التى يشنها الغرب على الإسلام، وإن كانت ترتدى لباس الثقافة المندثرة بالفكر إلا أنها تضمر محاصرة الإسلام وتقطيع أوصاله حتى لا يخرج عن أن يكون مجرد عقيدة دينية ينحصر دورها فى حدود العبادات، ولا يكون لها قوة سياسية عالمية مؤثرة أسوة بالديانات الأخرى، مثل المسيحية والتى لها كيان سياسى يتمثل فى دولة الفاتيكان، واليهودية والتى لها دولة تدافع عنها، ولوبى متعدد الأشكال يرعاها.

نعم للتواصل الثقافى بين الشعوب، ولكن لكل أمة خصوصيتها فى ثقافتها وسلوكها التى لا ينبغى أن ينال منها عدو نيلاً.

(١) د. مصطفى الشكعة، المسلمون، ٢٣ مايو ١٩٩٧م

## ٣ ـ الأقمار جاهدة فى تغريب السلوكيات

مجلة الشباب فى مصر أصدرت عددًا عنوانه «من يحمى الشباب من سموم قناة الحرة الأمريكية؟»(١).

استعمار فكرى فى ثوب عصرى قشيب، وثقافات معاكسة تتبعها سلوكيات معادية تعشش فى العقول وتضعف معها الحس والوجدان الإسلامى وتجعله واهيًا منهكًا، وتخترق الحجب والآفاق والأدمغة فتترك أصحابها أسارى للثقافات الغازية مع كونها فارغة المحتوى، وتلك هى الصورة المثلى للغزو الثقافى؛ حيث تقتحم على الناس فكرهم دون عراك فتقدم لهم سلوكيات غريبة على المألوف والمعروف، يَقْدُمُها مثلاً أوضاع الخيانة الزوجية، وأوزار العشاق وتذويب الحواجز بين ما حرم ربكم عليكم وما أحل لكم من الطيبات.

يتسلل إلينا متخفيًا أو متبجحًا الانحلالُ الغربى، يناوش حتى الطاعنين فى السن، يسحر أعين أبنائنا ويراود بناتنا من خلال التقاليع و(الموضات) والأغانى المكشوفة وأوضاع توهن العزيمة وتربى الضعف؛ فتأتى بالضربة القاضية فى أعز عزيز(٢).

وتعمل القنوات الغربية جهد أيمانها فى عرض الخلل فى ثوب قشيب أخاذ كإبراز مفاتن الجميلات والحسناوات وتفعيل فنون الإثارة الجنسية التى تقود الشباب للاغتصاب، ولو كان على الأبرياء من الأطفال؛ لأن مواد البث المباشر تصاغ فى قوالب تائهة عن قيم الأديان السماوية، ليصل الشباب إلى مرحلة اللامبالاة بالقيم، ويرسخ فى الأذهان أن المرأة الغربية ما تطورت إلا بعد أن خلعت رداءها وأن الحضارة ترك الحجاب(٣).

والمرأة المطلقة عندنا تقدم على أنها منبوذة، بينما الغربية متحررة كنموذج لابد من تقليده، فتقدم على أنها بطلة نالت الإعجاب وحصدت جوائزه لإهدار الحياة وترك العفاف، وكم تعانى المرأة الاضطهاد الذكرى فى ظل نظام القوامة الأسرية، ولا تكف الأقلام المستوردة عن الاستخفاف بالقضاء والقدر والملائكة بل تجعلهم موضع نكات، وأصبح الإعلام العربى فى غالبه مفتونًا بالصورة الغربية، وتسلقت حصوننا برامج تعرض لنا ثقافة سلوكية هابطة، تنضح بكل

(١) مجلة الشباب فى إبريل ٢٠٠٤م العدد ٣٢١.
(٢) مصطفى محمود، الإسلام السياسى، الأهرام ١٩٩٢/٥/٢م.
(٣) المسلمون، غرة صفر ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٧/٦/٦م.

مظاهر التفسخ الأخلاقى على أعين الناس، والذى ينتقده علماء الغرب أنفسهم، والبعيد كل البعد عن التقدم العلمى، أو محاسن الغرب وإيجابياته، أغرقتنا فى التسلية والترفيه، ولكن كم أبعدت المسلم عن دينه[1].

فهذا هو المسلسل الأمريكى الشهير (الجرىء والجميلات) يحض على الرذيلة والانسلاخ من الفضيلة، ألف حلقة متتابعة كفيلة بأن تدمر جيلاً إسلاميًا بأسره؛ حيث تقوم الشخصية الأساسية فى المسلسل (ريدج) بالاجتراء والافتراء بدخول غرفة نوم أخيه وهتك عرضه فى فراشه، وأخرى تسمى (بروك) تعيش مع الشخصية الأساسية فى المسلسل دون زواج (ريدج) وهو المسمى بنظام اتخاذ الأخدان، والنتيجة هى أطفال الحرام الذين يشعلون حروب الإنسانية فيما بعد، وفكر مدمر وشباب مطحون، على أنهم فى أمريكا لا يعرضون سوى المفيد من هذا المسلسل فقط ويصدرون لنا ما تدنى حتى نظل عاكفين على السفالة الجميلة.

وهاكم مسلسلاً طويلاً وعريضًا يسلب نصيبًا من أعمارنا، ويقص علينا سيرة فاسق غربى داعر، توفى ثم تقسم أمواله وفقًا لنظام الوصية فى الغرب، والغريب عن ديننا، ثم ينتهى الأمر بأيلولة ماله الممدود إلى عشيقته الغريبة عن أسرته، أو بأيلولة التركة إلى كلب كان يداعبه ويؤنسه.

برامج متقنة تخالف كل انتماء عرفناه لنتحول إلى أمة تقتات الرذائل السلوكية وتنام على شهادة الزور، وكم يستعدى الإعلام الغربى واقعنا فتراه يصور المسلم المعاصر أنه إنسان عابث الوجه مقطب الجبين، كثيف اللحية، يلبس العمامة على رأسه ويثير الرعب بقوله وعمله[2]، ويستغل خصوم الإسلام ـ ومنهم منتسبون لهذا الدين بأسمائهم ـ وسائل الإعلام وتقنياته فى بث أفكار الغرب بما تحوى من أوزار بين قطاعات المسلمين، كما لو كنا ننتظر منهم أن نتعلم أفكارنا وأعرافنا؛ حيث يجد الناشئة أمامهم نماذج من الاختلاط الماجن الذى يقض مضاجعهم ويستحوذ على حواسهم، وإعلانات جذابة مثيرة ورقصة تتبارى فيها أندية الليل والنهار، وأعانهم على ذلك سماسرة لهم يستوردون المباهج الخسيسة لتدمر المناهج التى عاشت عليها الأمة وترعرعت، سيما بعدما زلزلت الحواجز الثقافية بين الشعوب، ما نأباه هو التهكم على رسالات السماء والاصطدام بأحاسيس المسلمين الصادقين، وذهاب شبابنا مبكرًا وإن ظلوا فى عالم الأحياء، ولا يمارى أحد فى أن جهاز التلفاز هو أبرز منجزات العصر، وهو

(١) د. عبد الحليم عويس، مجلة القبس الكويتية، فى ٢٣/٤/٢٠٠١م.
(٢) محمد الغزالى، هذا ديننا، الشعب فى ٢/٢/١٩٩٣م.

حقًا يقدم لنا الإمتاع والمؤانسة، ويسيح بنا فى أرجاء المعمورة؛ ليطلعنا على أحوال الشعوب ونحن فى الغرفات آمنون، ولكن إقحامه بسلبيات الغير ورذائلهم هو نوع من الافتئات على ثقافة الشعوب - تقدم إليهم تحت ستار البرامج الترفيهية التى تغتنمها الدوائر الغربية؛ لتمرير قيمها وطرائق معيشتها للسيطرة على الكون، باعتبار كل ما ليس إغريقيًا رومانيًا متخلفًا ووحشيًا، ويبقى الخطر كامنًا فى السطو على الأطفال وخيالهم، والقصة هنا للدكتور «جمال أبو العزايم» عالم الأمراض النفسية؛ حفيد من أحفاده طفل صغير شاهد فيلمًا للسوبر مان، وبعد انتهاء عرضه اندمج الطفل وتقمص شخصية البطل وقام من كرسيه ليفتح النافذة استعدادًا للقفز منها إلى الهاوية كما فعل السوبر مان الوهمى، ولولا أن تداركته العناية الإلهية لكان فى عداد الموتى[1].

والخلاصة سلوكيات غازية تأتى بنياننا من القواعد.

## ٤ - الدخول فى دين الملك (العولمة)

سفينة ربان أم قرصان؟ تلك هى العولمة الجامحة - هى مشروع استعمارى عصرى يضفى طلاء من الذهب على الطين والقذر، اتجاه جامح يود أن ينفى الآخر، يريد أن يذهب بكل القيم لفرض منظومة قيمية نابعة من الغرب وحده؛ لكى يتقمص الآخرون.

عبارات غامضة ذات مضامين يكثر الجدل حولها، باعثها ثقافات موجهة، وصراعات خفية فى الكواليس تدور هناك ليتسيّد الغرب عن طريق محاولات التذويب لكل أمة هشة عارية عن التاريخ والمجد والحضارة، وإخراجنا بالذات عن ملتنا بدعاوى باطلة شاركنا فى حيثياتها أحيانًا بالصمت والجمود، وأحيانًا أخرى عن طريق نفر من مبدعينا العابثين برصيدنا الحضارى وموروثاتنا.

وباختصار، هى ترنو إلى إعادة صياغة الإنسان المعاصر وفق مقاسات غربية بحيث يكون عبدًا لها، ولو خلت من أى مضمون أخلاقى، هى اتجاه خسيس أو ورم خبيث يريد أن يدمر الفوارق بين الأجناس حتى بين الذكور والإناث، وكل موروث ثقافى، مع أن الأمة لا تستطيع بدون ثقافتها أن يكتب لها البقاء. وباختصار، هى وسيلة لإلغاء الهوية وذاتيتنا الإسلامية النقية.

لنعلم جيدًا أن العلم لا وطن له؛ فهو مشاع بين الدول، كالطب والهندسة، وهو لذلك يجتاز كل الحدود، أما الثقافة فهى متصلة بالكيان الإنسانى للإنسان، وتنبع من عقيدته وتاريخه ولسانه وبنيانه الروحى. ومن ثم تكون الهوية

(١) مجلة النور، ١٠ محرم ١٤١١هـ

الثقافية لأى شعب حصنًا حصينًا فى مواجهة العولمة الجاثمة؛ لأن أول ما تجتاح هو آداب القوم.

وكما تسعى العولمة لاجتياح ثقافة الشعوب تسعى سعيًا حثيثًا لبث القيم الغربية عبر المؤتمرات الدولية، كما حدث فى مؤتمر المرأة فى بكين فى محاولة لبسط هيمنة الغرب على النظام العالمى بسلبياته وإعادة تشكيل العالم وفق منظومته، وكانت له دورة استثنائية فى نيويورك فى مطلع الألفية الثالثة المتمثلة فى التركيز المبالغ فيه على القضايا التى تخص نساء العالم المتقدم، مثل الصحة العقلية والإيدز والإجهاض وترتيب الأولويات وفقًا للرؤية الغربية؛ لفرض الممارسات الإباحية والتوغل فى الانحطاط الخلقى للتحرر من سلطان الدين والأخلاق، وكذلك المؤتمر الدولى للسكان حيث هيمن الصهاينة على لجنة القيم لتجريدها من فكرة الدين تحت ستار عالمية القيم، ولكن من عرف النور لن يعود إلى الظلام[1].

أين تلك العولمة من عالمية الإسلام التى تقوم أصلاً على الاختيار لا القهر، والتى تهدف إلى سعادة البشر لا استلابهم وقهرهم؟

نعم هى خطة عمل ملعونة أو ملغومة الأهداف، وضعت للتدخل فى شئون دولة صغيرة أو فقيرة، والهيمنة العالمية هو وصف جديد لمعنى قديم يحمل كل الأطماع إن لم تكن كل الأحقاد.

هو الهجوم الأخير على الإسلام، من قبل الغرب ممثلاً فى كبيرهم الذى علمهم. تتسلل عبرها إلى قيمنا الحضارية الراسخة بوصفها قيمًا إنسانية سامية:

فى الثقافة: طمس الهوية الإسلامية حتى فى الطعام والشراب، وتضخيم الغرائز الحيوانية لدى الإنسان.

فى الاجتماع: يرنون إلى تعرية بدن المرأة بدعوى تحريرها وأكاذيب عن حقوقها وحقوق الإنسان، والعلاقة الزوجية والزواج والطلاق يجب أن يطولها التغيير.

الاقتصاد: الربا والفوائد.

العسكرية: التحريض على الشعوب واستخدام العنف قبلهم.

وأخيرًا، هى محاولة لجر العالم إلى منظومة يسيطر عليها نمط ثقافى واحد يهاجم غيره أو يفترسه أو يفترشه.

(١) الأنباء الكويتية فى ٦/١٢/١٩٩٨م.

## الفرع الثانى

# دورة الانبهار بالغرب

## (لوثة الإعجاب)

من الأقوال المأثورة أن العلب الجميلة لا تعنى دائمًا جودة البضاعة.. ولكن منذ منتصف القرن العشرين بدأت الحضارة الغربية وكأنها النموذج المثالى الذى يجب على الجميع احتذاؤه، إن عاجلاً أو آجلاً، فصار شباب المسلمين بل كبراؤهم يرتدون الجينز ويأكلون الهامبورجر، والكوكاكولا ويدخنون المارلبورو ويتحدثون الإنجليزية ويسكنون نفس البيوت[1] فقد اتخذ التحضر اتجاهات غالبًا ما تكون منافية للأعراف والتقاليد العربية ومنظومة القيم الدينية. واتبعوا بإحسان كل ناعق يحمل كذبًا راية التنوير وما تبطن من التبوير.

وجوهر البلاء يكمن فى الإعجاب بكل ما هو غربى وما يترتب عليه من عزل العقل العربى، والانتقال من هزيمة إلى هزيمة، وتحول الدول العربية الإسلامية إلى دويلات تابعة، نعم الحضارة الغربية قد أوتيت رشدها وحاز الغرب كل أنواط التقدم التى تؤهله للصدارة على العالمين، وهذا مما يكبر فى صدورنا، فإنسان العصر قد يسرت له السبل التى تجعله يعيش فى رغد، واستفاد العالم أجمع من تلك الحضارة مما دعا الكثيرين إلى قبول دعوات الالتحاق والتبنى، وقد أصيبت أجيالنا بانبهار شديد متعدد الأشكال والدرجات، وأعانه على ذلك ما يعانيه من فراغ سياسى وثقافى متراكم متفاقم، مع شلل فى القدرة وخلل فى التفكير أحيانًا، مما يغرى أية قوة طامعة باجتياز حدودنا وتدنيس أممنا[2].

ولا يجحد جاحد فى أن التجاوب الانفعالى مع الحضارة الغربية المادية كان له نفع كبير فى دولنا أدى إلى انقشاع سحابة الجمود والركود، وعرفنا من خلاله ما أسفر عنه العصر الحديث من أنظمة متطورة، وأصبحت الأخلاق الإنسانية موجودة فى أوروبا أكثر منها فى بلاد الإسلام، ولكن إلى هنا ينتهى الحديث عن الضوء المبهر للحضارة الغربية، فعلى الرغم من أنها قد أبدعت فى مجال الكون المنظور وما تفرع عن ذلك من تقدم فى المعرفة، إلا أنها قد أنزلت القيم من عرشها، مما أدى

(١) د. مراد هوفمان، الإسلام كبديل ص١٩.

(٢) فهمى هويدى، ضعفنا غير عادى، الأهرام فى ١٤/٤/١٩٩٢م.

إلى زعزعة الطباع الفردية وأمسى لأهل الحضارة شذوذات تحط من قدرها، فخلف الواجهة البراقة تختبئ الثغرات والإغواء الاجتماعى والخلقى، فهاكم البغاء وتفكك العائلة ونوادى العراة وتدهور أخلاق النساء وأولاد السِّفاح، وظلم الشعوب المستضعفة قد عظم وتفاقم بسبب تباعدهم عن شريعة موسى وعيسى بن مريم.

فهذا الانبهار يجب ألا يخلط فيه الليل بضوء النهار، فكل حضارة لها جانب مادى وهو التقدم العلمى وجانب معنوى وهو الأخلاقيات والسلوكيات، فالأول علوا فيه علوًّا كبيرًا، أما الثانى فهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا. أعراف ممدوحة وسلوكيات غير محمودة. ويفرض الإنصاف علينا أن نفرق بين المحمود والمذموم من سلوكياتهم، حتى لا يذهب الانبهار بنا مبلغه، وفى الوقت ذاته لا نبخس الناس أشياءهم.

فالمرضى بالحماس الانفعالى يقولون إننا أفضل من الغرب بعد أن جردوه عن القيم بزعمهم، وهو أمر مردود، فهناك قيم هادئة ورائجة والتزام كامل لإيجابيات فى الأخلاق الاجتماعية جعلهم اليوم فى عليين، فعندهم ممدوحات تحسب لأهل الغرب بل نحسدهم عليها، ولم يشأ المقلدون عندنا أن يغبوا منها وغفل الغافلون عن أنها من إيجابيات الإسلام التى تسربت إليهم، وفرطنا نحن فيها كما فرطنا فى أمور كثيرة، وها نحن أولاء على آثارها نحاول أن نحصيها فى إيجاز بالغ:

## أولاً: السلوك الغربى المحمود

هم بالجملة أخلاقهم كديننا وأخلاقنا كدينهم، فكل صغير وكبير لأهل الغرب نحمده ولا نجحده، وتلك باقة من ممدوح سلوكهم التى نحسدهم عليها فنحن لا نبخس الناس أشياءهم:

### ١ ـ شعوب قارئة:

«اقرأ»، وكأنما أنزلت فى بلادهم أول كلمة فى القرآن الكريم، فالكتاب عندهم صاحب وأنيس وجليس، والمكتبة تكاد تكون جزءًا من أثاث المنزل الذى نفاخر به. بل هى فى تصميم المنزل قبل البناء. والهدية عندهم بالكتاب أمر ذائع وشائع على غرار الحلوى عندنا. ومن ثم فلا عجب أن يكون رصيدهم وزادهم من الثقافة والعلوم متخمًا، صعدوا به إلى عالم الكواكب والفضاء والسماوات المفتوحة وعلوا فى ذلك علوًّا كبيرًا.

## ٢ ـ علـم العلمـاء:

العلماء هناك شأنهم إلى عنان السماء على غرار الفنانين ولاعبي الكرة عندنا، الأسماع والأبصار تطربها صنوف الثقافة من كل ضرب، أسمع بهم وأبصر وكأنهم يطبقون من دوننا قول الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، أما نحن فقد غفلنا عن العلماء وقدرهم وقنعنا من الغنيمة بالإياب، واكتفت أجيالنا بثقافة الفيشار.

## ٣ ـ عدل الحكام:

أينما طوفت فى الدول الأوروبية ـ سيما بلاد الرأسمالية الغربية ـ فكأنهم جميعًا خريجو مدرسة عمر بن الخطاب موجودون فى هذا العصر ـ العدل عندهم شرعة ومنهاج، واحترام الحاكم للمحكوم، والتزام المحكوم بحكم القانون عرف معروف، والمحكومون مكرمون، يسأل الحاكم علا أم دنا عن أى جرم يرتكب فى حقهم، كما كنا نسمع عن الحكام فى صدر الإسلام.

## ٤ ـ الحفاوة برجال الدين ونسائه:

فرجال الدين رفعوهم مكانًا عاليًا، لا استهزاء بهم كما يُفعل بهم عندنا فى العروض الفنية، فأمامهم يقسم أكابر الحكام ورؤساء الدول اليمين الدستورية التى تؤهلهم لتولى مهام الدولة، وبغير ذلك لا يمارس ولى الأمر سلطته.

وإن تعجب فعجب أن يكون هذا التكريم موصولاً حتى بعد أن تألبت أوروبا على دينها، حتى صارت الكنيسة الآن مقصورة على العجزة أو كبار السن. ومما يُحمد لهم أن الراهبة لاتزال موضع ثناء وتبجيل، وهى معتصمة بزيها الذى يرتبط بدينها الذى يضاهى زى المسلمة، فليس من شأن التقدم العلمى تخلى المرأة عن لباسها، ولم تتهم بالرجعية من كاتب أو فيلسوف شغوف.

## ٥ ـ الوفاء بالعهد:

إخلاف الوعد لا يقوم عليه كرام الخلق لأنه عمل قبيح، ومنهج أهل الغرب دائمًا الوفاء بالعهد، فالعهد عندهم كان مسئولاً، وكأنهم هم فى الصدر الأول من الإسلام صادقو الوعد، لا نكاثو العهد كدأب أهل الشرق فى عصرنا.

### ٦ ـ العمل وإعلاء قيمته:

إتقان العمل دستور ثابت، لم تصلهم بعدُ آفاتنا من كلام كثير وعمل قليل، الجميع مقبلون على العمل وكأنهم يعلنون وحدهم قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ [التوبة: ١٠٥]، فالعمل عندهم قيمة لا تدانيها قيمة، ونحن لا نقدرها حق قدرها.

### ٧ ـ التخطيط النابه والنظام المبهر:

حقًّا يخططون للغد بحسابات دقيقة وفكر نيِّر ومن ثم كانت الطاقات والإبداعات، وكأنهم يطبقون حقًّا قول ربنا: ﴿وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

أما النظام فهو صورة مبهرة للتقدم، فهم فيه بلغوا شأوهم وصاروا قدوة سلوكية لا تجد فيه عوجًا ولا أمتًا، ومن ثم فهو يسرع بهم من نجاح إلى نجاح.

### ٨ ـ نجاح الإدارة والمحاسبة:

فمنهجهم فى الإدارة لا ترى فيه عوجًا ولا أمتا، أولاً بأول تعالج أمراض البيروقراطية والمكاتب العصرية إن ظهرت، فلا تتفشى كما تفشت فى بلادنا، ولحق بهذا ركب التقدم المحاسبة عن كل صغيرة وكبيرة لكل صغير وكبير، ومن ثم كانت نظمهم متألقة بجدارة.

### ٩ ـ الليل منام والنهار معاش:

اليوم عندهم هو اليوم الإسلامى يبدأ مع الفجر وينتهى من بعد صلاة العشاء، فالليل للمنام والنهار للمعاش وكأنهم يطبقون قول ربنا: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [الروم: ٢٣].

### ١٠ ـ الوقت من ذهب:

الوقت هو رأس مالهم ومصدر ثروتهم، يجلب المال والمجد فمن ورائه مغانم كثيرة، وهنا يقول ناصحو الأمة إن الإنسان لم يؤتَ بعد نعمة الإسلام من نعمة سوى نعمة الوقت، لأنه سر تقدم الأمم إن أحسن استثماره، والأوروبيون قاطبة ذلك اليوم ديدنهم، ذكرانهم ونساؤهم، فَعَلَتْ شعوبهم ودنت شعوبنا؛ لأن الوقت عندنا كمٌّ تافه.

### ١١ ـ حدائق ذات بهجة:

حب الطبيعة عندهم دستور غير مقنن، ويتأهبون جميعًا لأيام العطلات، فيذهبون إلى حدائق خلابة، حقًا ذات بهجة، يمرحون فى الأرض، وحق لهم فقد كدوا وكدحوا، وهم جادون أيضًا فى الحفاظ عليها لا إتلافها وتدميرها كما يفعل سفهاؤنا من صغارنا وشبابنا، بل وأمام أهليهم دون تحذير.

### ١٢ ـ لكلٍّ شرعة ومنهاج:

سر من أسرار نبوغهم منهاج لا يزيغون عنه فى غدوهم ورواحهم صباحهم ومسائهم، بكرة وعشيًا، حتى وقت الفراغ يخططون له بذكاء لكى يغيروا ما بأنفسهم، وذلك منهاج ديننا ولكن زاغت عنه القلوب والأبصار فصرنا مع الخوالف.

### ١٣ ـ الاقتصاد الرشيد:

فالاقتصاد عندهم نصف المعيشة، لا يعرفون السرف أو التلف، فكأنهم سمعوا ما أنزل إلى الرسول ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وهذا دأبهم رجالاً ونساءً، وعن الحفاوة بالضيف (فلا تكلفى يا عائشة للضيف فتكرهيه)، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [سورة ص: ٨٦].

### ١٤ ـ مدنية مزدهرة:

قصور مشيدة وعمران متألق ومتأنق وحدائق غناء، وضح فيها علم العلماء، وأماكن ثرية وهنية للخلوة والنزهة، واللعب والمرح البرىء، يعودون بعده أكثر حيوية مما يبعث على الازدهار والابتكار.

### ١٥ ـ سهولة الأداء ويسر الحياة:

فالمرافق العامة التى تخدم الخاصة والمجموع فى انسياب ويسر، رائدها حكمة تقول «المعوقات اقتلعوها بالفئوس».

### ١٦ ـ استغلال الكون المنظور:

فمشروع النهضة عندهم على قدم وساق، لا تفتر همتهم ولا تذوب عزيمتهم فى النظر فى ملكوت السماوات والأرض. فما وجدوا طريقًا إلا طرقوه، ولا دقيقًا إلا دققوه، وفتشوا عن أسراره التى أودعها الله فى الكون، استثمارًا أمثل للموارد، أنجب عندهم اقتصادًا متألقًا وعلمًا نافعًا ومجدًا باسقًا.

## ١٧ ـ الشـــورى:

هى دستورهم وشأنهم فهم يحبون الناصحين، وكأنما أنزلت الشورى فى بلادهم ولهم، أما نحن فى عصرنا فأكثرنا للحق كارهون، وما أريكم إلا ما أرى.

## ١٨ ـ الديمقراطية حقيقية لا ورقية:

أما فن التأييد والمعارضة فقد اتبعوا بإحسان ما لخصه أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فى كلمتين: «إن أحسنت فأعينونى وإن أسأت فقومونى»؛ أى محاسبتى كحاكم وتوجيه سلوكى الخاطئ بالنصح الأمين إن كان، فكانت هناك حقًا شورى فلا ينفرد حاكم برأى.

وتجد الديمقراطية عندهم قائمة على أصولها، الفصل بين السلطات، واحترام الحقوق والحريات والحرمات، فما تجد حاكمًا تسول له نفسه الأمارة بالسوء أن يعتدى على ركن من الأركان، فيهدم حضارة باسقة، أو يشوه تاريخًا ناصعًا، وقد تشدقت بعض النظم الاشتراكية بالديمقراطية فكانت مجرد قولهم بأفواههم، فانهارت بهم لما ضاق الإنسان بالسجان، أما فى بلاد الشرق فصار الباحثون يتساءلون: هل الحرية تراث للغرب وحده؟

## ١٩ ـ استقبال المضطهدين والمقهورين:

فكل من أخرجه قومه، يجد فى أرضهم مراغمًا كثيرًا وسعة، فكاكًا من الجبارين، فهم يجيرون من استجار بهم.

## ٢٠ ـ أمـــة واحـــدة:

معتدون بقوميتهم وكأنهم نهلوا من الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون: ٥٢]، حتى صاروا دولة واحدة وعملة واحدة مع أن قلوبهم شتى، زلزلت الحواجز بينهم فأضحوا قوة ضاربة، ونحن أحق بها وأهلها.

## ٢١ ـ الرأى الآخر وأدب الحوار:

حوار لا شجار، فالبحث عن الحقيقة متعتهم، وهم يؤمنون بأن نصف رأيك عند أخيك، ولذلك لا تضيق صدورهم بالرأى الآخر، بل هم يحثون عليه فلعل فيه شفاء من علل أو إصلاحًا لمسار، فهم يجدون فيه الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى.

## ٢٢ ـ الأغنياء وفعل الخيرات:

نعم هم أساتذة فى الانتماء، وهم عضد للدولة على النماء، فالزائر لأوروبا وأمريكا يذهل عندما يعرف حجم المساعدات والتبرعات فى شتى المجالات سيما إنشاء الجامعات.

أما الموسرون عندنا فمنهم الصالحون ومنهم دون ذلك ـ سامحهم الله ـ قد تطاولوا فى البنيان، ولكنهم عن فعل الخيرات فى غمرة ساهون، بالرغم من أن ثرواتهم من دم الكادحين، واجتمعت الأضداد، فهم أغنياء فى دول الفقراء.

## ٢٣ ـ اتباع منهج الإسلام بإحسان بالجملة :

فباختصار شديد تجد عندهم منهج الإسلام حقًا، فالنظافة ناموس الجميع، والأصل سداد الضرائب والتهرب استثناء، لإثراء الخزانة العامة بحقوقها. عدم التكلف دأبهم، والبساطة فى الأثاث والمظهر تجدها عندهم، والتجارة تجارة لن تبور، والاقتصاد فى كل الأمور، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم كأثر للثقافة الشاملة.

فكل ما تجده عندنا فى الكتاب مسطورًا من نظم قيمة وقيم وإيجابيات وفضائل واعتداد بكرامة الإنسان وإعطاء كل ذى حق حقه، وسيادة الأخلاق الاجتماعية والثروة العلمية والمنهج التجريبى، كل أولئك هى بضاعتنا ياليتها تُرد إلينا. أما نحن فقد فرطنا فى الكتاب، فهل نستحق العتاب أم العقاب؟ نعم إنها قصة نجاح هناك وتألق وتأنق، بفضل التمسك بما جاء به منهج الإسلام ولكن لا يشعرون.

# ثانيًا: سلوكيات لا مرحبًا بها

## (مساوئ السلوك الغربى)

الغرب كما أسلفنا له إيجابيات هائلة ولكن فى الوقت نفسه نرصد له سلبيات مذهلة؛ لأنهم حبسوا أنفسهم فى سجن المادة، لأنهم شردوا عن الصانع، وصنع الصانع، وجهلوا أن الكون لم يخلق عبثًا، ومن ثم راحوا يغطون فى ألغاز وحيرة واجتهاد وفلسفة وكفر ونكد. ينكرون الغيبيات ولو رأى واحد منهم شبحًا كذبًا لولّى مدبرًا.

## ( أ ) حضارة بين السماحة والإباحة:

الجميع يرى والقليل يفعل والغالبية لا يستنكرون.

ما رأيهم فى الزنا واللواط وكشف العورات؟ فلا تثريب عليهم اليوم أن ينتشر خبر فلانة المرموقة التى أنجبت سفاحًا، وأنها قررت أن تنخلع عن زوجها، فالتمتع بالحرية الشخصية قد واصل مسيرته وعطاءه الميمون حتى صار الجنس بضاعة مزجاة، وتجارة لن تبور، أولاد الحرام آلاف مؤلفة.

وهكذا تنتقل حضارة الغرب رويدًا رويدًا من وادى التقدم العلمي، وما جبل عليه الغرب من السماحة التى تخلقها الحضارة، إلى رحاب مجتمع جديد سيما في مجال الإباحية والتى كانت دائمًا معول هدم للحضارات[1].

ولا يجحد جاحد هناك معايب السلوك الغربى سيما أصحاب الفكر والقلم، أقلها أنها جرأت الناس على الله فجعلتهم يستبيحون الأعراض، وليس لبلادهم عاصم أو ناصح أمين يحرم عليهم الخبائث، حتى وصل التردى إلى نوادى العراة، فبدت لهم سوءاتهم، ففى مسارات الحضارات هناك خيط رفيع يفصل بين قمة النهضة وبداية الهبوط، وهو خيط لا تميزه العين فى الوقت المناسب لتداخل عوامل البناء فى عوامل الفناء.

هل يقول قائل من عشاق الغرب أن الأخلاق تتقدم تقدمًا متوازيًا مع التقدم التكنولوجى.

**وجه مضىء ووجه معتم:**

حقًا إن الحضارة الغربية قد بلغت أوج مجدها، تقدم فى العلوم والمعارف وابتكارات لا تعد، أراحت البشرية من عناء كبير، ولكن حضارة أحاطت بها خطاياها، من سلوكيات يمكن أن تدمر كل شيء، ومن هنا كانت الموبقات التى ولدت فى أحضان المعجزات كما ترعرعت فى كنفها الفاشية والشيوعية بأخطارها، والرأسمالية بآلامها والاستعمار بأنيابه وضروسه، فكانت حضارة الاستكبار والنهب والقهر وامتصاص جهد غير المستضعفين فى الأرض، نعم لقد صعد الغرب إلى الفضاء ومشى على سطح القمر، ولكن هناك فى الوقت ذاته قطع الغيار البشرية تجارة لن تبور، وعصابات المافيا التى تفتعل حوادث الصدام بعد منتصف الليل ثم تمزق الضحايا الأبرياء إربًا، وتعبئ الأكباد والكلاوى والقلوب فى أكياس من الثلج، ثم تشحن بالطائرات لتزرع فى أجساد أخرى ولا يسألون من أين[2].

(١) د. حسن الشرقاوى، المسلمون علماء وحكماء ص١٢٧
(٢) مصطفى محمود، دولة الظلم ساعة، الأهرام ١٩/٩/١٩٩٢م.

**حقائق مرة يعانى الغرب منها:**

الطلاق هو معضلة المجتمع الغربى الأولى، وأخس ما فيه أنه يؤدى إلى تقسيم مال الرجل عند الطلاق، وهو ما يؤدى به إلى الارتباط بعيدًا عن الزواج. ومن إفلاس الأسرة إلى ظهور التفسخ الأخلاقى غداة إطلاق العنان للحريات والملذات بلا ضوابط، وهذا ما يتلوه شاهد منهم، فها هو الكاتب الأمريكى الشهير «أندرو شابيروا» يقول: فالعائلة التقليدية التى يعمل فيها الأب عائلاً ويسودها الهناء العائلى قد بدأت تضمحل سيما فى أمريكا، طلقات الرصاص فى الليل البهيم وأحيانًا والناس ضحى تروع الآمنين وتصيبهم بالخوف والفزع والشلل، فالديمقراطية التى تبهر أعين الناس ينتابها من الداخل تسوس فى العظام، بعدما فشلت فى إيجاد مجتمع آمن لشعبها، فالجريمة اليوم تحتل مكان الصدارة مع أنها أغنى وأعتى الدول.

والغربيون اليوم شرائح كثيرة رجالاً ونساءً يعانون من فقدان التوازن النفسى، فكان القلق والملل والاكتئاب والشعور بالغربة النفسية، بالإضافة إلى ما يشيع فى نوادى الشواذ فى أمريكا وحدها.

تقريبًا ربع نساء أمريكا يتعرضون للعنف بل يتعرض له الرجال أيضًا[1].

وانعدام الثقة فى قيم المجتمع الغربى وانعدام الترابط ظاهرة يتفاقم خطرها ومجالها سيما بعد أن تولى الدين عندهم إلى الظل، حتى إن أمريكا صارت تسمى ذات القناعين[2].

نعم هم مغرمون بحضارة زاهرة تحير الألباب، ورخاء ورغد فى العيش تهفو إليه النفوس، ولكن الانصراف عن الدين قد أصبح من لوازمها، فعلى الرغم من وجود شرائح عريضة محافظة، إلا أن القيم الدينية لم تعد هى الملهم لتصرفات الجماهير، وقد نلتمس الأعذار بسبب التاريخ الغابر للصراع المرير بين العلم والكنيسة فى أوروبا، فضاقوا ذرعًا بدينهم ويئسوا منه.

إنها فلسفات الوجودية والعدمية من الأيديولوجيات الهدامة التى أدت إلى أفول الجانب الروحى، ومن ثم فلا عجب أن يبسطوا أيديهم بالسوء إلى الشعوب المستضعفة، لنهب خيراتها ونكب اقتصادها وتفتيت قواها.

(١) الأهرام فى ٢٠٠٠/٧/١٧م.

(٢) د. حسان حتحوت، العربى رجب ١٣٩٦هـ، يوليو سنة ١٩٧٦م.

وفيما يلى تفصيل ما أجملناه، نستعرض قبسًا من الشذوذات التى أفرزتها المدنية الغربية:

وقبل استعراضنا لتلك المعايب السلوكية نقول: إن أهل الغرب ليسوا ملة واحدة، فمنهم أمة مقتصدة وكثير منهم أصحاب سلوك سوى محمود نتشدق به وكثير منهم أيضًا ساء ما يعملون، وهناك عقلاء فى الغرب منصفون ينتقدون أنفسهم على ما سنرى فى الفصل الأخير، كما أن أهل المعايب السلوكية لهم عذرهم، فالمتهم الحقيقى هو غياب العطش الروحى، أو الفراغ العقائدى وفى ذلك كتب تملأ مكتبات. وواأسفاه فإن التقليد عندنا غالبًا ما يكون لهذه السلبيات، وهو ما دفعنا إلى أن نتطرق إليها قبل أن تتسرب إلينا إن لم تكن قد داهمتنا.

**١ ـ التمرد على الفطرة:**

فطرة الله التى فطر الناس عليها تميز بين الطيب والخبيث، فإذا انضاف إليها ما أوتى النبيون من ربهم أنتجت سلوكًا سويًا وعواطف متزنة لا تعرف الجموح ولا الجنوح، فماذا قدمت حضارة الغرب لهم فى هذا المجال؟.

الأزياء عندهم تبدلت إلى عرى وإثارة، والرسم تحول إلى عبث لا معقول وفرض أشكال وألوان، والغناء صار استعراضًا ورقصًا وهزًا (وشقلبة) وصراخًا وعويلاً، وموسيقى نحاسية تصك الآذان، كما تحولت السينما إلى جنس وعنف وقصص للجريمة بل وتعليمها، حتى العلم تحول من مجراه الطبيعى الرائق إلى إنتاج أدوات وقاذفات للقنابل للاتجار أو للسيطرة على الشعوب وقهرها، وباختصار شديد تبدلت السلوكيات وعلا فيها الرخيص ورخص الغالى.

**٢ ـ المادة تغلب المودة، والملذات أسمى أمانيهم:**

حبسوا أنفسهم فى سجن المادة وشردوا عن الصانع وجهلوا أن الكون لم يخلق عبثًا.

الدنيا عندهم أكبر همهم ومبلغ علمهم، وقوام الفكر لدى الغربيين هو المادة، فهى الحاسب الآلى فى تقييم الأفراد والشعوب، علمهم بالآخرة محدود، فما الذى جاء بهم إلى هذه الدروب المظلمة؟

لقد تسربت المادية إلى الحياة الزوجية والتى قوامها المودة والرحمة، فأتت

بنيانهم من القواعد وغشيهم ما يسمى بالنظام المالى بين الزوجين على غرار الشركات، فأصبح الزوجان وكأنهما شريكان فى شركة تجارية أكثر من كونهما قطبين فى عش الزوجية.

وفى تصوير صادق أمين لما أصبح عليه الأوروبى المادى يقول الأستاذ/ عبدالرحمن الكواكبى فى مؤلفه طبائع الاستبداد: الرجل الغربى مادى الحياة، قوى النفس، شديد المعاملة، حريص على الاستئثار، حريص على الانتقام، لم يبقَ عنده شيء من المبادئ العالية والعواطف الشريفة التى نقلتها له مسيحية الشرق، فالجرمانى مثلاً جاف الطبع يرى أن العضو الضعيف فى الحياة من البشر يستحق البتر، ويرى كل الفضيلة فى القوة، وكل القوة فى المال، فهو يحب العلم ولكن لأجل المال، ويحب المجد ولكن لأجل المال، واللاتيني منه مطبوع على العجب والطيش ويرى العقل فى الانطلاق، والحياة فى خلع الحياء والشرف فى الزينة واللباس، والعز فى التغلب على الناس.

هل هناك من يحض على طعام المسكين أو إكرام اليتيم؟

**التفكير الميكيافيللى:**

وخلاصته أن الغاية تبرر الوسيلة أيًا كانت، أما فى الإسلام فلا يقبل وصول إلى الحق بطريق الباطل، والحضارة الغربية بذلك تخالف الديانة المسيحية أو إن شئت فقل هى حضارة المسيخ الدجال لا المسيح عيسى بن مريم رسول الله.

وختامًا فقد صار قانون المودة فى القربى مهجورًا وأتت المادة على المودة. فالأنانية والبخل والتفكك كل أولئك قد صار عرضًا أو مرضًا يشيع بينهم، يورث أحسن الصفات التى تباعد بين الإنسان وعشيرته ويقطع أرحامه، وذلك من مظاهر الفساد فى الأرض.

**٣ـ الفراغ العقائدى وصاحبه العطش الروحى:** .

إن الإيمان هو العاصم من النجاسة الفكرية، والذين ينتسبون إلى المسيح فى الغرب لا يعلمون من تعاليمه إلا ما شوه منها، الدنيا عندهم محور الحياة، وعديمة الإله، مادام التقدم العلمى يقدم لهم «جنة المستهلك»، وانحرفت الفردية إلى نرجسية، والأخوة إلى الاجتماع على الحفلات الموسيقية الصاخبة، واستقلال الشخصية إلى فوضى أخلاقية والتسامح إلى استواء الخير والشر، والعشق إلى رياضة جنسية، وبالجملة تأليه العقل[1].

(١) انظر: عبد الله الشبانة (مرجع سابق).

ولله حكمة، وهو بالغها، فكما حملت الثورة الصناعية بشائرها الأولى فى بذور الثقة المطلقة فى العقل. فإنها جلبت بذور قلق لا حدود له جارت على العقل والنفس معًا، فأصبحت حياة أهل الغرب قاطبة محوطة بالعطش الروحى، عاجزة عن تقديم جرعات من الإيمان بالله إلى أهلها لتضمن له التوازن النفسى، فتملأ عليه حياته وتخفف من آلامه وتجلب له السعادة، وتلك وظيفة الدين.

لقد غاب الوازع الدينى عند أكثرهم ونزلت القيم من عليائها وذاب التكافل الأسرى، وتغلبت الأثرة، فبمَ إذن تبشرون؟.

يشعر الإنسان الغربى اليوم بالجفاف ويعيش على المهدئات رغم التقدم العلمى الهائل، إن الطبيعة خلق الإنسان من طين فهو ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ [السجدة: ٧ ـ ٩]، ولذلك فهناك من يصف الحضارة المعاصرة بأنها عرجاء، لأنها أدخلت فى الروع أن الجسد وما يتعلق به من رغبات وشهوات جديرة بالاعتبار، أما الجانب الروحى أو الدينى فهو نوع من الخيالات والغيبيات التى لا تليق حتى بالمناقشات لبعدها عن الحقائق العلمية[١].

دور العبادة قباب زاهية و«ثريات» مشعة وزخارف لا حصر لها، ذلك منهم ولا عجب، فهم ينظرون إليها على أنها متاحف لا أكثر، لقد ولوها أظهرهم كأماكن عبادة وأشاحوا وجوههم عنها كدور صلاة، لكنهم أقبلوا عليها كمبان جميلة فيها الكثير من تحف المعمار، وجمال الذوق الهندسى، وروعة التصميم، لقد أجاد فيها كل صانع صنعته من بناء وكهربائى ومزخرف، فيأتون ليشهدوا جمال الصنعة لا أكثر ولا أقل[٢].

**٤ ـ ديانات مزيفة ترتع :**

نعم تظهر رؤى جديدة عندهم تتخبط فى الظلام، أفكار كذابة جذابة كتلك التى تمجد القتل الرحيم للمريض عقليًا أو نفسيًا، كما تشيع اللواط وإتيان المنكر فى ناديهم لأنه يضمن عدم الإنجاب، وتروج لموانع الحمل خلاصًا من عواقب الفاحشة وأفحش الموبقات[٣].

(١) المسلمون د. محمد المهدى العدد ٣٨٦. (٢) عبد الله الشبانة، المرجع السابق.
(٣) القتل الرحيم: المسلمون العدد ٦٥١ ـ ٢٥ يوليو ١٩٩٧م.

كما تجد تعقيم المراهقين وصغار السن لمنحهم الحرية الجنسية، وبالجملة سلوكيات من الطين مطلية بالذهب وهلم جرًا.

وفى روسيا فى أعقاب اندحار الشيوعية ظهرت أديان جديدة تتحدى القيم المألوفة، فكان اغتصاب الأطفال، وتدفق المبشرون من كل فج عميق مستغلين موجة الانفتاح أمام كل من هب ودب. حتى صار يتعذر على دوائر الشرطة الوصول إلى المغارات السرية لهذه الجماعات، لأن ضحاياهم لا يأتون إلى الشرطة من فورهم فور الوقوع فى مخالبهم.

ولقد أدت قفزات العلوم التطبيقية إلى تعظيم بالغ للعقل وإكباره. وإعراض عن كل ما عداه مما جرد الدين من سلطانه التقليدى، مع أنه مصدر السعادة لمن أراد حياة طيبة هانئة.

هل نرضخ لعقل الشاب أم عقل الشيخ؟ هل ننزل على عقل الرجل أم على عقل المرأة؟ هل نحبذ عقل المثقف أم أنصاف المتعلمين؟ عقل المدنى أم الرجل العسكرى؟ عقل السياسى المناور أم عقل المثقف المهذب؟ عقل يتحرى المصلحة الشخصية أم يبتغى المصلحة العامة؟ ومهما كان العقل رشيدًا فإنه لن يملأ الفراغ العقائدى الذى خيم عليهم وسول لهم الكثير من تبريرات حتى للانتحار، فاجتمعت هناك المعجزات مع الموبقات فى سوق الإنجازات، ومن ثم كانت تلك السلوكيات التى لا مرحبًا بها.

**٥ ـ أحيانًا مجافاة الإنسانية، والثقافة القيمية:**

إن فى أمريكا نعيمًا وملكًا كبيرًا، والمدنية تحير الألباب ولكن لم أرَ الإنسان بقيمه وشيمه، التى تفرقه عن العوالم الأخرى.

الديمقراطية نظام محمود للحكم علا شأنهم فيها، ولكن كان فى معيتها ومعينها استئجار الأرحام وطلبات للشراء وبيع البويضات من نساء ذوات مواصفات معينة وأسعار مغرية، هذا عالم أسكتلندى يعلن عن استنساخ نعجة من نعجة أخرى وإمكانية تطبيق ذلك على البشر، وهاكم امرأة ولدت حفيدها من بويضة من ابنتها العقيم، فعرضت الصحف للمولود بعد سنوات ثلاث من إنجاب الجدة لحفيدها[1].

مشاعر الأمومة صارت تتضارب والأطفال لا يعرفون لمن يكون الانتماء، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النحل : ٧٨].

(١) جريدة الأهرام فى ٢٦/١٠/١٩٩٠م.

أى استخدام شيطانى للتقدم العلمى؟، فليس بالعلم وحده يحيا الإنسان، تلك الأبحاث العلمية الهائلة العاملة فى مجال الوراثة والتى تواصل سيرها الحثيث فى إتلاف الجنس البشرى، عن طريق وضع نطفة من منى قرد فى رحم امرأة معوزة ليروا عاقبة أمرهم، إنه العلم الذى يستعدى أبناء الإنسانية على بعضهم، وقد استعاذ رسول الله ﷺ من علم لا ينفع.

**٦ـ حضارة تتاجر بالسلاح من أجل حصاد الأرواح:**

فلقد حققت حضارة الغرب فى سنيها الأخيرة طفرة هائلة فى المعجزات، ولكن هل يصحبه تقدم نظير فى مجالات القيم؟ إن الاختراعات الحديثة قدمت رصيدًا هائلاً لخدمة الإنسان على كوكب الأرض ولكن بصحبة ذخيرة فتاكة تفنى شعوبًا بأسرها، الحروب الجرثومية والميكروبية والنفايات الذرية التى تدمر كل شىء فى طريقها، ثقافة الإبادة الجماعية ما سبقكم بها أحد من العالمين.

وهنا يطل علينا الكاتب الغربى المشهور (جود) قائلاً: «لقد وهبنا من العلم قوى لم يكن يحلم بها أجدادنا السابقون الأولون، ولكنا نستخدمها بعقول الأطفال أو المتوحشين، ولا يسد الثغرة إلا القيم الأخلاقية وأولاها العقيدة الدينية، وحينئذ تلتئم الثغرة بين العلم والأخلاق».

**٧ـ الغرب والتفكك الأسرى:**

الأسرة السوية رباط يقوم على زوج وزوجة وأولاد. أما أن تتحول إلى ارتباط هش لأشخاص يعيشون تحت قبة واحدة فذلك هو الخسران المبين، لإصابة الحياة الزوجية بمرض التفسخ، حتى إن المسلمين هناك قد صاروا يتجرعون من هذا المرض بدورهم لتسرب نمط الحياة الغربية إلى حقولهم.

هناك إذا بلغ الأطفال منهم الحلم والفتاة سن البلوغ، فلا جناح عليهما أن يتفرقا عن الأسرة، حيث الفلسفات الحديثة والثقافة العصرية تملى عليها، فلتذهب السلطة الأبوية أدراج الرياح وتتحلل الروابط العائلية المبنية على علاقة هشة، وهكذا نقضت الأسرة غزلها من بعد قوة أنكاثًا، وقد لا يلتئم شمل الأسرة إلا لمامًا فى المناسبات، والأعياد .

تقدم علم الاجتماع فى الغرب تقدمًا هائلاً كما يقول علماؤنا، فهل تقدمت أسرة الغرب؟ وهل الحياة الزوجية هناك فى مجدها وهنائها، أم هناك تصدع فى

بنيانها بسبب التفكك الأسرى؟ وانهماك المرأة المسكينة فى الحياة العملية، وما قد ينشأ عنها من علاقات جانبية عاطفية خارج أسوار الحياة الزوجية.

وأولو القربى بعضهم أولى ببعض، فهل تفلح نظريات علم الاجتماع الغربى الحديث فى إيصال تيار المودة إليهم، أم هيهات هيهات لما يوعدون؟!

إن الترابط الأسرى هو من أسس التوازن النفسى، فدعاء الأم لأبنائها أغنى وأقنى من كنوز قارون، وأقرب نفعًا للأسرة من كل نفع مادى، فأين الهناء العائلى فى المجتمع الأمريكى أو الأوروبى.

فالمجتمعات الأوروبية قد غدت لا تعبأ كيف يعامل الولد أباه أو الزوجة زوجها مادام ذلك لا يؤدى إلى اضطراب فى المجتمع، أو ثورة على النظام ولا يعرقل سير المدنية، فلا ضير إذن أن تنقلب النواميس الاجتماعية الأصيلة على أعقابها، أو أن يكون هناك قطيعة من ولد أو جفاء من زوج أو تجاهل لقرابة، وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل إن بعض الأوروبيين قد أصبح يجد إيناسه فى العيش مع الكلاب، بينما لا تجذبهم متعة المودة فى القربى.

وقد أدى الحرمان من دفء الأسرة ـ وفقًا لإحصاءات إدارة الصحة الفيدرالية الأمريكية ـ إلى أن هناك ما يفوق المليون مليون فتى وفتاة ١٥ ـ ١٩ سنة، يعيشون منغمسين فى مجتمعات الرذيلة والجريمة، ضحايا أسر وبيوت دمرها التفكك الأسرى وحوادث الطلاق والقمار والمجلات الخليعة التى تقص الجريمة وتعرض أشكال العنف وانحلال الأسرة وتضعضع الحياء.

فلم تعد هناك أسرة بالمعنى المفهوم بقدر ما بقى نوع من الارتباط المعرض للانفصال فى أية لحظة بين رجل وامرأة[1].

إن نسبة العزوف عن الزواج وصلت إلى ٨٥٪ فى أمريكا، وصار ثلث أطفالها يولدون بدون زواج، ووصل معدل الأمهات اللائى يراعين أولادهن وحدهن إلى عشرة ملايين امرأة سنة ٢٠٠٣ بعد أن كن ٣ ملايين سنة ١٩٧٠.

ولم تقدم الحضارة المتألقة حدًا للتناقضات الموجودة بين شرائح كثيرة من أبنائها، بل زادت مساحة الصراع وتفاقم الاكتئاب وزادت نسبة الانتحار،

(١) عبد الله الشبانة، المرجع السابق، ص١٦٤.

وبالرغم من الرفاهية والترف المقيم لايزال الغربى يحلم بالتوازن النفسى، والذى أصبح كسراب بقيعة فيما يبدو.

**٨ - والانفصال الجسمانى أدهى وأمر:**

فكم تعانى المرأة فى الغرب من أوضاع مؤلمة لعدم إباحة الطلاق حيث يفارق الزوجان بعضهما إلى أجل مسمى أو غير مسمى يصل إلى عدة سنين، وهو أمر يجافى الفطرة ويفسد المرأة ويجرها إلى أوضاع متردية فى ديار التقدم، وهو ما حدا بالنساء فى أيرلندا فى الثمانينيات إلى ربط أنفسهن فى سلاسل من حديد فى بوابات البرلمان أملاً فى صدور تشريع جديد يخلصهن من زواج فاشل، أو زوج بغيض؛ وذلك بإباحة أبغض الحلال، حتى لا تظل فى عصمة أشباه الرجال تمسكه على هون، ومهما كانت كهانة الآباء والقساوسة فإنها لا تطفئ لوعتها، وصدق الله العظيم: ﴿فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء : ١٢٩]، كم تتمتع المسلمة بأمان الشريعة الغراء فتحيا آمنة ومطمئنة يأتيها رزقها رغدًا، فهناك حكم من أهله وحكم من أهلها إن يريدا إصلاحًا يوفق الله بينهما، وإذا لم تفلح المساعى الحميدة، فإن يتفرقا يغنِ الله كلاً من سعته.

ولقد أدى بهم كل أولئك إلى العزوف عن الزواج بنسبة كبيرة تتفاوت من مجتمع غربى إلى آخر.

## (ب) قبس من أخلاقيات المدنية المعاصرة:

**١ - نشر الجوع:**

قبائل فى إفريقيا وأوروبا يأتيها الموت من كل مكان بسبب مخاطر الجوع المحدقة بهم هم وأنعامهم. فمجموع ما تنفق أوروبا سنويًا على الحيوانات الأليفة يفوق ميزانية دول كثيرة فى العالم الثالث. إعدام ملايين الأطنان من الحبوب والفواكه والخضراوات للحفاظ على أسعارها من التدنى، ناهيك عن إدمان المشروبات الكحولية والتدخين، وما يلقونه من أطعمة ومخلفات تكلف أموالاً لحرقها والتخلص منها، ملكوا زمامها بغير ضابط أخلاقى ولا إطار شرعى، قدمها لهم الاحتلال والاستحلال. إن الله سبحانه وتعالى خلق الأرض وقدر فيها أقواتها: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت : ١٠].

## ٢ ـ حضارة تكره التدين، (المطاردة الجماعية لأوضاع المسلمين):

إذا كان عندنا فى العصر الأخير فى بلاد المسلمين تدين يكره الحضارة وهم من يسمون (المتطرفين)، فإن الغرب ـ أهل الحضارة ـ صار يكره التدين، فالإنسان فى المجتمع الغربى فقد علاقته بالدين، وإذا كان هناك دين فهو متباعد عن شئون الحياة، فقد ظهرت العلمانية بأدرانها.

والحضارة الغربية الحديثة رؤية مادية بحتة وليست مسيحية وهى نقطة قوتها وضعفها، المسيحية لا تشكل عندهم سوى بعض الرموز والديباجات فقط.

ناهيك عن الحروب التى تدور على اتساع إفريقيا بما رحبت أو تدار لمصلحة الغرب وحده، فإن دم المسلم اليوم قد أضحى أرخص من دم الدجاجة، فالدولة الإسلامية اليوم كلها فى مرمى نيران الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً، وهو ما لم يعرف التاريخ له مثيلاً، ليتحولوا إلى قناصين للشعوب الإسلامية بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م سفهًا بغير علم، انصياعًا لتخطيط يهودى ودأبهم فى إبقاء نار الحرب والمواجهات الساخنة، والمطاردة السافرة لكل من ينتسب إلى التيار الثقافى الإسلامى الرامى إلى إحياء الأمة وبعث نهضتها ومجدها. علمًا بأن كلمة التيار الإسلامى لا تقال فى بلاد الإسلام، لأنها أصلاً هى دولة الإسلام.

وهذا كاتب أمريكى من أكابر مجرميها يطالب بهدم الكعبة المشرفة[1]، وذلك غداة تدمير مركز التجارة العالمى فى نيويورك وضرب البنتاجون فى سبتمبر ٢٠٠١م، مع أنهم لم يعثروا على دليل واحد يوجه إلى مسلم أو مسلمة، والأقليات المسلمة كم تكتوى بالنار فى بلاد الفرنجة مع أن رايات الحرية لاتزال خفاقة هناك، وفى عاصمة النور كما يقولون هناك فى باريس حيث مبادئ الحرية والإخاء والمساواة خفاقة، قامت الدنيا هناك ولم تقعد بسبب فتاتين مسلمتين ارتدتا غطاء للرأس مع رداء لا يكشف عن الساقين سيما فى أوقات الصقيع، فهبت الصحافة المبجلة الموصوفة بالديمقراطية وطائفة من الحكام أصروا واستكبروا استكبارًا، لولا القضاء الفرنسى المبجل الذى أيدهما بنصره. لا بل إن هذا يحدث داخل الديار الإسلامية، فقد فصلت مدرسة فرنسية تعمل فى الإسكندرية تلميذة مسلمة؛ لأنها جاءت مرتدية الحجاب ـ مدرسة (شامبليون) بينما سمحت

(١) جريدة الأسبوع المصرية ١/١٠/٢٠٠١م.

للتلميذات بارتداء البنطلونات القصيرة وصبغ شعورهن، وأباحت للرجال من المدربين وضع أقراط في آذانهم باسم الحرية الشخصية، وبعد كل هذا نكسوا على رءوسهم وأصدروا قانونًا فى فرنسا بلد الحرية والإخاء والمساواة يحرم ارتداء الفتيات لغطاء الرأس فى المدارس، فأين الحرية والإخاء والمساواة فى دولة يؤمها طلاب الدراسات العليا فى الحقوق؟!

وأخيرًا فإن المخطط الأمريكى الغربى يسعى إلى توظيف الجماعات الدينية ضد الحكومات الوطنية، ثم ضرب الاثنين معًا فى مرحلة لاحقة، مع التربص لتفتيت العالم الإسلامى، وكما يقولون: من يدرى، هل يكون رئيس الولايات المتحدة خليفة يومًا على المسلمين فى الأرض، وهناك محاولات جادة للتمييز العنصرى وكراهية للجاليات الإسلامية فى عديد من الدول الأوروبية إعمالاً لمذهب «الإسلاموفوبيا»، وهو معاداة الإسلام والمسلمين، ناهيك عن الفضيحة الأنجلو أمريكية والتى تحولت إلى حلف استعمارى لسرقة ثروات الشعوب العربية. وهو استعمار يضع الماكياج على وجهه ويبتكر موضات جديدة للقتل والسرقة الحضارية، وما حدث فى العراق فى عام ٢٠٠٣، بعد طرد الطاغية صدام شيطان العرب[1] ليس منا ببعيد.

وأخيرًا هذه شركة صهيونية بإيطاليا تنتج ورق التواليت وتصدره للعالم يحمل اسم الجلالة، واسم رسول الله ﷺ، محاولة قذرة ممجوجة تستهدف تدنيس الأسماء المقدسة فى دورة المياه ـ وقد كشف أبناء الجالية الإسلامية تلك اللعبة الحقيرة.

اسألوا التاريخ وقلبوا جنباته: هل حدثت فيه ضربات موجعة أو قاضية مثلما حدث لمسلمى البوسنة فى يوغوسلافيا وكوسوفا فى التسعينيات، من تضافر قوى الغرب مع الصرب ضد قلة مستضعفة، فكالوهم من ألوان العذاب حتى أعطوا الكلاب حق هتك عرض البنات، وشردوهم وهم ألوف فى ديارهم بدعوى التطهير العرقى وما تلا ذلك من اغتصاب للفتيات فى معسكرات الاعتقال، بهدف اقتلاع جذور الإسلام من آخر معاقله فى ديار الحضارة الغربية[2].

نعم هم يد على من سواهم، ومن سواهم غير جماعة المسلمين، سيما بعد فناء الماركسية وتشييع الاشتراكية إلى مثواها الأخير، فقد أصبح الإسلام لهم عدوًا وحزنًا.

(١) د. مصطفى محمود، الأهرام، ٢٦/٤/٢٠٠٣م.
(٢) د. أحمد كمال أبو المجد (حتى لا يتحول الإسلام إلى مشكلة أمنية)، العربى إبريل ١٩٩٢م.

**٣ ـ والنظافة الداخلية ما قدروها حق قدرها:**

فالفتى الغربى لامع الشعر والنعل، مظهره متألق ومتأنق ولكن هل يعرف الاستنجاء أو الطهارة من الخبث أو الاغتسال من الجنابة.

هم جميعًا أمة واحدة، لا يعرفون الطهارة من الحدث الأكبر أو الأصغر، مع ما فى الطهارة من فوائد جمة طبية، والإفلات من الميكروبات والفيروسات، فهم يكتفون بأوراق التواليت فى دورات المياه.

ومهما تطهر المحدث المتغوط بأوراق التواليت، فإنه لن ينجو من بقايا وأدران، تظل عالقة فى مواضع النجاسة، ولا يزيلها إلا الماء الطهور وتلك سنة غائبة، لذلك يحسد المسلمون على نعمة الوضوء وإن كانوا عنها غافلين، وكم كانت معاناتنا فى دورات المياه حين كنا فى دراسة فى أوروبا بسبب غياب المياه من دورات المياه.

**٤ ـ الإيناس مع الكلاب:**

فتلك جميلة الجميلات ولكن حبيبها ورفيقها كلب من الكلاب، وكذلك الرجال مؤنسه وصاحبه لا امرأة يسكن إليها، ولكن كلب من الكلاب، وهكذا دخل الرجل الغربى جنته وهو ظالم لنفسه.

غداة التفكك الأسرى والانفصال الجسمانى الذى يقطع أوصال المجتمع الغربى صارت الحفاوة بالغة بالقطط والكلاب، ونالت حقوقًا أكثر من حقوق الإنسان. ناهيك عن أضرار تلك الحيوانات وهى بالقناطير المقنطرة، وأقلها انتقال عدوى الفيروسات التى تحملها والتى تفتك بالإنسان أو تضره ضررًا متفاقمًا... ولكن تلك هى أوضاع الحضارة الغربية والتى نحن على آثارها مقتدون.

**٥ ـ المروءة فى المغارب:**

وأنت راكب فى إحدى المواصلات العامة ترى جهرة لصًا فاجرًا يهاجم امرأة ويفتح حقيبتها ويسلب نقودها على أعين الناس، فهل يتطوع لنجدتها أحد من الركاب؟ لا يحدث ذلك إلا نادرًا، فالشهامة تمر بمرحلة الغروب، وكم يتحسر الإنسان حينئذ على ما يرى؟

وأحيانًا صديق وصديقه يتناولان العشاء معًا أو يجلسان فى أحد المقاهى وعند الانصراف يدفع كل منهما ثمن طعامه وشرابه، وقد تسرب هذا العرف عندنا سيما من أقام فى الولايات المتحدة الأمريكية، إن للضيف كرامة، ولكن لهم عذرهم فلم يمر عليهم حاتم الطائى يومًا.

### ٦ ـ وما قدروا المرأة حق قدرها:

### النظرة الدونية للمرأة

فالمرأة عند فلاسفة الحضارة الغربية هى أصل الخطيئة، فهى التى أخرجت آدم من الجنة، وهى اليوم تمارس أعمالاً تحط من قدرها وتمتهن أنوثتها، فهى عاملة فى البارات والحانات والظلمات، أو سائقة للشاحنات، وبعد زواجها ينادى عليها باسم زوجها وتصبح عائلتها نسيًا منسيًا، وإن شاءت لها الأقدار أن ترمل أو تطلق يصبح لها اسم جديد من زوجها الجديد، وهكذا يصبح اسمها فى الحضارة الغربية دولة بين عائلات الأزواج.

ومن مظاهر الجور أنها تحرم من ميراث زوجها حين تفتح الوصية فيذهب الميراث إلى غانية زانية كانت على علاقة غير شريفة بالفقيد، وهو ما حدا بفريق من عقلاء الغرب أن يطالب بتطبيق شريعة العزيز الحكيم.

ومن الأوضاع المؤلمة وبترخيص من الدولة تجارة تجرى على نطاق واسع فى أوروبا هى تجارة النساء، وغالبية أصحاب الملاهى هم أنفسهم المديرون لهذه التجارة، حيث يجذبون الفتيات من بلادهم الإفريقية والآسيوية الفقيرة بعقود عمل لسنتين غالبًا، بينما لا يستطعن فى الواقع الحصول على إذن عمل إلا لمدة أشهر بسيطة، ولكن الجزء الأكبر من أرباحهم يأتى عن طريق بيعهن إلى دول أخرى بصفة (فرق فنية) وبينما تنتظر النساء نقلهن، يبقين محبوسات ومجبرات على ممارسة الدعارة، ويعشن بشكل مهين وبرواتب زهيدة من مؤسسات الجنس التى تتفنن فى عرضهن فى الفترينات، وحبسهن فى أقفاص ومن تأبى تلفق لها جريمة سرقة أو تزوير أو تهرب خالية الوفاض.

ولقد وجدت جثث بعضهن هناك تحت الجسور المظلمة، وقد حاولت المؤسسات الرسمية محاربة هذه التجارة الوقحة ولكن يبدو أنها عاجزة أمام المافيا الرهيبة التى توسعت لتشمل التجارة المعاكسة عبر ترحيل الأوروبيات إلى الدول الآسيوية من خلال ما يسمى بالسياحة الجنسية، وقد وصلت الوقاحة إلى الإغراء بعمل سحويات ترويجية يفوز فيها الرجل بامرأة إضافية(١).

(١) عبد الهادى صالح، الأنباء الكويتية فى ٣١/٣/٢٠٠٠م، مستقاة من كتاب تجارة النساء فى أوروبا، كريس ذى سنتوب، مترجم.

**٧ ـ اقتلاع الحواجز بين الحلال والحرام:**

نعم تعرف فى وجوههم نضرة النعيم، وبلادهم كلها خيرات حسان، ولديهم باقة من السلوكيات المبهرة نحن مطالبون باقتدائها واقتفاء أثرها، ولكن الواقع يشهد كثيرًا من مظاهر التفسخ الأخلاقى، وليس بضارهم شيئًا أن تكون بعض المنكرات على قارعة الطريق، وتدهور أخلاق النساء بل الصبيان، فالعازل الواقى من الحمل يوزع على أولاد المدارس منذ الحادية عشرة، لاستخدامه فى اللقاء الجنسى المرتقب، ورجال الدين لا يملكون إلا الامتعاض أمام هذا الإجراء والاجتراء والافتراء على الناموس الأخلاقى، وبالجملة فقد زلزلت الحواجز بين الحلال والحرام، وصارت للمنكرات نوادٍ ورواد، وبالجملة نقضوا غزلهم وأصبحت المعجزات تجتمع مع الموبقات، وظهر الخلل باديًا جليًا بين التقدم والسلوك، وذلك من النذر الأولى لخراب الحضارة الغربية ومن ذلك:

**ـ البغاء مهنة حرة:**

الساحة الأوروبية بطولها وعرضها يموج فيها دعاة يروجون لتجارة الجنس، بل وصل الأمر إلى حد الأطفال واغتصابهم ثم الفتك بهم، وقتلهم كما يحدث فى بلجيكا مثلاً، وتصاعدت نسبة الانتحار الفردى والجماعى كمنهج فى ملتهم.

وأخيرًا شهادة علمية هى الأولى من نوعها تمنح للإثارة الجنسية وآفاق عالم العرى، بدون ملابس أو ملابس مثيرة ترسم البسمة على الوجوه. ابتداء من الرقص المثير الخليع حتى فنون التسوق الجنسى، تتوج شهادة البكالوريوس فى فنون الإثارة الجنسية، وقد يصل الأمر إلى حد إجراء عمليات تكبير أو تصغير أحجام حساسة فى أجسامهن[١].

فتيات على قارعة الطريق أو فى بيوت تلوح لك بالخنا وارتكاب الزنا، فتيات كبغايا اليهود لا ترد يد لامس لها.

والمجتمع الأمريكى لم يعد يعبس فى وجوه العاهرات. والأطفال المشوهون يجوبون الشوارع ذهابًا وجيئة وغالبيتهم قد أصابهم شيء[٢] من سفاح الحرية الجنسية .

(١) جريدة النبأ المصرية فى ٢٠٠٣/٣/٢٣م.
(٢) مصطفى محمود، الأهرام ١٩٩٣/٩/١١م.

نعم الفاحشة يأتينها بترخيص من الدولة حتى أصبح البغاء مهنة حرة تمول الخزانة العامة، بيوت مفروشة ومحال مخصوصة، ونساء من كل جنس حسناوات وجميلات على قارعة الطريق، أو هن عارضات لحسنهن أمام بيوتهن فى العواصم الغربية المتمدينة، ليصبح البغاء هناك تجارة لن تبور، وينخرط أصحابها فى عداد الممولين.

ففى الولايات المتحدة وحدها يعيش على أرضها ٩ ملايين من أبناء الزناة، ويجأر الاقتصاد البريطانى أو يئن - ودول الغرب قاطبة - من الإعانات المالية الباهظة التى يمول بها العاهرات، بسبب كفالة الدول لأبناء الزانيات مادام لم يعرف الفاعل، سيما أن ولد السفاح يولد بعد معاشرة العاهرة لعدد كبير من الفساق والأصدقاء الذين مردوا على الزنا، ومن الطريف فى هذا الصدد ما نشرته مجلة القبس الكويتية من أن مومسًا دنمركية أرادت أن تقلل من كلفة عملية جراحية أجرتها لتزيد من حجم صدرها لمزيد من الإغراء والإغواء فأضافتها على حساب تكاليف المهنة لتخصم من الضرائب التى تفرض عليها (ضريبة المهن الحرة)، ولكن مصلحة الضرائب رفضت هذا الخصم، فتظلمت أمام لجنة الطعن فحكم لصالحها تأسيسًا على أن الرغبة فى الحصول على صدر أكبر وأكثر إغواءً يمكن أن يعتبر نشاطًا مهنيًّا، وأن الاستثمارات المخصصة لتحسين آليات العمل لابد أن تعفى من الخصم[1].

نعم البغاء فى كل عصر ومصر، وطلاب المتعة لهم دروب مخصوصة، ولكن إسرارًا لا جهارًا وفى جنح الليل وليس فى وضح النهار.

كم يحملون أوزارًا على أوزارهم، فهناك الآن فى بريطانيا مثلاً عشرة فى المائة من الآباء لم ينجبوا أبناءهم[2].

أين تعاليم عيسى بن مريم رسول الله سيما بعد تقلص السلطة الأبوية، وتفشى اتخاذ الأخدان وذيوع الانفصال الجسمانى، وكثرة تهديد السالكين فى ضرب الفضيلة، وتحريضهم على الرذيلة إن أردن تحصنًا، وأذكر أننى حين كنت مبعوثًا فى أوروبا كان يحز فى نفسى كثيرًا أن أرى سيدات يقعدن بكل مرصد وقد تجاوزن خريف العمر تواجه الصقيع لاستقبال طلاب المتعة الرخيصة، يقولون هلم إلينا، فنحن ضحايا الحضارة الغربية فى شقها المأزوم.

(١) مجلة القبس ١٦/١/٢٠٠١م.
(٢) مجلة الخليج فى ١٢/٨/٢٠٠٥م.

إن المرأة فى مجتمعات المسلمين لها ألف عاصم وعاصم، يصون عفافها حتى وإن لم يكن لها ولى مرشد، فالمسلمون هم حراس القيم بعضهم أولياء بعض، ولقد كان من حسنات التشريع فى مصر أن ألغى مواخير الدعارة فى وقت مبكر، والتى كانت قد صدرت إليها فى أيام نحسات فى عهد احتلال الإنجليز.

**ـ الزواج التجريبى وحمل المراهقات:**

أعلن البابا يوحنا الثانى فى بداية جولته الإفريقية سنة ١٩٩٥ أن الفاتيكان على استعداد لدراسة مطالب الأفارقة بتبنى الكنيسة الكاثوليكية للتقاليد المحلية والطقوس التى تبيح الممارسات الجنسية فى الزواج التجريبى[(١)].

والآن نتساءل: ماذا آل إليه حال الروسيات بعد ٧٠ عامًا من الإلحاد الماركسى، وضع الأطفال فى صناديق القمامة لا خشية العار، ولكن بسبب ما ورثته من قيم الإلحاد.

إحصائيات دقيقة، مدهشة ومذهلة فى أمريكا وحدها، أكثر من مليون فتاة دون التاسعة عشرة يحملن كل عام سفاحًا من أترابهن ولداتهن ليصبحوا على أعتاب مشكلات قميئة لا تنفك عنهن، فالحرية الجنسية مفتحة أبوابها تحت شعارات مزخرفة، حتى الكنيسة الغربية فى إنجلترا ترددت ثم أباحت الزواج التجريبى أمام الشباب، حيث يقترن الفتى بفتاته ليعاشرها معاشرة الأزواج بلا عقد زواج، حتى إذا نجحت التجربة تلتها عقدة النكاح بعد سنين عددًا، وكم تقاسى المراهقات من ذلك، بل قد تدفع عمرها ثمنًا لتلك العلاقة المشينة.

هل تعلم أن ثلث الأطفال المولودين فى إنجلترا وويلز فى عام ١٩٩٥م غير شرعيين؟ ولدوا خارج بيت الزوجية، هل يناسب هذا دولة تصدر العلوم والثقافات، ولغتها اليوم لها الصدارة على لغات العالمين؟[(٢)].

إن عدد الفتيات المراهقات الحوامل بين الأمريكيات غير المتزوجات ظاهرة تستشرى فى المجتمع، فى معظم شرائحه، بعد أن كانت حكرًا على غير المتعلمات[(٣)].

(١) مجلة الأمة فى ١٩ أغسطس سنة ١٩٨٥م.
(٢) المسلمون، العدد ٥٩٥، ٢٨ يونيو ١٩٩٦م.
(٣) مصطفى محمود، الأهرام ١٩٩٣/٩/١١م.

- **اتخاذ الأخدان:**

يجتمع رجل وامرأة تحت سقف واحد، يعاشرها معاشرة جنسية بلا زواج، بلا ميثاق غليظ يحل الفروج ويعطي الحقوق ويفرض الواجبات، وفي ظل هذه العلاقة الآثمة، قد ينتج أولاد ينسبون إلى الأم وحدها، فصاحبها ليس زوجًا لها بل مجرد خليل التقى بخليله، وهكذا تذهب حقوقها في مهب الريح. ولقد باركت محكمة النقض الفرنسية هذه العلاقة الآثمة وأضفت عليها سياجًا من الشرعية.

ووا أسفاه فإن هذا السلوك الهابط يأتيه بعض أبنائنا في الخارج تقليدًا للغرب، واستغلالاً للأوضاع الباطلة، وكم تجر عليهم من أوجاع تقض مضجعهم وقد تحطم مستقبلهم بعد ذلك، يبارك المجتمع أولاد السفاح ويحرمهم من نعمة الوالدين والوراثة، فيخرجون إلى الحياة في أخس الأوضاع الأسرية ومن ثم يضمرون العداوة للمجتمع.

- **الإجهاض المرذول في عداد الحقوق:**

الانطلاق المحموم وراء الشهوات البهيمية، فأخذ كل من الرجل والمرأة يعب منها عبًّا؛ فامتلأت المحاضن، بمئات من الأولاد غير الشرعيين، وانتشرت عمليات الإجهاض السري والعلني، ويبدأ عقلاؤهم يتساءلون إلى أين نحن ذاهبون؟

المجتمع الغربي أباح الزنا ثم فشل في التعامل مع ثمرته، أو قل قطوفه الدانية أولاد السفاح، ومن ثم كانت رذيلة الإجهاض[1].

لقد كان مما أنعم به الرئيس الأمريكي بيل كلينتون على شعبه غداة فوزه في انتخابات الرئاسة أن سن قانونًا لإباحة الإجهاض لمن تشاء، وكان ذلك بناءً على موعدة وعدها إياهم أثناء حملته الانتخابية، وكان صادق الوعد، إلا أن عقلاء الغرب قد عضوا عليه الأنامل من الغيظ، كما امتعضت دولة الفاتيكان ولكن عبثًا.

كان الإجهاض في أوروبا منذ عهد ليس ببعيد عملاً مجرمًا لأنه اعتداء على حياة آدمي؛ ولكن في السنين الأخيرة من القرن العشرين شهدت موجات متتالية تدعو للتمرد على كل ما هو موجود، ولو كان هو الميراث الأخلاقي، وتمخضت الفلسفات الهادرة عن فتح أسواق جديدة لبيع أجنة مجهضة، لاستخدامها في أمور كيماوية وطبية، فكان الإجهاض الذي سول لهم وأملى لهم!!.

(١) عبد الله الشبانة، مرجع سابق ص١٦٤ وما بعدها.

الإجهاض هو أيسر سبيل للخلاص من أسوأ سبيل، ويشجع الحرام وطلاب الفواحش، وهو معبر للتحلل والإباحية، ويأتي بالأمراض الوبائية العصرية كالإيدز، فالإجهاض اللا أخلاقى يدمر المراهقات ناهيك عن الساقطات، ومن أوخم آثاره التى بدأت تطفو على السطح وتنذر بالحظر، أن حدث الخلل فى الهرم السكانى؛ إذ فاقت حالات الإجهاض حالات المواليد.

**ـ تبادل الزوجات فى الحفلات:**

فى الحفلات والمناسبات يتم تبادل الأصدقاء للزوجات وينتحى كل صديق بزوجة صديقه ليشربا النخب سويًا أو تجالسه كيفما شاء يتبادلان القبلات، ذلك من أعراف الأجانب ليعبر كل صديق عن مشاعر الود لزوجة صديقه.

لقد كان مما ذكره ابن بطوطة الرحالة الإسلامى المشهور أن الإنسان الغربى سائر فى الطريق مع امرأته فيقابله صديق لها فيأخذ بالحديث معها، فإذا طال الوقت تركها الزوج مع صديقها ومشى. ويعلق الرحالة المشهور قائلاً متحسرًا: أين ذهبت أخلاق القوم، وإلى أى مدى ضعفت الغيرة أو ذبلت؟

وآخر صيحات التردى الخلقى فى بلد كإيطاليا هو الإعلان رسميًا عن تشكيل نقابة لتبادل الزوجات، والمسجلون فيها اليوم بالآلاف المؤلفة[1]. وفى نهاية الحفلات والمناسبات يتأبط الرجل زوجة صاحبه ليلتقطا صورة تذكارية سويًا تعبر عن حسن المودة والإخاء، وفى حفلات الزفاف يمسك والد الزوج بيد والدة الزوجة والعكس بالعكس، كما يراقص الجميع بعضهم بعضًا، فيتأبط الرجل امرأة من المحارم أو غير المحارم ولا تثريب عليهم من دين أو مذهب، وبين الفينة والفينة يتم تبادل القبلات، وإلا عد من الخوالف. نعم فى شريعة الأجانب كما فى شريعتنا لا يجمع بين الأختين، ولكنهم يختانون أنفسهم، فللزوج بدلاً من أن يراقص زوجته يراقص أختها ولساعات طوال حتى الصباح، ولا ندرى ماذا يفعل بها أو تفعل به حين تشتد الدفوف وتتلاصق الأبدان وتنتصر مكائد الشيطان.

ومن المعروف عرفًا هناك، أن يقبِّلَ الرجل زوجة صديقه وللأخير نفس الحق عليه، وكذلك يفعلون فى الزيارات العائلية، مع ما تحمله القبلات أو تخبئه من مشاعر يطول شرحها.

(١) مجلة المجتمع الكويتى، الوجه الآخر للحضارة الغربية ٢٥/١/١٩٩٦م.

- **تضعضع الحياء:**

يضاجع الزوج زوجته على أريكة فى أوضاع مخلة لا مانع أن يشهدها المقربون الطوافون عليهم، وليذهب الحياء أدراج الرياح. ولتهنأ الحضارة الغربية بدفن القيم، وليشهد الولد ما يفعل الوالد بأمه دون خجل، ناهيك عن مظاهر الحب المتبادل التى تتم على قارعة الطريق جهرة أو فى المواصلات العامة أو فى المطاعم.

- **تعدد الخليلات:**

زوجة ثانية لا مرحبًا بها، ولكن تزوج بواحدة وصاحب من شئت منهن، تلك مكرمة الحضارة الغربية أسدتها إلى أهلها، فعندهم زانية أولى من زوجة ثانية، وهكذا يختانون أنفسهم، ويرفضون تعدد الزوجات ومرحبًا بتعدد الخليلات.

ولا يخفى على فطنة القارئ أن تعدد الخليلات يدفع الزوجة إلى الانتقام من زوجها والذى فقد عفته، كما تراود المرأة نفسها أن تفقد بدورها عفافها، عملاً بمبدأ تكافؤ السيئات.

وإن تعجب فعجب قولهم إن الإسلام يجور على الزوجة الأولى إن تعددت الزوجات، وتناسوا أن الزوجة هى التى تدفع زوجها فى أحيان كثيرة إلى الزواج بأخرى كما لو كانت مريضة أو عقيمة، وكم فى نظام تعدد الزوجات من فضائل ومكارم، أقلها وقاية للمجتمع من شرور تعدد الخليلات وآثام المنكر والساقطات، ثم هو يبيح لأهل اليسار أن يتزوجوا بما طاب لهم من النساء فى الحدود المشروعة دون سلوك ضروب الفسق، كما أنه فيه وفاء للزوجة الأولى التى قد تصاب بمرض يثبط الحياة الزوجية، ويحول دون إنجاب أولاد الحرام ويحمى المرأة من التدهور الخلقى.

ومن المفارقات الغريبة لو أن مسلمًا ذهب إلى أمريكا مثلاً ومعه زوجتاه، فلن يؤذن له بالدخول، لأنه يخالف النظام العام هناك، ولكن المسلم يستطيع الاحتيال بأن يقول إن إحداهن زوجته والأخرى خليلته، حينئذ تفتح له الأبواب.

- **يأتون فى ناديهم المنكر:**

هل هناك فى عالم الحيوان ذكر ينزو على ذكر، أو أنثى تجامع أنثى؟

نعم يأتون الرجال شهوة ويقطعون السبيل، قد نجد هذا فى دول كبيرة، ولكنه ذاع وشاع فى الغرب حتى أصبح مألوفًا، حتى إن بعض المنظمات الغربية غير الحكومية خيبت الآمال حين أدلت بدلوها فى مؤتمر بكين المشهور بنظريتها المشئومة التى ترفض فيها تقسيم البشر إلى ذكر وأنثى، ومن ثم فمرحبًا بالسحاق واللواط؛ مواقعة الأنثى بالأنثى والذكر يأتى الذكر.

نعم الشواذ منبثون فى كل مكان، ولكنهم فى كهوف ومغارات يأتون فيها المنكر، وليس بقانون من البرلمان، وحقًا قول ربنا: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦].

ولكن هل يعقل أن تستضيف بلاد الشموخ الحضارى والتقدم العلمى أكابر مجرمى الجنسية المثلية؟! وهل يعقل أن يستقر فى وجدان الكنيسة الإنجليزية أنه ليس ما يمنع أن يكون الشخص مسيحيًا وشاذًا جنسيًا فى الوقت ذاته، بل ألغت الحظر على كهنتها وروادها[1].

لقد اندثر قوم لوط مع القرى الَّتِى ائتفكت بأهلها ودخلوا مع الداخلين فى مزبلة التاريخ، فهل يعود الشواذ إلَىٰ تاريخ البشرية، ويكونون بمفازة من العقاب بقانون يصدر من نواب الأمة فى البرلمان الغربى؟!

إن إتيان الذكور فى أدبارهم أو حتى النساء فعل شنيع وخسيس لا نجده حتى فى عالم الحيوان كما أسلفنا، فإذا هو فى ديار التقدم العلمى ليصبح جسم الإنسان مرتعًا للجراثيم الفتاكة الغازية وليأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت، أى عار على رجال الدين فى صوامعهم حين تبارك الكنيسة فى إنجلترا إتيان الرجال شهوة من دون النساء، وكذلك الصبيان، وينعقد البرلمان بمجلسيه اللوردات والعموم، ولا يجدون فى صدورهم حرجًا مما قضت به الكنيسة هناك فى التآمر على قوانين السماء، فإن بقايا الوحى عندهم ما جاء فى سفر اللاويين: إذا اجتمع رجل مع ذكر جماع امرأة فقد فعل كلاهما رجسًا، إنهما يقتلان. لقد كان من مآثر المحكمة الدستورية الألمانية إباء زواج الشواذ، وقد بدأت القضية بتوجيه شابين إلى محكمة الأحوال الشخصية للتصديق على زواج بعضهما من بعض، فرفضت دعواهما لما فيها من فسوق، والطريف أن المجرمين قد طعنوا على الحكم أمام المحكمة العليا فأبت بدورها إلا أن تعرف المعروف وتنكر المنكر.

لقد استصدروا قانونًا فى الولايات المتحدة الأمريكية يرحب بالشواذ حين ينخرطون فى الجيش بدعوى أنهم كما يسمون أنفسهم «المرحون»، وكان إصداره صدمة لكبار المسئولين وأولى النهى الذين ذهبت تحذيراتهم أدراج الرياح، بسبب تخوفهم من التأثير على معنويات الجنود، فضلاً عن التأثير فى درجة الانضباط وانتشار الإيدز بين الصفوف، وهو ما قد يدفع بالكثيرين إلى الخروج من الجيش. وفى إيطاليا أنشئت رابطة الشذوذ الكبرى، وقد أصبحت التكنولوجيا تخدمهم الآن عن طريق الهرمونات التى تجعل من صورهم وأشكالهم مثل النساء.

(١) مجلة الإرشاد اليمنية رمضان ١٤٠٧ هـ ص ٤٠.

ورغم الأمطار والصقيع فى برلين فى ألمانيا يحتفل الشواذ سنويًا بشذوذهم فيجولون فى الشوارع الرئيسية مئات الآلاف منهم رجالاً ونساءً، وقد بهروا أعين الناس، بعضهم بالملابس الداخلية فقط ويسيرون لمسافة تزيد على خمسة كيلومترات للتعبير عن أنفسهم وابتهاجًا بمسلكهم، ومنهم من يتبوأ أعلى المناصب ولا غضاضة، لا يتناهون عن منكر فعلوه، وأصبح لا أدب يفيد ولا أديب[1].

وثالثة الأثافى امرأة تتزوج امرأة وهلم جرا.

**ـ نوادى العراة تلطخ جبين الديمقراطية الغربية:**

هل الديمقراطية تعنى التحرر من كل قيد؟ نعم واصل الليبراليون سعيهم الحثيث للتحرر من كل قيد، فكشفوا عن أنيابهم، واجتمعوا فى ناديهم يموج بعضهم فى بعض رجالاً ونساءً، وقد بدت لهم سوءاتهم فى سلوكهم قمة السعادة، وعنوانًا للرقى، وأما الحياء فقد شيعوه إلى مثواه الأخير، وقد صار لهذه الأندية بطاقات للعضوية والعضوية الفخرية يجتمعون بها بترخيص من الحكومة.

نعم قد تكون الغرائز كامنة، ولكن الإثارة متأججة نارها، ومن الطريف أننا حين كنا فى بعثة فى أوروبا وجاءت بنا سيارة ذات يوم إلى سور لنادى العراة فاندفع أحد منا يحمل آلة تصوير يود التقاط صور لهم، فأجابه الحارس أن يخلع ملابسه ابتداء ليسمح له بالدخول، وحينئذ يتجول كزميل زائر، ولا نعرف استثناء فى هذا اللهم إلا ما نشرته الصحف من أنه فى منطقة موسكو عند نهر يقال له نهر الموسكونا حيث يكون بإمكان راكبى سفن التريض أن يشاهدوا العراة من الجنسين دون ساتر، فما قولكم دام فضلكم أيها المتيمون بالليبرالية عندنا؟

نأسف كثيرًا لأن علماء البيئة الغربية يقولون إن الخجل والحياء صفتان من صفات العالم الثالث، ويرد عليهم بأنه ليس «من الهمجية» فى الدول الراقية أن يشيع بينهم العرى ولو كان فى ناد محاط بسياج.

فما هو رأى المولعين بالتقاليد، ولو كان الباطل الزهوق؟! نعم إن أمتنا هى سيدة الأمم فى مجال الرشد الأخلاقى مهما ران عليها من تخلف مادى أو تكنولوجى إلى حين.

---

(١) السياسة الكويتية فى ٢٥/٦/٢٠٠١م.

**ـ القانون الدولى مكبل ومكمم :**

(حقوق الإنسان من الاحتلال إلى الاستحلال)..

مما يحمد لألمانيا أنها تكاد أن تكون الدولة الغربية التى لم تحتل بلدًا عربيًا. والآن حين يقتل العشرات من العرب أو العجم فلا تثريب عليهم اليوم، أما حين تحدث الجناية على غربى أو يهودى فهنا يكون الافتئات على حقوق الإنسان، أن تدفن أوروبا نفاياتها فى أراضى العالم الثالث فهذه من حقوق الإنسان، فحقوق الإنسان تستخدم بمعايير مزدوجة، تجعل الحقوق هى حقوق الغربى وحده، أليست هذه قسمة ضيزى؟ أى قسمة جائرة؟!

فأبناء الحضارة الغربية يهتون بتأمين مصالحهم على حساب المستضعفين من الشعوب الذين تنهب ثرواتهم فيرتد أصحابها إلى حظيرة الفقراء فلا يجدون ما ينفقون، ومن ثم فقد أصبح استنزاف الدولة النامية بطرق شتى من حقوق الإنسان الغربى. وهاكم تاريخ فرنسا فى الجزائر على سبيل المثال وقد أمضوا فيها ما يقرب من مائة وثلاثين عامًا من الزمان.

هل أفقر الإسلام بلدًا فتحها؟ لقد جعل أذلة أهلها أعزة، والنداءات التى توجه للمستضعفين فى الأرض تعدهم وتمنيهم، ولكن هيهات لما يوعدون، فالإنسان فى بلاد الديمقراطية الغربية هو إنسانهم وحدهم.

إن العالم الذى صدر فيه الإعلان العالمى لحقوق الإنسان اغتيلت فيه حقوق شعب بأسره؛ شعب فلسطين العربى المسلم.

**ـ العنصرية البغيضة:**

**الاستهانة بالأجناس الأخرى:**

ديدن الرجل الأبيض، ازدراء يخفيه فى نفسه تجاه الملونين، واسألوا الحضارة الأمريكية مدعى الديمقراطية ما حدث للسود عندهم وما حدث فى اليابان، وكيف انهالوا عليهم ضربًا باليمين، وسلكوا معهم سبل المطففين، وكذلك ما يحدث الآن فى العراق ونحن فى مطلع الألفية الثالثة، وأصبح القانون الدولى مكتوف الأيدى بظلمهم وأصبحت أجهزة الدعاية قادرة على إحقاق الباطل وإلباسه لباس الزينة. وأخيرًا، فإن ما يحدث فى فلسطين ـ والولايات المتحدة شاهدة محرضة ـ أكبر دليل على أن حضارة العولمة جائرة ومفسدة، تكيل بكيلين وتعمل بمعيارين.

**الغرب يأخذ بالفكر التجريبى ويغفل الحكمة وآيات الله:[1]**

فالغرب قد انتهج الأسلوب العلمى التجريبى من الأندلس الإسلامية يوم كانت، والتى عمر فيها الإسلام ثمانية قرون من الزمان، هو لا يؤمن إلا بالمحسوس والملموس والتجربة، ويغفل ما وراء الطبيعة، باستثناء قلة مبصرة من العلماء المعاصرين، فقد أغفل النظر إلى الحكمة وقل مدده فى النظر الساعى بدأب وشغف إلى إدراك آيات الله، ومعلوم أن الحكمة هى ينبوع كل خير فياض ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وهكذا اكتفى الغرب بالبحث عن المعرفة والمعلومات لتطوير التكنولوجيا سعيًا للكسب المادى لإشباع رغبات وطموحات المجتمع الاستهلاكى، ولم يأبه لما أصاب البيئة من مضار وإخلال بالتوازن الحيوى، مما أدى مثلاً إلى ارتفاع درجات الحرارة واتساع الفجوة فى طبقة الأوزون، وزيادة الفيضانات والزلازل. وأخيرًا تطوير أسلحة الدمار الشامل.

وظن بذلك الظنون: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق:٦، ٧] وغفل عما يقوله القرآن الكريم: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا...﴾[الآية :٢٤ من سورة يونس].

كم نحن بحاجة إلى أن نصلح أنفسنا بأنفسنا. فأين عقلاء الغرب وحكماؤه علّهم يوقفون زحف جوادهم الجامح إلى الهاوية، فيستمعون القول فيتبعون أحسنه.

(١) د. أحمة حلقه، الأهرام فى ١٣ / ٤ / ٢٠٠٦.

## الفرع الثالث

## أسباب مما عملت أيدينا

### أولاً: المرضى بالغزو الفكرى (أعداء الداخل):

**دعاة التغريب الليبرالى وأدعياء التنوير**

هم نخبة تحمل لواء التبعية فى العالم العربى عن الإسلام لا يطيقون سمعًا، متفقون فيما بينهم على توزيع الأدوار لهدم الثوابت فى الدول الإسلامية، كل منهم كان لآياتنا عنيدًا، وليس عندهم رهبة من لقاء ربهم، بل هم فى مرية من لقائه، يريدون تحويل كلام الله إلى وجهة نظر، ولا يهمهم أن يبدل دينهم، أو إذا نوقش الجهبذ منهم كان صدره ضيقًا حرجًا مع كونه يدعى إلى الإسلام.

هنيئًا للغرب بأذيالهم فى الشرق الذين أغنوهم التآمر المباشر، ثلة من أصحاب القلم أمنهم ديننا من خوف فترعرعوا فى ربوعه، فإذا هم يتبعون غير سبيل المؤمنين، لا يفرقون بين منهج السماء وأفكار البشر، بين الدين والفكر الإنسانى، فيهجمون على الدين باسم حرية الفكر، ويحدوهم حب الظهور فى كثير من الأمور، ينتصرون لكل سلوك وافد كفصل الدين عن الحياة، صنعت عقولهم فى مصانع الغرب ومن ورائهم سماعون لهم يسمون أنفسهم بالمبدعين، همهم تقليد الأجانب دون تمييز بين الإيجابيات والسلبيات، فهو شرف لا يدانيه شرف، ودعواهم الإبداع، ليس فى محراب التقدم العلمى وإنما السخرية من أوضاعنا وقيمنا، وإذا انكشفت عوراتهم أعلنوا التوبة والعودة، وهم جميعًا كما يقول المولى عز وجل[1]: ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ [غافر: ٥٦]، ولتعرفنهم فى لحن القول فماذا قدموا لأمنا؟ كل ما قدموه أن يظل الغرب هو القبلة، فتتأبد للشرق تبعيته للغرب، وهم منبثون فى أروقة الحكم وأزقة السياسة وردهات الإدارات الحكومية، يحسبون كل صيحة عليهم، ويشغلون مواقع مهمة فى صناعة القرار، وهم على نوعين: نوع غم عليه أمره فانحاز سفهًا بغير علم، ولكن يمكن أن يثوب إلى دينه إن صادف ناصحًا أمينًا، ونوع آخر أشبه بالبلاء فى بلاد العرب لا ينفعهم إن أردت أن تنصح لهم،

(١) مصطفى صبرى، قولى فى المرأة ص٧٥.

تعرفهم بسيماهم، فهم مفتونون بالثقافة الأجنبية التى أترفوا فيها وأقصتهم عن ثقافة أوطانهم، يحدوهم خلع أستار الحياء وتناول أوضاع النساء وعمائم العلماء، والتهكم بطريقتهم المثلى، يحبون الكر على موضوعات حسمها ديننا منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، كزى المرأة المسلمة ويبغونها عوجا، وهم فى شغل فاكهون بموضوع حقوق المرأة من التحرير إلى التحريض.

إن المجتمع العربى أوقع نفسه فى شراك نصبها له الآخرون بوعى، ونصبها لنفسه بغير وعى، ووقع بسبب ذلك أسيرًا لتناقضات: التناقض بين الدين والعلم، التناقض بين العروبة والإسلام، التناقض بين الحاضر والماضى، التناقض بين الأصالة والمعاصرة، بل وصل التناقض إلى أن الأمة أصبحت مولعة بالبحث عما يفرقها أكثر مما يجمعها.

## الحاملون لثقافة حائرة أو منفصلة:

أقل ما يمكن أن يقال عنها: إنها ثقافة غير مطابقة لواقع المجتمع العربى، فمنطقها، وتعبيرها وذوقها مختلف عما تعود عليه أبناء المجتمع العربى.

نعم فتغييب الثقافة الأصلية يتسبب فى ضياع الهوية.

الثقافة عندهم مقصورة على نجوم الفن والرياضة وهو ما أدى إلى مسخ هوية الأجيال الجديدة فى الساحة الإسلامية، بل أصبحوا أحيانًا يقودون مواكب الاستفزاز.

وبالجملة، فلقد أنتج الغزو الثقافى كُتَّابًا رصيدهم متضخم من الفراغ العقائدى، والتمرد على الفطرة، وصار بعضهم لبعض ظهيرًا، ولم نرصد لهم أى إبداع حقيقى جنته الأمة، ومازلنا فى قوائم المخلفين فى أعين الأمم الراقية على رغم براعتنا فى كل الفنون العصرية، إنما هو السلوك الغربى عندهم محمود مهما علاه السوس، كُتَّاب لهم كتب أكثر مما لهم قراء.

## ـ مؤتمر للمثقفين العرب يدعو للتخلى عن الثقافة الإسلامية والتحلى بالثقافة الغربية:

نعم طلاب التغريب فى شغل فاكهون ـ جاهزون تحت ستار ما يسمى «بتجديد الخطاب الدينى» ـ على إعلان الحرب على دين الله وثقافته ومنهجه وحضارته

وتاريخه، فكان من أبرز النقاط التى توصل إليها يومئذ حضرات المثقفين العرب فى ناديهم:

- إلغاء النص على أن الإسلام دين الدولة.
- تفكيك المؤسسات الدينية وتبديلها بمؤسسات أهلية لها حق الفتوى فى الحلال والحرام.
- زحزحة تفاسير الجهابذة ونوابغ الإسلام.
- إلغاء التعليم الدينى لتحرير العقل من الحلال والحرام، وحينئذ يكون قد أذن مؤذن بتحطة بركات حضارة الإباحة و«الأباحة».
- وصم كنوزنا الفقهية بأنها من فقه القرون الوسطى.
- التنصل من كل ما قاله صحابة رسول الله ﷺ.
- جحود الأحاديث والسنة والفقه.
- وقف العمل بالمعاجم اللغوية القديمة، وتقديم لغة جديدة للانطلاق بها نحو النص القرآنى.
- وباختصار فهم يصموننا باللاهوت الإسلامى، تلك دعواهم.

وبالجملة فالإعجاز عندهم ما لا يعرفه النبى ﷺ، والإنجاز عندهم هو النيل من تراثنا وتشويه قيمنا أو انتقاد تاريخنا، آمنوا بدعوى أنهم رسل للحرية المعاصرة التى تستبيح الأديان، وعلى سبيل المثال فقد أبان العقاد ـ رحمه الله ـ حقيقة المذاهب البراقة التى انخدع بها نفر من المصريين وغير المصريين، وتشيعوا لها فى زمان كان التشيع لواحد من هذه المذاهب دليلاً على الرقي والتحضر، وبلغ الانبهار بها حدًا كان فيه «أبناء الذوات» هم دعاة الشيوعية مثلاً، وقال العقاد فى إيجاز: إن الاشتراكية العلمية المزعومة ليست من العلم فى شيء، وأفاض فى ذلك حتى أتى بنيانهم من القواعد[1].

إن اعتقد هؤلاء أن باعة الحضارة فى الغرب نيتهم إثراء واقعنا فهم واهمون.

والعجيب أن أدعياء التنوير الداعين لاقتباس سلوك الغرب جملة وتفصيلاً لا يرتحلون إلى قيم الغرب المعوجة فيأبى كبيرهم أو صغيرهم أن يُقَبِّلَ امرأته شاب أو رجل آخر فى حضرته أو غير حضرته ولا يرضى أن يحرم من ميراث أبيه إن كان ذا مال على غرار ما هو فى الغرب حين تفتح الوصية، فإذا بالتركة تذهب إلى كلب من الكلاب أو عشيقة كان المورث لها خليلاً.

(١) مستشار د. محمد عبد البديع، الأهرام ٢٧/٦/١٩٩٧م.

ومن المعلوم أن الإسلام لا يضيق ذرعًا بمخالفيه، بل يفتح الباب على مصراعيه للرأى الآخر بل يحض عليه فتلك حقًا حرية الفكر، ولكن لا لحرية الكفر متذرعين بحرية الفكر.

فإذا شئنا القول فإن التنوير مبدأ إسلامى عريض، وليس هو بمدلول غربى على ما يتوهم الواهمون فاستغلوا كلمة التنوير للتهجم على الإسلام حتى صار تنويرهم موجعًا لما يؤدى إليه من الانسلاخ من القيم، وظهور جيل الشتات الفكرى بدعوى ملء الفراغ ببدائل أجنبية.

كل منهم يدعى إلى الإسلام ومعهم نفر قليل من أهل الكتاب يظاهرونهم، وطيلة سفرهم الطويل لم يقدموا لأمتنا أى تنوير جاد اللهم إلا محاولة اختراق نسيج القيم، غافلين عن أسباب النهضة الحقة، وكم فشلت مشروعات التنوير التى أغرونا بها، فمنهج التغريب لم يورثنا إلا إرباكنا، فكان نصيبهم هو العداء اللاشعورى لأبناء الأمة بسبب التعتيم على ثقافتنا الراقية، والتى اتبعها الغرب بإحسان يوم كان فى مرحلة النقل وحضارتهم فى مرحلة التلقيح.

إن الاندفاع نحو الغرب دون تفرقة بين التقدم العلمى والمساوئ، أمر يصيبنا بالمعرة، وهم يبحثون ولو تحت الثرى عن مزالق لنا، ويوادون من حاد الله ورسوله، وما أشبه اليوم بالبارحة فأمثالهم على عهد رسول الله ﷺ كانوا هم المرجفين فى المدينة، ينهون عن المعروف ويأمرون بالمنكر ﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [التوبة : ٧٤]، وكما يقول أمير الشعراء أحمد شوقى:

يا معشر الكتاب أين بلاؤكم ... أين البيان وصائب الأفكار

## ثانيًا: تجار الثقافة الهابطة[1]:

ومن الأمور التى غيرت مجال الثقافة فى البيئة الإسلامية وحطت من أقدارنا أن موجات متباينة من الهزات الاجتماعية قد دخلت أجواء بلادنا وأوقعت الثقافة بين أيدى ثلة من المتاجرين بها، وهم لا يمتون إلى الثقافة بصلة، ومن ثم فتح الباب على مصراعيه أمام الرتابة والفجاجة والسطحية الشديدة، وغلقت الأبواب فى وجه الإنتاج الرفيع والمتميز.

(١) :. أحمد كمال أبو المجد، خمسة معوقات تهدد باغتيال المستقبل العربى، مقال بمجلة العربى يناير ١٩٨٣م.

ولقد قام المتاجرون بالثقافة بالترويج لفيض من الأعمال الأدبية والفنية بالغة الهبوط، هدفها السيئ أن تقتل وقت الجيل، وأملها المنشود أن تسدل الستار على العقول، لا تحرك خيالاً ولا تثير فكرًا أو حسًا، فهى لا تثير سوى ما تحمله من الغبار، تهتم بنشر قضايا العار، وباختصار شديد فهى نتاج تعس يقدمه محرومون من الثقافة ويستخدمون فى عرضه وتقديمه ـ مع الأسف البالغ ـ أرفع أدوات الثقافة وأكثرها فاعلية وتأثيرًا وتشويقًا، وهو ما أثر على السلوكيات.

## ثالثًا: طوفان التقمص ومرضى الشعور بالدونية:

فى الحقبة الأخيرة طغت علينا ثقافة مضمونها أننا لا نصلح لشيء، وإذا شئنا التقدم فالغرب مولانا وعنده مفاتيح العطاء، وتسرب إلينا شعور القابلية للاختراق، ولذلك يقول مالك بن نبى أن أهل الثقافة التعيسة يغشى أهلها دائمًا الإحساس بالدونية.

فالشعور بالدونية هو عرض لمرض نفسى ينتاب الأمم، هو الهزيمة النفسية، ويفتك بالأفراد فيصيب الشخصية بالهزال والمجتمع بالاضمحلال فيجرهم إلى ساحة التقليد بدافع الإعجاب والانبهار بالغير، شاءوا أو لم يشاءوا بسبب ضعف الاعتداد بالذات أمام المؤثرات الوافدة، وإن بدأ ذلك على غير قصد من المقلدين؛ لأن المؤثرات الوافدة تتميز بالقوة والإشعاع وقوة الدفع والقدرة على التأثير، ويصبح المقلد فريسة لذلك، وينحصر دوره فى الاستقبال كطرف بعيد متأثر، وقنوات الاتصال النفسية تربط بين قطبى المحاكاة وتقرب البعيد لهما؛ لأنها ترتكز على الرضا والاستحسان، فالشعور بالدونية يفقد المهزوم ضرورة التفرقة بين ما هو إيجابى بناء وما هو سلبى هدَّام فينغمس فى التقليد.

### ثغـرة الاختـراق:

نعم هناك قوى جذب مركزية تنبع من صميم المجتمع العربى وواقعه، ملوحة للعرب أن هناك تعطشًا ثقافيًا وفراغًا قيميًا ورغبة ملحة فى أى جديد ولو غير مفيد، ويغض النظر عن تلاؤمه مع القيم السائدة فى المجتمع، ومن هنا كانت ثغرة الاختراق للشرق الإسلامى، فعمل الغرب على تشجيع الاقتلاع الثقافى بفرض الثقافة واللغات الغربية من ناحية، وبتشجيع التفكير السلفى الغيبى من ناحية أخرى، وقد نشأ عن هذه السياسة ثنائية هائلة فى البلد الواحد، فكر ليبرالى أوروبى وفكر سلفى يغرق فى متاهات الماضى[1].

(١) محمد صالح العجيلى، مقاله سالف الذكر.

وقد استحوذ تقليد الغرب على شرائح كبيرة وقطاعات عريضة من جماهير أمتنا، فضعفوا واستكانوا أمام الإعصار الغربى، وأحيانًا من غير قصد منهم فتجاهلوا أعرافنا الطيبة، فإذا قصت بنت على نحو معين قصت بنات مثلها على هذا النحو لا جمالاً، وإنما على سبيل التقليد والإعجاب صمًا وعميانًا، وتجد المرأة العربية حين تزمع السفر إلى الخارج تتخلى عما كانت تتحلى به من الزى الإسلامى، فتخلع رداءها وهى فى الطائرة لتكون نموذجًا للتحضر - فتسفر عن وجهها وتكشف ساقيها وتخدع نفسها بمواكبة العصر.

وهكذا انطلق أهل الشرق مفتونين معجبين بكل ما حملته السفن من أوروبا، ومنها الثقافة التى بها محاصيل الرءوس وعبَّ أهل الشرق منها عبًا، بحكم أنها الحضارة الجديدة التى لابد أن تكون خير حضارة، فدخل إلى أجوافهم ما كان منها طلعه هضيم كما أن منها ما كان ذا غصة، فاخترق الذات الإسلامية واحترقت معه الأحاسيس؛ لأنه نتاج ثقافة مشوهة فى السلوك خلت من محاسن الأديان وطيب الأعراف، وهنا يقول العلامة الدكتور أحمد زكى الذى كان رئيسًا لتحرير مجلة العربى بعضًا من الكلم الطيب عن الأخلاق والقيم والعادات وأثرها فى حياة الناس وسلوكياتهم ومدى إقبالهم على تقليد الغرب أو الإعراض عنه:

والظاهر أن هذه سمة الإنسان فى كل الدهور والأزمان، وكأن به الطوفان من الغرب قويًا فضعفت جسور أهل الشرق عن حبسه ووقفه فراح يحطمها. وقوم كرام من أهل الشرق قاموا ليوقفوا هذا الطوفان عن علم، وآخرون قاموا لوقفه عن جهل، وألغى أهل الجهل جهود أهل العلم فظل الطوفان يمتد ويغمر ولا يبالى[1]. وقد غمر الطوفان أهل الشرق فيما غمر قيمًا شرقية هى فى الحياة غالية وأخلاقًا وسلوكيات نعمنا بها دهرًا طويلاً، ركنا إليها واعتمدنا عليها فكانت لنا زادًا ومعينًا، نبعها الفياض نلنا منه راحة البال وصفاء النفس ونبل الفكرة وطيب المآل. ولكن الشعور بالدونية داء وبيل ألمَّ بنا.

لقد كانت مؤامرة محبوكة لتخريج أجيال مسلمة وعربية، ولكنها ذليلة، ترى أن العلوم التى نتعلمها وافدة من الغرب، بينما هى فى الأساس من عمل الأجداد المسلمين الأولين الذين وضعوا أسس المنهج التجريبى العلمى ثم أهدوه إلى الغرب الذى لا يعترف بالجميل.

(١) د. أحمد زكى، الأخلاق والقيم والعادات فى حياة الناس، مجلة العربى، نوفمبر ١٩٧٢م.

وهكذا كانت هزيمتنا فى إحساسنا، مصدرها نكران الأمة لذاتها، وضعف ثقتها فى تاريخها وغفلتها عن ذاتها ومجدها، فراح حتى المثقفون منا يلتمسون سلوكياتهم من غيرنا دون تمييز بين صالح وطالح.

وحتى المناهج التربوية أصيبت بدورها بالشعور بالدونية بما تحويه من التسليم للعالم الغربى بالقيادة منذ فجر التاريخ، وهو ما يكون عند أجيالنا لا شعوريًا رغبة ولو دفينة فى الانتماء إلى هذا العالم المتقدم، غافلين عن أن الفضل كل الفضل فى تقدم هذا العالم يعود للحضارة الإسلامية، فى انتشال أوروبا من عصور الظلمات التى سادتها فى العصور الوسطى وأخرجتها إلى نور المعرفة واليقين(١).

فنحن نقلد الغرب اليوم فى تقديم الزهور الطبيعية فى المناسبات ولا مانع من ذلك ولكن نقلد فى الشكل دون المضمون؛ لأن عشق الزهور عندنا لم يتغلغل فى دمائنا ذلك المغزى الجميل لتبادل الورد والمعانى الرقيقة البالغة العذوبة، وإدخال البهجة فلايزال الأمر تقليدًا دون نظرة إلى شىء من جمال الطبيعة وتبادل البهجة.

وقد يرى البعض أن الاتجاه نحو الغرب ليس حالة مرضية وهو رأى صائب إذا كان الاتجاه المذكور صوب التكنولوجيا والعلوم الحديثة، أما أن يصحب الاتجاه نحو الغرب الذوبان فى غيرنا وفقدان هويتنا، فذلك هو المرض الذى يحولنا إلى أمة معقدة.

إن الحضارة الإسلامية سادت الدنيا وعمرت ألف سنة بينما حضارة الغرب لم تتجاوز خمسة قرون، فالمسلمون كانوا سادة الدنيا ولم يكونوا مجموعة من الدراويش كما يحلو للبعض أن يتهم، أحسنوا فهم دينهم وعرضوه عرضًا جيدًا فكانت لهم الصدارة والحضارة، ففتحت لهم الأبواب وأقاموا دولة غطت مشارق الأرض ومغاربها، وأزالت إمبراطوريات القياصرة والأكاسرة، ولاتزال أسوار الدولة البيزنطية فى حوزة الدول الإسلامية شاهدة عليهم.

### رابعًا: التقليد كمرض طفولى:

فلقد حذر الفلاسفة المسلمون من مغبة الوقوع فى المرض الطفولى المتمثل فى

(١) د. أحمد شلبى، مناهج التاريخ والحضارة الإسلامية بها خلط وأخطاء، مقال بالأهرام فى ١٩٩٣/٣/٢٠م.

محاكاة الغرب بحسبان العواقب الوخيمة؛ لأنه يستحيل محاكاة حضارة فى مظاهرها الخارجية دون الوقوع تحت سطوة الروح التى أنتجتها هذه الحضارة، وروحها تتمثل فى التركيز على الذات والعمد إلى فرض رؤيتها للتاريخ وللعالم على الآخرين، ومن ثم فإن استيعاب هذه الروح يغرس فى شبابنا المسلم شعورًا بالدونية يؤدى بهم إلى رفض ثقافتنا الإسلامية، والهرولة وراء المحاكاة والتقليد والتبعية وضياع الهوية.

ويظهر المرض الطفولى حقًا فى أننا نقلد الأجانب؛ لأنهم متقدمون حتى ولو كان منهم زنوج.. فهل الزنوج كانوا مخترعين يوما ما؟ أم هو تقليد للأجنبى احتراما لبلاد الأجانب لا يقبل معه نقاش حتى ولو كان منهم زنوج؟ فنحن نقلدهم لأنهم مخترعون واختراعاتهم رصيدهم، وغفلنا عن أن سخفهم وغناءهم وخروجهم عن المألوف يسبق كل ذلك.

## خامسًا: فقراؤنا فى الثقافة الدينية:

**(شباب اتبع هواه ولم يجد وليًا مرشدًا)**

نعم بيوتنا غاصة بالأجهزة الكهربائية فى هذا العصر، وأمة اقرأ لا تكاد تقرأ، فأبناؤنا يموجون فى بحر من الهشاشة الفكرية لم يدركوا بعد حقيقة الانتماء للدين، وسلوكه الوضاء، ونشئوا فى فترة عصيبة تميزت بظهور أزمات فكرية واجتماعية واقتصادية وسياسية، وهو ما ولد لديهم إحباطًا كبيرًا فكانت ضحالة الفكر والأفق المحدود، رغم توفر الشهادات العلمية العليا، وهو ما يؤدى إلى زعزعة الثقة والقيم فلا يبقى أمام الشباب سوى التشبث الواهى والإقبال على القشور دون اللباب.

إن الشباب عندنا أصيب باليتم رغم وجود الآباء والأمهات.

لقد تراجع الكتاب وتقلص دور الولى المرشد ففتح الطريق للفضائيات لتصبح أداة التوجيه للشباب، فصار لديهم الاهتمام الزائد بتفاصيل حياة نجوم الفن ومشاهير الرياضيين، فتوارى المد الثقافى فى بناء الشعوب. وشبوا منذ نعومة أظافرهم لا يعرفون عن الإسلام مجده، فهم يجهلون تراث أجدادهم وأمجادهم والقرون الأولى، وامتلكتهم أراجيف صدقوها وأكاذيب توهموها، حتى صاروا غرباء فى أوطانهم ينأون عن دينهم[1].

(١) حسن الشرقاوى، المسلمون علماء وحكماء ص٢٦٦ وما بعدها.

نعم حدث اختراق للمجتمع الإسلامى على أياد خفية أجنبية، ولكن أعان على ذلك أن بيوتنا عورة، خاوية من الثقافة الدينية البناءة، وطغت على أسماعهم برامج التسالى والحكاوى، ولو كانت الشعوب تتقدم عن طريق هذه البرامج لسبقنا العالم ولصرنا من أربى الأمم، ولكنها برامج لا تبدى ولا تعيد فهى أشبه بثقافة الفيشار. ولهذا تدنت ثقافة الأسرة إلى أن صارت ثقافة سطحية، الهرج يغشاها والمرح والرقص والتهريج.

ودور الأب عندنا أخذ فى الضآلة والضحالة مع أنه قد أهل ليكون وليًّا مرشدًا؛ إذ خلت بيوتنا من كتاب نفيس أو جليس صالح .

إن ما يدفع بناتنا إلى التبرج هو الفقر المدقع فى الثقافة الدينية، فيضيق صدرها بسلوك دينها، أما الشباب فغالبًا ما يكونون ألفوا آباءهم فارغين، فسرعان ما تسارع إليهم تقاليد المنصرين ينبهرون بها، وهكذا يلتقى الفقر فى الثقافة الإسلامية مع الترف الممقوت، فتضعف لديهم حاسة الحفاظ على القيم، وتنتابهم بلادة الحس.

فهذه أسرة مولعة تحتفل بحفاوة بالغة برأس السنة الميلادية، وذلك شباب يأتى فى حضرة والديه بسلوكيات وافدة تتجافى ودينا، وآخر يلطخ جدران بيته بصور الفنانين ونجوم الغناء والكرة العالميين على أنهم المثل الأعلى، وتلك فتاة تتحدث فى الهاتف مع من؟! وتجد الأبوين شاردين، وشباب غريب الملبس والحركات، ملابس غريبة وسراويل ضيقة، وملامح الغربة شأنهم ودأبهم، من يجلى الذهب مما علق به من القذر؟

هل خليق بأبناء أمتنا أن يكونوا مع الخوالف، من الشعوب العارية عن الحضارة؟ وأن يكون زادهم العتامة الثقافية فى أمور دينهم؟ ونتحول إلى أمة تقاد إلى الاسترقاق العصرى.

كم عندنا من فقراء الثقافة لهم دوى شديد فى دور الإعلام ينظرون إلى الله بتهكم شديد، يريدون نقلنا إلى أوروبا أو نقل أوروبا إلينا، ومن هؤلاء المقلدين نحذر، وإذا كان غيرنا قد تمرد على ما لديه من وحى فهو وشأنه، ومن نسى الأصول غابت عنه الفروع[1].

(١) الغزالى، الحق المر، المسلمون العدد ٤٠٠.

**صدأ الحاسة الإسلامية:**

يحز فى النفس كثيرًا أن نرى الكثير وقد أصيب بوهن فى الشعور الدينى كمن يجاهر بالإفطار فى رمضان بلا عذر شرعى، ولقد كان من نتائج الخواء الثقافى أن شرائح كثيرة من المثقفين وأصحاب المناصب قد وقعوا فى التيه وأصابهم الوهن فى الدين، فصاروا ضعافًا فى العقيدة، وبالجملة صاروا فى شغل دائم بأخبار غير دينهم وإخوانهم فى بقاع العالم، ينخدع بهم زمرة الفقراء فى الثقافة الإسلامية فيحسبهم الجاهل بهم أنهم على شىء.

ومن ضعاف الحاسة الإسلامية المكذبون أولو النعمة والأثرياء الجدد، لقد وصلنا إلى العز ومازالت أقدامنا فى الوحل. فكانت لدينا ثروة من غلمان أشأم؛ لأن الترف قد أصبح عاهة لدينا. وصار التمرد على قيمنا مألوفًا ومعروفًا من المكذبين أولى النعمة، نعم الغنى أمر محمود وممدوح وديننا يحض عليه حضًا، ولكن حين يتحول إلى ترف يضحى من عوامل الهدم، نتيجة التقمص والتقليد فى السيئات، وهو مسلك كثير من أبناء النخبة الاجتماعية التى أفاء الله عليها بالثراء .

إن المترفين الناعمين هم الذين أنزلوا راية الإسلام من عليائها، وقد أسقطت الخلافة الإسلامية من قصور الترف، إن فنون اللذة لا تزدهر إلا مع الضياع الدينى، والمشاهد أن جماهير غفيرة من الأغنياء أبطرهم الترف وضعفت عند شبابهم روح الرجولة، فأهمتهم تسريحة الشعر، أو الولع بثياب الأجانب، وبالجملة زلزلة الحواجز بين الحلال والحرام والمكروه، فغاية الغايات عندهم هو المرح وإسعاد النفس وركوب موكب اللذات من خلال مفهوم ترسمه فلسفة الإباحية التى ورثتها الحضارة الغربية من اليونانية وأضافت إليها، وفى النهاية يصير الأمر كما لو كان عصر المثقف العربى قد ولى مدبرًا، وجاءنا عصر جديد هو عصر التسطيح الذى تحركه الغرائز وعوامل التدليل ومساوئ الرفاه والسلوكيات الوافدة.

ولا يقتصر خطر المترفين، الذين اجتمع لديهم الترف مع فقر الثقافة الإسلامية، على الإقبال على البدع الغربية، بل هم يقولون لإخوانهم هلم إلينا، بحكم أنهم ظاهرون فى الأرض وموضع إكبار وإعجاب، ومن ثم تنقلب الشرائح الاجتماعية الأخرى تبعًا لهم ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾ [الأحزاب:٦٧]. والغريب أن كثيرًا من هؤلاء المترفين كان عائلاً فأغناه الله من فضله.

إن الترف الممقوت كسوس ينخر في عظام الفضيلة، وصدق الله العظيم: ﴿وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان:١٨]، فظهرت طبقات تبحث عن الوجاهة الاجتماعية بالانخلاع من الأعراف والقيم الإسلامية والتمسك بأهداب الغرب، سيما أنهم أكثر استعدادًا لتقبل الأفكار الوافدة.

ولاتزال تطلع على أحوالهم التى تتجافى عن المألوف والمعروف، فهذا شاب يتأبط فتاة مسلمة على قارعة الطريق، وهذا فوج مقتحم من الشباب ـ لا مرحبًا بهم ـ بصحبة جمع من المراهقات، ولا رابطة بينهم سوى المرح فى الأرض بغير الحق بدعوى الصداقة البريئة يتلوها بعد ذلك مرذول الخلق، وكم يسخرون من الشرفاء الذين لا يملكون إلا جهدهم، مع أن كثيرًا منهم ظهروا على السطح فى غفلة من رقابة الحكم، منتهزين طفرات السوق وانقلاب الأوضاع وسهولة التهرب من الضرائب.

ومما يزيد الطين بلة أن الدهماء تقاد ولا تقود، وعواطفها مشاعة لمن يستدرجها، ومن ثم يسارعون بدورهم فى التقليد.

لقد أثرى البترول جيوبنا حتى التخمة فسارعنا إلى بدع التقدم الاستهلاكى حتى صرنا أساتذة فى هذا الدرب والضرب، ولم يصحب ذلك تقدم نظير فى المعارف، فضرب الخواء الثقافى علينا خيامه وأطنابه، وزاد منه تهافت المترفين على استلهام سموم البث الفضائى فى عصر السماوات المفتوحة، للعيش أطول فترة فى أحضان السلوكيات الماجنة التى تساند القيم السائدة.

معاذ الله أن ينطبق علينا قول ربنا: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤].

إن الفاتحين لبلادنا والذين طاب لهم المقام فى أرضنا لم يرضوا ليوم واحد التزيّى بأزيائنا أو التسمى بأسمائنا أو انتهاج طرازنا فى الحياة رغم بقاء الكثيرين منهم طوال حياته بيننا، أما المتفرنجون منا فما ادخروا جهدًا فى تقليد الأجانب فى كل صغير وكبير، حتى فى عادتهم فى القيام والقعود والتحية والترحاب.

**بادع التغريب فى نادينا:**

كم من الموتى يحكمون ويتحكمون فى الأحياء، وهذا ما حدث فى تركيا، بلاد كلها خيرات حسان وجنات معروشات، وشعوبها تحب الإسلام دينًا، ولكنها مقهورة ابتداءً من عصر أتاتورك حيث أحال حلوها مرًّا، وأدخلها فى عالم الاغتراب بدعوى الحضارة.

فالحركة العلمانية فى تركيا قد ادعت أن الإسلام هو السبب الحقيقى وراء تخلف الأتراك، ثم جاءت حلولها سطحية ومقلدة لمظاهر الحياة الأوروبية ساهمت في تضليل المجتمع المسلم فى تركيا، فكان أتاتورك.

لقد تولى الحكم غدرًا على أحكام الإسلام، فأعلن رسميًّا إلغاء الخلافة الإسلامية، وبعثرت الدول الإسلامية إلى أقاليم شتى، تنفيذًا لمخطط تفكيك العرب وتشتيت القوى، وكان هدفه فى النهاية أن يتسنى لليهود الاستيلاء على فلسطين المسلمة، وتبوء الدعوة إلى فصل الدين عن الدولة أسوة بالغرب، كمؤامرة خبيثة لإخراج تركيا من رابطة العالم الإسلامى ليربطها بالمجتمع الغربى، استهزأ بالتقاليد الإسلامية وجلب أعرافًا غريبة وعمد إلى التحريض جهارًا وإسرارًا على كل ما هو إسلامى، ففى عام ١٩٢٥م ألغى التزيى بالأزياء العربية الإسلامية ونص فى القانون الصادر فى هذا الشأن على تعميم الزى الغربى، ووجوب لبس القبعات على الرءوس وصدرت قرارات تفصيلية تعرف الأزياء المعروفة فى الغرب، وتحض المرأة على السفور ولتكشف عن ساقيها ويتدلى شعرها على كتفيها على غرار المرأة الأوروبية!!

ويلغ الحقد والاضطهاد أقصى درجاته حيث حظروا على الشعب التركى أن يحيى بعضه بعضًا بتحية الإسلام، أما التحية الجديدة إما أن تكون بهز الرأس أو الاكتفاء برفع القبعة.

كما ألغى التدريس الدينى من المساجد تمامًا، ذلك التدريس الذى كان واسع الانتشار فى تركيا، وأصبحت مناهج التربية توجه الترك، بزعمه أن الثقافة الإسلامية فى مقدمة أسباب التأخير والجمود.

فضلاً عن إقصاء التقويم الهجرى الإسلامى واستعاضوا عنه بالتقويم الغربى المسيحى فى ٢٦/١/١٩٢٥م.

وجُعلت العطلة الأسبوعية يوم الأحد، ومنع عرض أى صور تقليدية عن الكعبة المشرفة والمدينة المنورة كما منع بيعها وطبعها وترويجها وتداولها.

وكانت الطامة الكبرى كتابة التركية بالحروف اللاتينية. فبعد أن كانت تكتب باللغة العربية فكان من اليسير على التركى أن يقرأ القرآن لأن الحروف العربية والتركية واحدة، أما الآن فهى تكتب باللاتينية، ومن ثم انفصلت التركية عن اللغة العربية وقطع معبر الثقافة الإسلامية.

وبالجملة أصبحت تركيا لا صلة للدين فيها بأمور الدولة، وأصبح الشعب التركى مقطوعًا عن تاريخه وثقافته وفكره، موثوق الحبال ومشدودًا بعجلة المجتمع الغربى الصليبى من كل الوجوه، ليلة رأس السنة الغربية أصبح يحتفى بها فى المدن الكبرى وكأنها عيد للمسلمين، بالجملة فقد غشى المسلمين هناك ما غشيهم.

ورغم كل ألوان التغريب على مدى أكثر من سبعين عامًا فإن الجمر الإسلامى لايزال مشتعلاً فى تركيا، ويرى المراقبون المتفائلون أن كل ما يغطيه من الخارج هو مجرد رماد يتطاير مع أول انفجار لبالونة العلمانية المزهوة.

## سادسًا: عطايا الغرب طريق للتغريب:

نعم كم من محنة جاءت فى منحة..

يحذرنا عقلاء الأمة من الأخطار المحدقة الناتجة عن إغرائنا بالمعونات الأجنبية، فهى لا تقدم ابتغاء وجه ربك، ولكن لأوليات تهدف إلى التغريب أو الاختراق، فالمنعم المتفضل منهم لابد أن يكون له مطالب أو غايات ستظل الهدف الأول له لتحقيق أحلامه، أقلها أنه يربط اقتصاد الدول التى مدت يديها إليه بعجلة اقتصاده، وبالتالى الترويج لنمط من الاستهلاك مختلف عن السائد فى الواقع الاجتماعى.

وباختصار يهيئ المناخ لإيجاد نموذج اجتماعى وحضارى مغاير يؤدى فى النهاية إلى تغيب قيم الرضا والقناعة والإيثار، ناهيك عن تهميش المقومات الأساسية للمجتمع المسلم بالذات، كالدين والأسرة، بل اعتبارها من معوقات التنمية. وهكذا نجحت ـ مثلاً ـ الولايات المتحدة الأمريكية فى غزو عالمنا دون جيوش حتى تمكنت من وراثة نفوذ الإمبراطوريتين الإنجليزية والفرنسية فى أرجاء المعمورة[1] وذاع وشاع بين شبابنا استهلاك الجينز والهامبورجر وهو ما يكاد يشيع فى الأمة كلها.

وهنا يبدر إلى الذهن تساؤل هام: هل الأمة الإسلامية وبلاد العرب التى أفاء الله عليها بمال ممدود يستثمر كله أو جله فى أوروبا وأمريكا فى حاجة إلى المعونات؟

والآن إذا كنا قد وقفنا على بعض مظاهر التقليد والتشبه بالأجانب والأسباب التى دفعت لذلك، فما الأضرار التى نجمت عن ذلك التقليد؟ ذلك ما نضعه على بساط البحث فى الفصل التالى فإليه نصير.

(١) فهمى هويدى، دفاع عن اليد العليا، الأهرام ٢١/١/١٩٩٧م.

# الفصل الثالث

## الهزائم السلوكية
## وتغريب الأمة الإسلامية

انتشر الإسلام فى نصف خريطة العالم الإسلامى بالسلوكيات، فهل يغتال اليوم بها باستدراج أمتنا لتغيير نمط سلوكها وفق النموذج الغربى؟ وهنا يكون التقليد جريمة نكراء فى حق أمتنا، سيما وأنه لا ينصب على محاسن الغرب، وحينئذ نكون كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا، فهل نتحول إلى ذيل يجر فى حين أننا أمة نعتها القرآن الكريم بالخيرية على العالمين ما التزمت أخلاق سيد المرسلين؟

إن التشبه بالأجانب وتقليدهم فى غير محمود سلوكهم يصيبنا فى مقتل، حتى إن البعض يقول إننا على أعتاب قرن يسمى قرن تغريب الأمة، وهو أخطر مظاهر الهزيمة لكونها إلغاء للشخصية حين ننخرط فى طوابير الإمعات، وهيهات هيهات.

.لقد خلف التقليد أمراضًا وأعراضًا كان شرها مستطيرًا على الواقع الإسلامى، فهى تؤذن بخراب الهوية الإسلامية، وتخلق أجيالاً مأزومة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فيتحول العرب إلى جزيرة للغرب، ولتحيا الأمة الإسلامية بعد ذلك فى بحر من (الاستسهال) الدينى أو القطيعة مع الدين الناجم عن مسلسل التغريب، وما يفضى إليه كل أولئك.

وموكب التقليد يتبختر اليوم فى كل دولة إسلامية، وله جمهور وأتباع وسماسرة، وأخشى ما نخشاه أن يستفحل التقليد فيصبح كالسوس الذى ينخر فى العظام، أو يصل السكين إلى العظم كما حدث فى تركيا أو فى قطع متجاورات من بلاد الشمال الإفريقى. وفيما يلى تفصيل المجمل، فنستعرض بعض الأخطار والأضرار التى تنجم عن التقليد:

- **الفرع الأول**: تحريف الواقع الإسلامى وفق النموذج الغربى.
- **الفرع الثانى**: الخطر على الذاتية الإسلامية.
- **الفرع الثالث**: النيل من الخصوصية الحضارية وتهديدها.
- **الفرع الرابع**: جزاء التقليد المرذول.

# الفرع الأول

## تحريف الواقع الإسلامى وفق النموذج الغربى

إن مظاهر التقليد والتشبه بالأجانب إذا تفشت فى بلد أو مجتمع عربى فإنها تلحق بنا ضررًا بالغًا، إذ تقدم صورة مائعة عن المجتمع الإسلامى بسبب انسلاخه عن أعرافه ودخوله فى أعراف ملل أخرى وهاكم بعض مظاهر الهزيمة:

### أولاً: المناخ الأوروبى فى البيت العربى(١):

أهلاً يا أونكل، وأهلاً يا تنت..

فحين تطأ قدماك البيت العصرى المتطور تستقبلك سيدة البيت أولاً بابتسامة لطيفة تحييك بما لم يحيك به الله، وقد تطبع قبلة على الوجه، وقد تؤثرك بكلمات عن الود من ثقافتها الأجنبية، تحدثك وتؤنسك، والحائط خلفها مشغول بلوحات بها مناظر أوروبية أو خليعة أحيانًا أو لوحات تاريخية منقطعة الصلة بنا، ولا أثر لأثر إسلامى بالصالون الذى يستقبل الضيوف وهو نمط مستورد، والأولاد ينادون أمهاتهم وآباءهم وأقرباءهم بمصطلحات أوروبية إنجليزية وأحيانًا فرنسية، وإذا دعيت لتناول الطعام فلتجلس على المائدة وتستخدم الأشواك والملاعق والسكاكين بقدر معلوم، وإلا أدرجت فى قوائم المخلفين.

والإتيكيت عندهم فن وحضارة فى استقبال الضيوف وآداب الزيارة وتقديم الزهور حتى فى طريقة تقديم الشاى للضيف، وكيفية القيام والقعود واستقبال النساء والرجال والصبيان، فكل صغير وكبير فى التقليد عندهم محمود، ولا ضير من ذلك مادمنا التزمنا بأعرافنا الطيبة التى تواكب ديننا، أما أن تتحول سلوكياتنا فى بلدنا إلى محاكاة وخروج على قواعد الشرع فذلك إيذاء لواقع المسلمين، ولاتزال تطلع على كثير من التقاليد الغربية عندهم، فعندهم تخليط الرجال بالنساء يموج بعضهم فى بعض، سيما فى الحفلات، مع ما يصحب ذلك من تبرج وزينة من أناس يدعون إلى الإسلام، والتحدث بكلمات أجنبية، وتقديم السيدات على الرجال فى أمور غير مستحبة.

(١) اللواء الإسلامى فى ١٢ ربيع الأول ١٤١٢هـ/ ١٠/ ٩/ ١٩٩٢م.

لا يعرف أحدهم شيئًا عن التاريخ الهجرى فهو نوع من الرجعية وتلك بداية التبعية، وهكذا ينشغل أبناؤنا وأهلونا بتقدم مزعوم لا يسمن ولا يغنى ولا يجدى فى مهام اللحاق بركب الحضارة.

وهذه الفتاة اسمها سالى وتلك نانسى أو رولا، والجميع مدعوون الليلة إلى حفلة تنكرية تظل ذكراها على مدى الأيام بل العام، والفتاة ترسل بهدية إلى صديقها فى يوم عيده دمية صغيرة أو كبيرة قد تكون دبًا أو غيره، وهناك الاستعداد بالاحتفال بالكريسماس سواء كانت الترتيبات للحفل داخل البيت أو خارجه وهلم جرا، والفتاة تستقبل صديقها فى حجرتها والفتى كذلك يستقبل صديقته على الأقل فى بيته، وهذا هو العسل المصفى من السلوك الغربى المبهر.

وتلك «لارا» ستذهب هذا المساء مع ابن تنت وجماعة من الفرند ليشاهدوا فيلمًا حصد كل جوائز الأوسكار فى سينما فايف ستارز، ويتحدث عن الخيانة الزوجية أو (الخيابة) الزوجية، أما شقيقها فسيذهب إلى مطار العاصمة ليستقبل صديقة له قادمة من إنجلترا كان يراسلها عبر الإنترنت، عله يتزوجها، بل سيتزوجها ويقوم الاثنان بقضاء وقت ممتع فى أرجاء مصر حيث وصفها القرآن الكريم بأنها «مقام كريم» فى سورتى الدخان والشعراء. تلك البلاد التى اكتوت بنيران الغزو السلوكى مع أنها كعبة العلوم الإسلامية، وهى مجمع القيم والخلق السامى.

أما نانسى فقد ذهبت للكوافير لتستبدل تسريحة الأسد بتسريحة الولد، أما دادى فهو فى شغل شاغل اليوم للبحث عن إكسسوارات مناسبة لكلبه الأنيق لعله يفوز فى الغد فى مسابقة أجمل الكلاب، وسيذهب به هذا المساء إلى الطبيب المعالج نظرًا لظهور ملامح اكتئاب نفسى عليه!!

أما بودى فعنده مكتبة فيها كتب قيمة ليس فيها شيء من تفسير القرآن الكريم أو فقه السنة، وإنما قطوف دانية من ثقافات محرجة أو خارجة، وهى غاصة بالكاسيتات وما تحمله من عفن الثقافة.

أما تانت لوسى فستدعوهم قريبًا عندها فى سهرة عائلية «كوكتيل» للاحتفال بعيد الربيع فى حفل ديكولتيه، وسيفعل الديسكو بهم ما يفعل فى تلك الليلة المرتقبة شبابًا ونساءً ورجالاً، وهنيئًا لشبابنا المبارك بما عوده أبوه.

وهذه الكلبة «لايكا» تغدو وتروح وكأنها صاحبة السيادة والسلطان فى المنزل، وهى فى نعيم مقيم، وهى تلازمهم فى السيارة إذا تجولوا بها ولو أغاظت الفقراء والشرفاء.

وهؤلاء وهؤلاء مدعوون من أسرة حميمة فى الصداقة لارتياد أحد الشواطىء للاستجمام والاستحمام فى عطلة الويك إند، وأخذ حمامات شمس جماعية بملابس البحر على البيتش «الشاطىء»، وإقامة حفل راقص على البلاج مع موسيقى الجاز أو «جلابية بارتى»، وربما يعقب ذلك حفل زفاف للكلاب كما أفادت آخر الأخبار الواردة من اليابان[1].

أما الجد أو الجدة اللذان أسسا البيت فلا تستبعد أن يكون أحدهما أو كلاهما قد زجوا به فى دار المسنين، وبالجملة يشيع فى البيت العربى مناخ أوروبى يظن الواهمون أنه أقصر طريق للتقدم، مع أنه كتقليد الطاووس علاوة على فقدان الهوية. وياليت البيت العربى يقلد الأوروبى فى محاسنه كأن تكون المكتبة جزءًا من أثاث المنزل وفيها كتب قيمة، أو نقلد فى محراب الاقتصاد كعدم التكلف فى المظهر، أو استهلاك الطعام بموازين صحية.

## المطاعم والفنادق انتقلت تبعيتها لأوروبا:

«الشيف» يستقبلك بابتسامة مصطنعة كما يفعل الرجل الأوروبى. ثم يسألك هل تأكل بـ «المنو» أو بـ «الكارت» وهل تأكل «تشيكن» دجاج أم لحم «بيف ـ عجل» أم «دندن» وتعنى ديك رومى. وهكذا قائمة طويلة من المأكولات كلها باللغة الإنجليزية أو الفرنسية، مع أن اللغة العربية تستوعبها جميعًا دون حاجة أو مبرر جدى للتحدث بلغة أجنبية، ولكنها التبعية والشعور بالدونية والتقليد بلا ضرورة مثل المطعم الذى أصبح «رستوران».

وكذلك فى الفنادق: هى قطعة من أوروبا تمامًا، ويخيل إليك أنك فى بلد غربى، والفنادق عندنا تملأ العواصم، وإذا رأيت ثم رأيت فهى تعج بمظاهر التغريب تعلوها وتكسوها حتى فى الاستقبال الذى يخاطبك فى الاتصال التليفونى ابتداء بلغة أجنبية، أما اللسان العربى فشأنه الامتهان والدونية!!.

---

(١) الأهرام فى ٢/٧/٢٠٠٤م.

صالات أعدت للمراقص وموسيقى وحفلات صاخبة تماما على النمط الغربى وكان النمط الغربى أحق بها وأهلها، والعاملات فى الفنادق غاديات رائحات كاسيات عاريات متبرجات بزينة، لا يمت مظهرهن إلى ديانتهن، والطامة الكبرى فى دورات المياه فقد صممت تمامًا على النحو الغربى الذى لا يعرف الطهارة من النجاسة[1] فإذا أردت أن تتطهر فليكن بالورق وإلى هذا الحد يصل النفاق الاجتماعى فتبلى محاسننا.

وهنا يتساءل المفكر أو المثقف أو السائح العربى: ما الذى أصاب المطاعم والفنادق العربية ودهاها؟ نعم نتحدث بلغات أجنبية كثيرة مع وفود السائحين من كل جنس، ولكن هل نقحم اللغات الأجنبية حتى فى المأكولات مع العرب فى بلاد العرب؟ كم هو أدهى وأمر! سيما وأن المطاعم والفنادق لم تنل رسميا شرف الانتساب للجنسية الأوروبية.

## ثانيًا: تدنى القيم:

أعاصير ثقافية ضارية بلا أصول عقائدية من أصلاب الوثنية والإغريقية نتلقفها، شرائح من المهزومين والمأزومين تؤدى بنا إلى تناقض بين أحكام الدين وواقع المسلمين، ونصبح غرباء فى أوطاننا، يشيع صورة أقرب إلى الانحلال الغربى الذى يوهن العزائم ويبلد القلوب فتأتى الضربة فلا تجد فى الجسم مناعة تقاوم، فإذا بنا ذات يوم وقد خسرنا الدين والدنيا معًا وخسرنا أمتنا[2].

تتعطل منظومة الأخلاق التى عرفناها من خلال ما أوتى النبيون من ربهم، ورسولنا الكريم ﷺ فصل لنا مكارم الأخلاق التى ترفرف على مجتمعات المسلمين، وقد ورد عن السيدة عائشة زوج رسول الله ﷺ أن مكارم الأخلاق عشرة قد تكون فى الرجل ولا تكون فى أبيه، وقد تكون فى العبد ولا تكون فى سيده يقسمها الله لمن أحب ورأسهن الحياء[3].

أما الحياء الذى يتصف به كريم الطبع فهو شعور النفس بانقباض فطرى من

---

(١) د. محمد المسير، الفنادق السياحية، اللواء الإسلامى العدد ٤٤.

(٢) مصطفى محمود، مقال بالأهرام ١٩٩٢/٥/٢م.

(٣) وهى: صدق الحديث، مداراة الناس، صلة الرحم، حفظ الأمانة، التذمم للجار، إعطاء السائل، المكافأة بالصنائع، قرى الضيف، الوفاء بالعهد، ورأسهن الحياء.

السيئة والمعصية. ومن كان على هذه الصفة نجده لا ينأى عن القبائح فحسب، بل لا يصر على رؤيتها فى غيره. كما تتولد عنده الحاسة الخلقية والغيرة الإيمانية، وذلك هو أقصر طريق للحفاظ على صحة الأمم النفسية والخلقية والاجتماعية.

أما فى شريعة الأجانب فلا غضاضة أن يأتى الإنسان فعلاً يجرح الحياء ويخزيه، ومن ثم فلا عجب أن ترى رجلاً يقبل زوجته أمام الآخرين ولفترة طويلة وهذه حسناء تتعلق بفتى فى مركبات النقل العام أو الطرقات والمنتديات، وفتى يداعب فتاة فى أماكن حساسة من جسمها على أعين الناس، والقبلات المتبادلة بين الرجال والنساء عرف معروف، وتبادل للزوجات والأزواج فى المراقص مألوف، وصور فاضحة فى الإعلام بكل جراءة، والتماثيل فى الميادين تجسد العورات للجنسين، أمور كلها لا يرى الغربيون فيها من حرج.

والفيلم الأمريكى يقدم لك حسناء فى أوضاع مخلة أو مخجلة مع صديق لها على أريكة وأمام غلامها المراهق أو كريمتها من آخر.

تضعضعت قيمة الأخلاق فى نفوس الكثير من المسلمين مثلما تضعضعت عند كثير من الغربيين، فقد فَصَلوا مجالات حياتهم هناك عن الأخلاق، فصلوا السياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والأسرية بما فى ذلك الجنس نفسه فلم يعد لشىء من ذلك كله علاقة بالأخلاق(١).

إن حرمات الله لها دستور وضوابط ومن يتعدَّ ذلك يلقَ أثاما، والعجيب أن هذا العرف الفاسد قد تخطى حواجز المترفين إلى أبناء الطبقة الكادحة.

وهاكم حممًا تداهم المستقبلين والمودعين لذويهم فى المطارات والموانئ، القبلات على الوجنات ويتلوها عناق حار بين رجال ونساء ليسوا من المحارم، وهذه أسوأ الأعراف الفاسدة التى تسربت إلى مسلمى العصر، ونراها شاخصة سيما فى المناسبات السارة حيث يموج الرجال والنساء بعضهم فى بعض بلا ضابط من الشرع الشريف عشية الاستسهال الدينى.

إنه من المقرر شرعًا بأن التقبيل على خمسة أوجه كما فى الدر المختار على هامش حاشية ابن عابدين «قبلة المودة للولد على الخد، وقبلة الرحمة للوالدين

(١) مجلة المنار، من الوطن الكويتية ١١/١٠/١٩٩٨ العدد ٨١٣٨ الأهرام فى ٢٩/١٢/٢٠٠٢، ٢٥٨٤ لسنة ٣٧.

على الرأس، و قبلة الشفقة لأخيه على الجبهة، وقبلة الشهوة لامرأته على الفم، وقبلة التحية للمؤمنين على اليدين»، وما يجوز من المرأة لزوجها لا يباح لغيره، إلا أن تكون القبلة من الأخ لأخته بغير شهوة، ويكون الأب سويا من الشذوذ الذى قد يشتهى معه ابنته كما يحدث فى أوساط رقاق الدين.

إن انهيار منظومة القيم المتوارثة تحت ركام القيم الوافدة هو أمر تسودُّ له الوجوه؛ لأنها من مجتمعات تختلف عنا بالكلية، فقد تخلت عن المودة إلى المادة ودخلت فى رحاب الإباحة باسم السماحة، ولأن منظومتنا الخلقية فريدة فى قيمتها وتفصيلاتها، فأهم مصدر للسعادة والهناء هو انسجام واقع المرء مع معتقداته، حيث يشعر بارتياح وبهجة كلما تخطى عقبة من العقبات التى تحول بينه وبين قيمه العليا، فالسعادة لا تكون إلا فى جو يسوده الأخلاق، وتعلو فيه إشراقات الروح[1].

ودعاة الاقتباس المبهورون بكل ما أنتجه غربهم يودون لأعرافنا أن تتوارى إلى الظل عشية الاستسهال الدينى المحمول إلينا برًا وجوًا، والذى لا يمت فى سلبياته إلى الطبع المهذب بصلة، وإنما للجذور الصليبية الغربية الممزوجة بالوثنية واللادينية.

وتلكم مباراة بين بعض القنوات الفضائية والعربية يشهدها سكان المعمورة قاصيهم ودانيهم لإمتاع المشاهدين ببرامج الإفلاس الفكرى؛ بعرض المفاتن التى تتناقض مع ما أوتى النبيون من ربهم، حتى أن بعض المجلات أسمته (سباق التشلح) وليس التسلح، فليس هو سباق محمود فى الثقافة الترفيهية، وإنما هو سباق فى عرض الحسناوات والفتيات الجميلات بلباس يجعلهن أشبه بالعراة ناهيك عن عروض الرقص وأجمل المراهقات، ودعواهم هو الانفتاح الفكرى والحرية والتقليد للغرب المتقدم[2].

كم تجر علينا التقاليد الوافدة المرذولة استعمارًا اجتماعيًا عجز عنه الاستعمار العسكرى، فتتخبط الأمة المسلمة مع تبدل القيم التى تبدأ من تعلم الطفل لما يقال بالثقافة الجنسية، فإذا ما حدث استلطاف بين الجنسين فى الرحلات كان هذا معاكسة بريئة وليس عشقًا أو غرامًا، إن لم يجر إلى الزواج القسرى لإسدال الستار على الفحشاء[3].

(١) عبد الله الشبانة، (مرجع سابق).
(٢) محمد عبد الرءوف زياك، مفكر سورى.
(٣) سالم البهنساوى، الأنباء الكويتية ٢٨/٥/٩٨.

وهذه سلوكيات ـ لا مرحبًا بها ـ من تلك الحفلات التى تنقلها إلينا الكاميرا فى المنازل وسط مقاعد المتفرجين، وهو الرقص الخليع والهزيل والذى تنعكس إثارته السلبية على جماهير الشعب(١).

وهذه رسالة بعثت بها الدكتورة/ آمنة نصير الأستاذة بجامعة الأزهر إلى جريدة الأهرام قالت فيها: دار حديث بينى وبين إحدى بناتى ونحن نشاهد إحدى أغنيات الفيديو كليب، وهى سيدة ناضجة ومتزوجة وتعيش فى إحدى الدول الأوروبية، إلا أنها تعجبت مما يدور فى مشاهد الأغنية العربية ومما يقال من كلمات ليس لها أى رابطة بما يحدث ويدور من رقص وإيقاع، كأنهم مجموعة أفاعٍ تتلوى دون معنى أو فن يرتفع بالذوق أو مشاهدة تمتع العين، وتذهب الكلل والملل عن النفس التى يطالب الإنسان بالترويح عنها، ولكن أى ترويح فيما نشاهده ونراه من أمثال هذه الأغنيات التى تخلو من أى تقدم مما عرفناه ونعرفه فى ثقافتنا الفنية وجمالها، من كلمات راقية ترتفع بالذوق وألحان جميلة تنتعش بها النفس، وعبق جميل يملأ الفؤاد ويزيد البهجة فى حياة الأسرة، ثم حدث ولا حرج عن مظهر الفِرَقِ التى تصور أغنيات هذا الفيديو كليب فى بلاد بعيدة، أو قريبة تتحدث عن مصادرها بكل فخر وتقدير واعتزاز!! وكأننا جلبنا للمشاهدين ما يستحق الحمد والشكر والتقدير العظيم.

ملابس هؤلاء المصاحبين لأغنية الفيديو كليب، ونعم أقول ملابس من المجاز، بل إنها فى الحقيقة قطع من قماش متناثرة أحيانًا على جسد الفتيات، تكشف أكثر مما تستر، مع هذا الأداء الأفعوانى، وهذه الموسيقى المصاحبة الصاخبة الخالية من أى إمتاع للأذن.

صدقنى عزيزى القارئ لست من أهل التطرف ولا التزمت ولا الحرمان من التمتع بالحياة، ولكنى أخاف على قيمنا الجميلة التى تحمى بناتنا وشبابنا من هذا الإسفاف والانحدار فى الذوق، وأقول: يا سادة يجب أن ندرك أن لكل شعب ثقافته وتقاليده وعقيدته، وخصوصيته، وأن هذا التقليد الأعمى يفسد الذوق العام والخاص لأولادنا وبناتنا، وأنه مسخ لهويتنا بغية أن يفسدنا فى مظهرنا وثقافتنا وتقاليدنا وميراثنا الفنى والحضارى، ودعونا من فلسفة تقليد (الغراب للطاووس) ولنبقَ ونحرص على ريشنا الجميل قبل أن يقع ولا نستطيع أن نزرع بدلاً منه، فالشرق شرق والغرب غرب.

(١) الأهرام المصرية فى ١١/٨/١٩٩٩ ص٣١.

## ثالثًا: مرض التوحد مع الغرب:

(التناقض البين بين مبادئ ديننا وواقعنا)

كم يتحسر المسلم الغيور على مآل المرأة العصرية عندنا، فقد غلبت عليها شقوتها على يد نخبة من أساتذة التحريض والتلقين ومن ورائهم سماسرة التغريب، يدعمون ترويج الأزياء الغربية وأساليب التعرى، الأدب المكشوف وكيفية إخراج المسلمة من بيتها على غير سنة نبيها، وهو ما أصاب امرأتنا بأوضاع نفسية مقلقة، ويهدد فتاتنا الملتزمة ويغويها بالسفور وما يتلوه من كشف المستور.

فتلكم الكاسيات العاريات، تلبس الثوب الضيق الذى يبدى محاسن جسمها، أسفله ضيق لا تكاد المرأة تمشى معه، ومما يزيد فتنة وضع فتحات جانبية للجاذبية تظهر ساقيها وجزءًا من فخذيها[1]. يا له من تناقض بين مبادئ الدين وواقع كثير من الأخوات المسلمات يرضعن أولادهن بحضور الرجال الأجانب وتكشف ثديها وترضع طفلها دون حياء، وربما كان زوجها جالسًا!!

وهاكم امرأة تتصدر الشاشة الفضائية تتحدث عن الإسلام مع أنها تتنكر لزيه، وإذا سألها سائل على التليفون الساخن: لماذا أنت حاسرة الرأس؟ أجابت بإجابات ماكرة بعيدة عما وجه إليها، وهناك كتب تحمل عنوانًا إسلاميًّا وهى تضرب الإسلام فى مقتل، مؤلفوها أشبه بالمنافقين فى صدر الإسلام، ومع ذلك فهى تنطلى على البسطاء فى الثقافة، ومن أراد أن يشاهد المذيعات الفاتنات وهن يظهرن بملابس أشبه ما تكون بقمصان النوم فعليه بقنوات فضائية عربية متألقة، ألقت وتخلت عن مظاهر الاحتشام مع أن مُلاَّك تلك القنوات يدعون أو ينتسبون إلى الإسلام، وما هو أدهى وأمر أن تطرح موضوعات للنقاش كلها تروج للإباحية كالعادة السرية والعجز الجنسى ليلة الزفاف بدعوى الوعى فى أمور فطرية يتساوى فيها الإنسان والحيوان، والنتيجة هى الويل للأجيال.

وفى المناسبات الاجتماعية الهامة وفى الفنادق الفخمة الضخمة تلبس النساء عندنا أفخر الثياب، وهى تصف وتشف، فهى القصيرة المكشوفة الفاضحة رغم اختلاف الأعمار والأجساد، وهو ما يؤذن بمرض التوحد مع الغرب.

(١) انظر: اللباس والزينة، تأليف: سمير عبد العزيز ص٣٦.

ومن دواعي الأسى والشجن أن تجد نساء مسلمات محجبات وبناتهن في صحبتهن بالملابس الضيقة أو الكاشفة وفي سن حرجة، وكم تلقى عروس اليوم المسلمة من العنت والحرج، حيث تتحول للبحث عن فستان للزفاف ساتر لعورات فلا تجده إلا عاري الأكمام، مع أنه مما عملت أيدينا!!.

ولا غضاضة اليوم أن تجد الصور العارية في كليات جامعية باسم الفنون، يتدرب عليها الطلاب من أجل مستقبل أكثر تألقًا[1].

ومفهوم الحب بين الفتى والفتاة على الطريقة الغربية كارثة أخلاقية تضرب قيمنا عن يمين وشمال، وإذا طوفت بالمنتجعات السياحية في الشتاء والصيف في كثير من الدول الإسلامية يخيل إليك أن المسلمين قد تركوا بلادهم للأجانب، وبالرغم أن عمار هذه الأماكن كلهم أبناء العرب، ويا حسرة على العباد الذين تخلوا عن قوميتهم ويساومون على هويتهم بثمن بخس.

وهاكم امرأة مسلمة في بيتها، تروح وتغدو بملابس النوم، وتجد أخريات يبدين زينتهن بلا حدود أو قيود، أمام المراهقين الذين صاروا يطلعون على عورات النساء.

وإذا طرقت مجتمعات المترفين في منتدياتهم تجد التغريب قد أحاط بهم، سلوكيات تنحو نحو تحقيق الميول الجسدية التي قد تقوده بعد إلى منافذ غير شرعية، كل أولئك نتاج المسلسلات التي تنكب على موضوعات الخيانة الزوجية والمطاردات الجنسية والمراهقات الصبيانية والانتهازات المادية، وكله انعكاس ثقافات سطحية ساذجة[2] هي تحريف أو تجريف للقيم الإسلامية، وحدث عن الأسلوب السافر في التهكم من رجال الدين، بل والملائكة إسرارًا وجهارًا ولا حرج!!

وها هي البنوك المنبثة في بلادنا العربية الإسلامية تكيد للفتيات المرتديات الزيَّ الإسلامي فلا تقبلهن للعمل لديها وهو أمر تسود له الوجوه، وهاكم اقرءوا ما طالعتنا به الصحف والمجلات عن مأساة أول امرأة طيارة تعمل بكفاءة في شركة طيران عربية، ارتدت الزي الإسلامي ففصلوها، بعد أن بلغت عدد ساعات الطيران ١٩٠٠ ساعة إلى مختلف دول العالم، أعرضت عن عروض انهالت عليها للتمثيل والإغراء والإغواء، وهنا أفتى مفتي مصر المسلمة بأنه ليس من حق

(١) مجلة النور د. محمد رأفت عثمان العدد ٦٥٤.

(٢) د. يسري عبد المحسن الأهرام: «السم في العسل» ٢٠٠١/١٢/١٢م.

صاحب العمل فصل المرأة بسبب ارتداء الحجاب الذى يعد فريضة على كل مسلمة؛ لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق[1].

لو أن نساءنا أصبحن نسخة مكررة لنساء الغرب فهل يكون قد أذن مؤذن بأننا أصبحنا على أعتاب عصر جديد، أم هو إعصار فيه نار يضيع معه كل ما جمعناه من مواهب وذاتية وهوية يرقبها عقلاء الغرب فى مخيلاتهم ويحسبونها لنا فى رصيد إيجابياتنا؟

## الاختلاط الضار:

الاختلاط العائلى له إيجابياته وكذلك سلبياته، فمنه الممدوح والمذموم، ولا غضاضة أن تتزاور الأسرة المسلمة فذلك مدعاة للترابط والألفة مادام العرف الإسلامى قائمًا، أما أن تجلس النساء مع الرجال وتكشف المرأة عن ساقيها أو يتضح جزء من صدرها أو ظهرها أو ذراعيها، ثم يسود جو من الهرج والمرج حتى ساعات متأخرة من الليل، وأحاديث ودية وضحكات وقفشات متبادلة، فذلك منتهاه أن يهدد الهناء العائلى لكلا الأسرتين بعد حين. وليس هذا مما يجرى فى صالون البيت المسلم حيث تذكر فيه آيات الله والحكمة، سيما وأن الرجل الشرقى غيور على دينه غيور على زوجته على خلاف الآخرين الذين تضعف عندهم الغيرة الجنسية كإحدى خصائص وخسائس لحم الخنزير الذى يلتهمونه.

لقد أثبتت الدراسات أن حالات الاغتصاب داخل دائرة المعارف الأسرية أكثر شيوعًا من الحالات التى تتعرض فيها المرأة للاغتصاب؛ لأن الذئب يستخدم مركز القوة فى فرض السيطرة على المرأة، ولذلك يحذر علماء الطب النفسى فى المجتمعات التى يكثر فيها الاختلاط من الرجل الذى تشعر المرأة بأنه يعتدى على خصوصياتها أو يحاول التقرب منها والتودد إليها من طرف خفى.

## الرحلات الجامعية وما يكتنفها:

الحياة فى رحاب الجامعة، هل هى لتعلم العلم، أم لتعلم الرقص؟ المراهقون والمراهقات أصبحوا أولياء بعض، يخرجون للتنزه فى رحلات جماعية جامعية، بل أحيانًا فى معسكرات شتوية أو صيفية بدعوى بناء الشخصية والتدريب على

---

(١) مجلة «لها» العدد ٨٠ فى ٢٠/١/١٤٢٣هـ

الاستقلالية، حيث يمرح البنون مع البنات فى رحلات خلوية لا ندرى ماذا يفعل ببعضهم البعض مهما كان الرقيب مترقبًا، إن الإسعاد الحقيقى للفتى والفتاة هو الذى يكون فى حدود المتاح والمباح من شرع الله، وليست السعادة التى قد تجلب ضررًا بالفتاة أو الفتى وتسبب جروحًا لا تلتئم على مر الزمان، ولن ينفعهم يومئذ دعاوى الداعين لثقافة الانحلال.

**والزواج العرفى السارى:** هو النجم الطارق ـ يطرق الأبواب ليؤذن له، وقد ذاع وشاع، سيما بين طلاب وطالبات الجامعات لإضفاء الشرعية الكاذبة على حب المراهقين والمراهقات انصياعًا للنموذج الغربى ـ وسرعان ما تبدأ ـ رحلة الانتقام من الزوج السارق للفتاة بدون موثق وشهود وولى أمر ومن غير شبكة ولا مهر. وأصبحت هناك ورقة مطبوعة يشهد عليها اثنان غير مؤهلين. ويجد الأهل فجأة وبغتة ابنتهم البكر الرشيد زوجة، وتبدأ رحلة البحث عن المتاعب وعن مخرج من هذه الفضيحة الطارئة التى جلبتها لنا السلوكيات الأجنبية الوفية!![1].

## السكرتيرة الحسناء لدى المدير المتأنق:

الجمال والدلع والمواهب الخاصة جدًا هى أهم شروط الفوز بالوظيفة، ولذلك فهى مهنة سيئة السمعة، وهى نتاج ثقافة فاسدة، وأزمة مجتمع تنتشر فيه الأفكار والاتجاهات اللادينية[2].

هى الآن فى مكتب الرئيس تلبس أفخر الثياب وأحلى العطور، تتزين بزينة الكواكب، تقلد الأجنبيات فتختلى بالرئيس مع تبادل المودة والإخاء المزعوم، ناسية كل عرف إسلامى، تخضع بالقول أحيانًا، وتارة تجذب به، وحين يعود المدير إلى منزله فكم هى عبارات الود والحنان الدافقة التى استقرت فى مسامعه، نعم هناك ملتزمون ولكن آخرون دون ذلك.

إن السكرتيرة أنثى بكل ما تحمله الكلمة من معنى، يتعلق بها قلب الرجل وتشتهيها النفس إذا هى أخلت بكرامتها وخضعت بالقول وأثارت الغرائز[3]، فعلى سبيل المثال: فى كندا أدانت محكمة حقوق الإنسان فى كيبيك مدير إحدى المدارس بـ «مونتريال» وحكمت عليه بدفع تعويض كبير لفتاتين مارس مدير

(١) النبأ الكويتية فى ١/٦/٢٠٠٣م. (٢) د. أحمد النكلاوى مجلة الخميس ٨/٤/٢٠٠٤م.
(٣) محمود عمارة، اللواء الإسلامى فى ربيع الثانى ١٤١٣هـ الموافق ١٠/١٠/١٩٩٥م.

المدرسة عليهما تأثيرًا كبيرًا، وكانت إحداهما سكرتيرة له، دأب على مغازلتها بكلمات تفوح منها رائحة التحرش الجنسى، وتفصح عن محاولة الإيقاع بها، مما سبب للضحية قدرًا من الإهانة والهوان والقلق والشعور بالعدوان[1].

**على مسئولية المركز القومى للبحوث الاجتماعية:**

١٠ آلاف حالة زواج عرفى بين السكرتيرات ومديرى الشركات

بعد سنوات طويلة من التعاطى الاجتماعى السرى لظاهرة زواج السكرتيرات من مديريهن، نجحت دراسة علمية جادة أجريت بالمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة فى القفز بالظاهرة المخبوءة إلى هواء العلانية، وأكدت الدراسة وجود ١٠ آلاف حالة زواج عرفى بين السكرتيرات ومديرى المكاتب.

ورفضت الدكتورة/ عزة كريم وصف ظاهرة زواج المدير بالسكرتيرة بالخطر، واعتبرتها عارضًا اجتماعيًا لأزمة العنوسة وطفحًا سطحيًا لخروج المرأة للعمل فى المجتمعات الشرقية، مشيرة إلى أن ظاهرة زواج السكرتيرة والمدير معروفة فى كل المجتمعات وبكل أشكالها ولا تثير قلق المجتمع، لكنها فى المجتمعات الشرقية ونتيجة الغموض والشائعات تتحول إلى وحش مخيف يهدد كيان الأسرة.

وأشارت إلى أن الخطورة الحقيقية تكمن فى طبيعة الزواج السرى الذى لا يقبله المجتمع ولا يعترف به القانون، وهو ما يشكل خطورة على الأوضاع القانونية للمرأة، فضلاً عن أن انتشار ظاهرة الزواج السرى من شأنها أن تثير فى المجتمعات المنغلقة الفضولية حالة من الانحلال والفساد حتى على مستوى التصورات الاجتماعية.

وتشير الدراسة إلى أن أحدًا لا يقدر على التأكيد بأن هذه الزيجات تراعى شروط الزواج فى الشريعة الإسلامية أم لا، ولا يمكن الجزم بقدرتها على الحفاظ على الحقوق الشرعية للفتاة، وذلك لأن كل حالة من حالات الدراسة اتخذت طابعًا خاصًا فى شكل العلاقة، أوجد تفاوتًا فى حماية حقوق الفتاة، وحذرت الدراسة من خطورة الاكتفاء بالإدانة والتحريم دون النظر للظروف الاجتماعية والاقتصادية للظاهرة التى اتهمتها الدراسة بتهديد استقرار رجل متزوج وعائلة مستقرة ومستقبل فتاة مقبلة على الزواج.

(١) الأهرام فى ١٢/٤/١٩٩٢م.

والسكرتيرة شخصية تميل فى كثير من الأحيان إلى السمات الهستيرية أى إنها تكون استعراضية تحب لفت الأنظار بشكلها وملابسها وزينتها وروائح عطرها، وتحب أن تبدو رقيقة ونشيطة ومجاملة وجذابة، والأهم أنها تحصل على تقدير الآخرين نتيجة ما يمنحه لها المدير من سلطات حيث تشكل المدخل الحقيقى له، وكلما كانت قريبة منه كلما كانت أكثر نفوذًا، وهى لذلك تبذل جهودًا كثيرة لغوايته حتى على المستوى اللاشعورى، ويتأثر المدير الذى يجلس معها ساعات يوميًا بغوايتها[1].

إن مناخ العمل فى الإسلام له روح وريحان يعبق بكل مظاهر الفضيلة، ومكان العمل هو جنة نعيم، وحقل إنتاج، والشباب المسلم ألوف مؤلفة تتململ من البطالة ولكنه الاستغراب الذى فعل فعلته.

نعم للسكرتيرة التى تلبس زيًّا إسلاميًّا متأنقًا لا يشير ولا يثير.

## رابعًا: تهميش الدين فى ديار المسلمين:

هل يصبح الدين مجرد حصة أو حصتين تملى على التلاميذ فى ختام اليوم الدراسى وهم يتثاءبون، وعلامات الإجهاد بادية عليهم من عناء اليوم المشحون؟ ناهيك عن أنها دراسة تتم دون معايشة بين التلميذ والأستاذ، ولقد صار الدين فى إعلامنا مجرد فقرة أو برنامج أو عمود يكتب من قبيل تشكيل الوجه وتنويع المواد وسد الذرائع[2].

هل يتضاءل دور الإسلام على غرار الأديان الأرضية التى أفلست فى اجتذاب الشباب فى مواجهة المادية المتأججة التى أشربوا فى قلوبهم، وتصب فى عروقهم وتصيبهم بفقدان التوازن النفسى، بل وصل الأمر إلى ظهور ديانات جديدة تشايعهم فى اتباع أهوائهم، أما دعاة التغريب فقد حصرت صدورهم أن يلقى الدين الإسلامى على مسامع الدارسين، مع أن سلسلة الإسلام لو انقطعت فى أى بلد عربى عامًا أو بعض عام؛ لما وصل حاكم مسئول أو قائد أو قاضٍ فى أى دولة إسلامية إلى منصبه أو منصته.

فكم من قيادى أو حاكم تربع على العرش مدين للمسيرة الإسلامية المتدفقة، تلك المسيرة التى حافظت على السلطة حتى وصلت إليه، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.

(١) انظر: جريدة الدستور المصرية ٢٩/٦/٢٠٠٥. (٢) فهمى هويدى، الأهرام ٢٩/١٠/١٩٨٩م.

ولكن دعاة التنوير والتبوير والإبداع لا يكفون عن الدعوة إلى تجفيف الروافد أو إبعاد الدين عن مواطن كثيرة فى التربية والثقافة، بدعوى مسايرة علوم الحقائق المجردة، مع أن التربية الإسلامية هى التى تحض على التطور العلمى، وكل رواد الفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرهم من نوابغ العلماء المسلمين الذين علموا العالم، وعنهم حملت الحضارة الغربية وواصلت عطاءها[1].

إن الدين فى بلاد المسلمين هو أثمن ما يملكون، كالجواد الأصيل الذى لا يزال إلى اليوم عدة المتسابقين شريف الأصل والآباء.

إن سادتنا وكبراءنا لو شبوا وهم يسمعون كلام الله فى بيوتهم وتنعموا بثقافة دينهم لما صدر قانون فى أى بلد إسلامى يبيح الخنا أو يقنن الزنا، ولما انكمش دور المسلمين أو شاع بينهم الاستهتار الدينى. إن ديننا يقدم للبشرية حياة طيبة خالية من البؤس النفسى أو التردى الخلقى، يهدى إلى الرشد؛ ومن ثم كان تاريخه حافلاً بالقيم والشيم التى تبدد كل أمراض النفس.

إن لكل أمة أعرافها، ففى أفلام اليابانيين تجد التحفظ باديًا، فلا ترى فيها القبلات التى منتهاها غرف النوم، فهل نضع اليابان فى قفص الاتهام بتهمة الرجعية والخضوع لاستبداد الإسلاميين؟!

## التشدق بالمجتمع المدنى الواحد[2]:

وفد إلينا على حين غفلة من أهلها تعبير «المجتمع المدنى» وهو تعبير يروجه العلمانيون بمهارة بديلاً عن تعبير المجتمع الإسلامى، ولا ندرى أبعاده وما يرنو إليه أصحابه فى مجتمع المسلمين،؛ أهم يعنون به التقدم والتحضر؟ وحينئذ فلا تثريب عليهم، فالإسلام دين ذلك، دأبه وشأنه، فهل حماة المجتمع المدنى يكنون للإسلام تقديرًا؟ أم هو ضرب جديد من العلمانية متخفية فى ثياب زاهية بما تعنيه من فصل الدين عن شئون الحياة؟ فحينئذ لا مرحبًا بدعاة هذا المجتمع فى دولة الإسلام، فديننا أربى من هذا المذهب المتسلل خفية.

أين نجد قواعد هذا المجتمع مبسوطة فى كتاب نقرؤه، أم هو زخرف من القول، وابتهاج بتعبير وارد من كتاب جهابذة وسادة عظام؟ عظم الأعلام علمهم ودورهم، ولا تنسوا أن المجتمع المدنى فى الغرب يخطط لنا بذكاء بالغ بإرهاب ودمار

(1) الأهرام فى ٢/٨/١٩٩١م.    (2) اللواء الإسلامى ٢٦/٦/٢٠٠٣م.

واحتقار وحروب متقطعة أو دائمة، مرحبًا بالمجتمع المدنى إذا كان فى عباءة الإسلام، فنحن حينئذ أولى بالمجتمع المدنى منهم، فمجتمعنا محاطٌ بشريعة غراء منزلة من السماء تضمن له السعادة على الدوام، والتى تغنى عن استيراد قوالب جاهزة لا تسمن ولا تغنى، ومن آفات تعبير المجتمع المدنى إفساد الحياة الزوجية بعدم تطبيق الشريعة الإسلامية بدعوى الإصلاح، وهم يلوحون مثلاً بمنح نصف ثروة الزوج للزوجة حين الطلاق. وهى فكرة محمولة إلينا من المجتمع الأمريكى أو الغربى دون فهم دقيق عميق لأصول العلاقة الزوجية فى الإسلام، والذى كفل للمرأة كامل حقوقها بما لم تصل إليه الشرائع الغربية، فالمرأة عند الطلاق تحصل على مؤخر الصداق (المهر) كاملاً إلى جانب حق النفقة وأجر الحضانة وأجر المسكن إن كانت حاضنة، وكذلك نفقة المتعة، والزواج المدنى يؤدى إلى ظلم الزوج وإثراء الزوجة بلا سبب، لأن الرجل هو الذى يسعى إلى الكسب والمعاناة فى كبد. كما أن من موبقاتها تحريض المرأة على طلب الطلاق وهجر الأسرة سيما عند فقراء الثقافة، وضعاف النفوس، متناسين أن المرأة فى الإسلام حظيت بحقوق لم تحظَ بها امرأة الغرب للآن، فلها ذمة مالية مستقلة، وهى حرة فى التصرف فى مالها كيفما شاءت، بخلاف التشريعات الغربية التى يكون فيها المال مشتركًا بينها وبين الرجل ولا يحق لها التصرف فى مالها إلا بموافقة الزوج.

## خامسًا: القوانين الغربية تصدم الأحاسيس الإسلامية:

فلقد انخرطت فى التشريعات العربية الإسلامية ثلة من القوانين الغربية التى تمس الأخلاق والقيم، تصدم الأحاسيس والشعور، فمن يضبط زوجته مع عشيقها فى وضع مشين فيمعن فى قتلهما؛ فجزاؤه أن يكون من المسجونين ملازمًا للعتاة والمجرمين.

والناموس الغربى «تزوج بواحدة وصاحب من شئت منهن» فالزوجة الثانية محرمة ومجرمة، وهذا ما حل ببعض بلادنا المسلمة كتركيا، نعم لتعدد الخليلات والصديقات أما تعدد الزوجات فلا مرحبًا به!! والزوج التركى إذا اتهم بتعدد الزوجات فيدرأ عنه العذاب إذا قرر أن الزوجة الثانية عشيقة له!!، وحينئذ فلا تثريب عليه، ولكن يظل العنت يلاحقه بالنسبة للأولاد من تلك الزوجة، وأحيانًا يلحقونهم بالزوجة الأولى التى لا يعترف القانون إلا بها وليذوقوا وبال أمرهم!!.

لقد عميت عليهم حكمة الحكيم العليم فى تشريع تعدد الزوجات، أقلها التنفيس

الوجدانى المشروع عن الرغبات الجامحة فى إطار من الفضيلة والقيم، فتتعالى المجتمعات عن الموبقات التى هى أذان بخراب الحضارات.

ودول إسلامية ساوت بين الجنسين فى موضوع الطلاق، فصرفت النظر عمن يكون بيده عقدة النكاح، وبعضها فعل كذلك فى الميراث، مع أن تقدير العزيز الحكيم فى توزيع الأنصبة مسطور فى كتب تملأ المكتبات.

كم كان الاقتباس التشريعى فى مواطن كثيرة موجعًا وأليمًا، وطال عليه العهد حتى صار ضيفًا ثقيلاً ولا مرحبًا به عند أصحاب الفطرة السليمة والذوق الرفيع.

نعم سيظل غريبًا على مجتمعات المسلمين تلكم القوانين التى تجعل الزناة فى الغرفات آمنين، والمفروض أن يشهد عذابهم طائفة من المؤمنين، ألوف مؤلفة من الضحايا الأبرياء سيما المراهقات دفعوا الثمن باهظًا بسبب تفاهة العقاب المنقول إلينا من بلاد الحرية الجنسية.

فالتشريعات المقتبسة عن الغرب تفرض عقوبات تافهة على الموبقات، كانتهاك المحارم واغتصاب الإناث، أو تسقط بالكلية حدود الله فى مجالات كالسرقة وشرب الخمر، ومن ثم تشجع عقوبة السرقة على السرقة وتعلم فنونها على يد أكابر مجرميها القابعين وراء القضبان، ناهيك عن انتشار الأمراض بين أصحاب السجن، كما يصبح المجرم عبئًا اقتصاديًا على المجتمع، وكم يود كثير من المحكوم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة أن تقطع أيديهم، ليخرج إلى سعة الحياة بدلاً من غياهب السجون.

## الجريمة الغربية تحل قريبًا من دارنا:

الجريمة الغربية ما سمعنا بها فى آبائنا الأولين ولكنها طرقت أبوابنا، فهاكم أبناء مردة يضربون آباءهم وأمهاتهم أو يسفهون آراءهم، وهناك من يقتلون ذوى القربى طمعًا فى الثروة، وجرائم شائكة تهيم فى أوطاننا، مسلسلات الشر المحمولة إلينا تقص علينا أوجه العنف الثاقب، ومن ثم تكاثر عندنا حملة المطواة والسكين، يجترئون على القوانين.

جرائم التردى الخلقى والانغماس المبكر فى نوادى المنكر، اغتصاب النساء من قبل الشباب، ويبدأ التحقيق ولا ينتهى فلا يعود الشرف إذا ذهب، وتبريرات جريمة الزنا، والإيماء للفتيات المراهقات بالزواج بعيدًا عن عقدة السلطة الأبوية، وهذا حادث ينشر فى الصحف عن فلاحة تخون زوجها بإتيان الفاحشة مع حبيب لها،

وكانت الفلاحة فى الماضى هى مجمع القيم، ومحط الأنظار فى التحلى بالأخلاق والتخلى عن المنكر يتصدر كل أولئك إباء العار، فكانت تفضل الموت على ألا تتهم فى شرفها وعرضها، وهذا ناظر مدرسة معقود عليه الأمل فى إحياء جيل جديد، يضبط متاجرًا فى المخدرات والمحرمات، أو موظفًا فى أوكار الملذات، وتزداد الإحصائيات يومًا بعد يوم، وهذا دأب المجتمع الغربى، الذى نولى وجوهنا شطره، ولا ندرى ما يخبئه الغد للآمنين من ويلات المجرمين مع أن شريعتنا فيها الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى.

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما      والماء فوق ظهورها محمول

إن اللصوص عندنا اليوم تسرق لتحتسى الخمر أو تتغول فى المنكر، لا من أجل لقمة العيش ولكن من أجل أن يسمن الكلاب.

لقد قلدنا أوروبا فى كل شىء، وما دامت نسبة الإجرام هناك صاعدة، فلتكن عندنا بدورها كذلك.

نعم الشرطة بالمرصاد تتعقب اللصوص دون هوادة، ولكن إن تمكنت منهم فهم يحاكمون وفقًا للنموذج الغربى، فينزلون ضيوفًا على الدولة من مال المواطنين، وربما أخلى سبيلهم قبل الأوان فى أحد أعياد النصر - ويومئذ يفرح المبطلون.

## سادسًا: سياحة جنسية فى بلادنا العربية الإسلامية.. من يصدق؟!

ما هو أدهى وأمر... حسناوات من كل جنس أتينَ من بلاد بعيدة ليرتكب أبناؤنا ذنوبًا كثيرة، أو تخرجوا من ديارنا صاروا عضدًا للبغاء، فتحوا مواخير للخنا والزنا، وتحطيم القيم فى ديار الفضيلة، يحظون بمغانم كثيرة فى مقابل إضاعة شبابنا وتعريض حياته لفيروسات جديدة فى عالم الطب، وحينئذ كنتم قومًا بورًا، وأعان على ذلك فتور الإحساس بالمسئولية الدنيوية والأخروية وطغيان السلوك الاستهلاكى على المجتمع، وتشجيع العولمة للاستغلال الجنسى وإدراجه فى عالم السياحة بجعل التطور الإباحى جزءًا من منظومة التطور، ناهيك عن الاستغلال الإعلامى لجسد المرأة وانتشار أكذوبة رائجة فى عالم السياحة وهى أنها مهنة بلا أخلاق، مع أنها قد أحلت لعمارة الأرض وللتعارف بين الشعوب والتمتع فى حدود المباح[1].

(١) انظر: د. أسامة أبو الحسن، مكافحة السياحة الجنسية - دار النهضة ٢٠٠٥.

## سابعًا: دعاة فصل الدين يتطاولون فى البنيان (تجاهل الأغلبية):

إسرائيل تلك الدولة الوليدة تفوقت على العرب - جمهوريات وممالك - باعتصامها بدينها وحماسها الدافق له، بل سميت باسم نبى من الأنبياء، وهم اليوم ظاهرون فى الأرض جاثمون على العرب بإعلاء شأن دينهم. أما عندنا فالمسلمون العلمانيون كما يدعون، هم لغز محير فى الدولة الإسلامية، فهم يأكلون ويتمتعون في نعيمها وملكها ومع ذلك يزدرون دينها، مع أنه ليس هناك من ينتمى إلى أبوين أو يسابق بجوادين!!

لقد تطاولوا فى البنيان فخرقوا وخلقوا ، وصاروا يملكون الأبواق والكاميرات المؤثرة، ويحاولون أن يستدرجوا أبناء الأمة الإسلامية إلى غياهب اللادينية؛ ليقيموا فجوة بين الدين والعلم كما حدث فى أوروبا، وغاب عنهم أن ديننا أول كلمة أنزلت فيه حثت على الثقافة والقراءة والعلم، ويرفع شأن الذين أوتوا العلم درجات، ويحاولون كالسوس أن ينخروا فى العظام، وهم أشبه بجرذان أو فئران سد مأرب التى ظلت عليه عاكفة تعبث فيه حتى انهار فى النهاية، لأن كل ما يشتهون هو أن يأتوا بنيانًا من القواعد وأن يخر علينا السقف من فوقنا. فحالهم كما يقول القرآن الكريم: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

وهذا الاتجاه[١] - كما يقول د. كمال إمام - يصبح الحوار معه لونًا من التراشق بالكلمات، لأنه يبدأ من موقف وليس من استيعاب، هذه الفئة من المسلمين! المغتربين عن أمتهم، وعن تراثهم- فخورة بنفسها إلى حد الغرور الذى يعمى صاحبه عن رؤية الحقيقة، إنهم ينظرون بازدراء واستهانة إلى تراثنا وأئمتنا، وفى الوقت نفسه ينظرون بكل احترام بل بكل تقديس - إلى الغرب وثقافته، دأبهم كما يقول القرآن الكريم: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ۝ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج: ٨، ٩]. هذا الصنف المتعالى ينظر إلى نفسه على أنه أعلم من الطبرى بالتفسير، ومن البخارى بالحديث، ومن أبى حنيفة بالفقه، ومن الشافعى بالأصول، فهو إمام الأئمة، وفحل الفحول، وعلامة المعقول والمنقول، وهويتهم هؤلاء جميعًا: أنهم تركوا القرآن، واخترعوا شريعة

(١) د. يوسف القرضاوى، الأهرام العربى العدد ٤٥٦.

من عند أنفسهم، ليلزموا بها الأمة، وهى شريعة مبتوتة الصلة بالقرآن، وإن الأمة فى خير قرونها منذ عصر الصحابة – بل لعلها منذ عصر الرسول نفسه – ضلت الطريق، وجهلت حقيقة الدين، واجتمعت على الضلالة، خلال تلك العصور كلها، ولم تجد من يعلمها من جهالة، ويهديها من ضلالة، حتى جاء هو ورفقاؤه ليتداركوا ما قد فات ويحيوا ما قد مات، ويذكروا بما قد نسى من قديم الزمان!

هذه الفئة المزهوة بنفسها وبالغرب ملهمها، لا تعترف بالسنة مصدرًا للتشريع، وينظرون إلى النبى محمد نظرة خاصة، لا يفصحون عنها تمامًا ويصراحة، بل تنم عنها بعض تعبيراتهم، فليس هو نبيًّا معصومًا يوحى إليه من ربه، كما يعتقد ذلك جميع المسلمين: إنما هو شخصية عربية تجتهد فى إطار زمانها ومكانها، وحال بيئتها، فنصيب أو تخطئ. فهذه الجماعة الفرنسية أو المتفرنسة لا تعطل النصوص – وتعطل معها الفقه وأصوله – باسم المقاصد، بل تحارب فكرة المقاصد نفسها، تبعًا لفكرتها فى تعطيل الشريعة ذاتها، التى ترى أن المسلمين اخترعوها من عند أنفسهم، مناقضة للقرآن!!(1).

إن تسميتهم الحقيقية (اللادينيون)، فكيف يسمون أنفسهم بالعلمانيين وديننا الذى يطعنون فيه دين العلم؟!

فأقسى ما يؤلم المسلم فى بلاده أن مثقفى الدولة الإسلامية ومن ورائهم بعض حكامها يحاولون تنحية دينها عن أوضاع مجتمعها، واستبداله بحلول من صنع عقول بشرية: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه :٢٤] فلم يقل أحد: إن الدين ورجال الدين قد أساءوا، فهم جند الله يعملون فى إطار ذلك الدين القيم، بلا كهنوت أو غموض، ومع ذلك يتسرب إلينا ذلك العفن الوارد من الغرب على يد مورديه.

نعم لقد كان لنشأة اللادينية فى أوروبا مبررها؛ لأن الكنيسة أضحت تحارب العلم والعلماء فكانت النتيجة أن فصلوا الدين عن شئون الدنيا، أما عندنا فالأمر يختلف تمامًا لأن ديننا يرفع شأن العلم والعلماء، وأول الميادين التى داهمها التغريب واستحوذ عليها باسم العلمانية كما أسلفنا مجالات الفكر والثقافة والتعليم، فأضحى

(١) د. يوسف القرضاوى، الأهرام العربى العدد ٤٥٦.

ذلك الميدان أسيرًا للثقافة الغربية بل وعلى يد نخبة من أبنائنا الذين أشربوا فى قلوبهم حب الغرب، وأصبح كل همهم هو النقل والاقتباس متناسين اختلافات البيئات وتميز الإسلام بشريعة خاصة ذات ينابيع عذبة فياضة، فالتبعية الثقافية للغرب مبثوثة فى كثير من المناهج الدراسية التى تدرس فى العالم الإسلامى، ويتكون من مجموعها مركب فكرى وعقائدى يخالف روح الإسلام، كم أثر على السلوك، بل أثرى السلوك المخالف، دون أن تكون الدراسة متبوعة بالنظرة الإسلامية الرشيدة التى تميز بين الطيب والخبيث[1] وهؤلاء العلمانيون يحاولون جاهدين الربط بين اللادينية والديمقراطية ودعواهم تلك داحضة، وليس ذلك سوى أكذوبة كبرى لعلها تنطلى على البسطاء، وهى استخدام الديمقراطية لفرض دكتاتورية الأقلية، كما حدث فى تركيا المسلمة.

والغريب والعجيب أنه فى الوقت الذى يقول فيه العلمانيون بزعمهم: ﴿لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]، تقول الجن فى سورة الجن: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: ١، ٢]، ولكن الإيمان بالغيبيات عندكم حجر محجور؛ مع أنكم تؤمنون بالكهرباء ولم تروا مادة الكهرباء، وتؤمنون بالروح ولم تروا الروح.

ومن المبادئ الأساسية فى نظم الحكم فى العالم كله أن الديمقراطية تعنى حكم الأغلبية، أغلبية السكان فى الدولة، أما الأقلية فيبقى لها حق المعارضة بالطرق القانونية المقررة لها.

فإذا كان العلمانيون (اللادينيون) يبغون الديمقراطية حقًا فى مصر، فلماذا عموا وصموا ثم عموا وصموا كثير منهم حيث يطالب بعضهم بأن يحذف من نصوص دستورها الإسلام دين الدولة، بدعوى أن من سكانها ثمانية ملايين من غير المسلمين تقريبًا، وتناسوا أن الديمقراطية تقوم على حكم الأغلبية فهذا هو ركنها الركين، ومصر يبلغ عدد المسلمين ما يزيد على ستين مليون؟! فى بلد كفرنسا مثلا يحيا فيها ما يقرب من خمسة مليون مسلم فهل جوزوا تطبيق الشريعة الإسلامية هناك على الفرنسيين بدعوى أنه يقطنها خمسة ملايين مسلم، وعدد الفرنسيين تقريبا مثل عدد سكان مصر؟! لم يفعلوا ولن يفعلوا لأن الحكم دائمًا للأغلبية العددية كما أسلفنا، ويبقى للأقلية حق المعارضة بطرقها المعروفة.

(١) د. أكرم العمرى، مهام أساسية أمام الجامعات الإسلامية، مجلة الأمة ١٤٠٣هـ.

لماذا أيها العلمانيون منهاجكم ثنائية المعيار؟! إن فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه.

■■ إن الذين سموا أنفسهم بـ (العلمانيين) هم فى حقيقة الأمر أعداء الدين، كل منهم كان لآياتنا عنيدًا، واسمهم الحقيقى (اللادينيون) لا يقدمون لأبناء الدولة المسلمة إلا طعاما ذا غصة، وهم أخطر على الإسلام والمسلمين من أعدائه الحقيقيين، فهم يخفون فى أنفسهم مالا يبدون، ولا يقدمون سمومهم إلا ضد الإسلام وحده دون غيره من الأديان.

وتقرأ عنهم تعبير الفقه التقدمى بزعمهم وهو ضرب من فكر هؤلاء الهادفين إلى فصل الدين عن الدولة، وهؤلاء لم يقرأ أحد منهم كتابًا فى الفقه أو الحديث، فكيف يتحدثون فى شرعنا ولا يفقهونه؟! ويا للعجب إذا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً سيما فى الدين! ولماذا تقليد الغرب فى قضايا يشكو هو منها أو يتجرعها ولا يكاد يسيغها؟! إن من أغرب الأمور أن يتكلم الإنسان فى غير فنه، ولكن هؤلاء استباحوا لأنفسهم أن يخوضوا فى ديننا بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير.

## ثامنًا: لغة البيان تنتقص من أطرافها وتشكو جحود أهلها:

### (حـــروب الهويـــة)

■■ «سوبر ماركت» ومعناها (محل بقالة) «كتشن ماشين» ومعناها (ماكينة مطبخ) «روستورانت» ومعناها (مطعم) «الفلترة» ومعناها (التصفية) «التشييك» ومعناها (التفتيش والمراجعة) «التفنيش» ومعناها (إنهاء الخدمة)، «الفنشنج» ومعناها (التشطيب)، «تست» ومعناها (اختبار)، ولا تنسَ أن هذا «أونكل» وهذه «تانت»، نصر سنتر، مول وهلم جرا[1].

وفى أعياد الميلاد التى تقام للصغار لا بل حتى للكبار المتصابين يقال لهم: «هابى بيرث تو يو» ومعناها: عيد سعيد، وهاكم بعض المذيعين يستخدمون مصطلحات أجنبية ناهيك عن الأخطاء النحوية التى تتألم لها لغتنا الجميلة، وأصحاب الوجاهة وغير الوجاهة يطبعون كروتهم بالإنجليزية وحدها وكأنهم يودعون العربية التى نشأوا عليها وترعرعوا فى ظلها.

(١) فهمى هويدى، الأهرام ٢١/٩/١٩٩٩م.

لغتنا الجميلة بين اللغات هى حسناء الحسناوات، فهل تتحول فى ديارها إلى حسناء عند أعمى أو إلى ضرة للغات الأجنبية؟! إنها اللغة التى يكتب بها أو يتكلم بها ٢٥٠ مليون عربى تقريبًا أو يزيدون، ويهفو إليها مئات الملايين من المسلمين الذين يتقنون جزءًا منها لأداء نسكهم، وهى ليست حاضرًا فحسب، بل هى تراث ضخم فخم فى العلوم والفنون، وكانت لغة عالمية فى الماضى بالمعنى الدقيق.

فى فرنسا هل تعثر على فرنسى يتكلم الإنجليزية مهما أجادها، وكذلك دأب الإنجليز مع الفرنسيين؟! وهذا ما دعا شاعر النيل عندنا أن يأسى لما تتعرض له لغتنا من جحود من أهلها وانتقاص من أطرافها فقال:

أيهجرنى قومى عفا الله عنهمو ... إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفاعى فى سبيل فرات
فجاء كثوب ضم سبعين رقعة ... مشكَّلة الألوان مختلفات

ندوات ومؤتمرات حول أزمة لغتنا وتأثير ذلك على الشخصية والهوية والقومية[1].

إن دراسة الطب عندنا صارت بالإنجليزية، هل يعكس هذا عجزًا فى لغتنا، أم انهزامًا ثقافيًا وجحودًا من جانب علماء الطب مع كونهم مهرة فى فنهم وفهمهم؟ وما كان ينبغى لهم بدورهم أن يفترسهم الأسر الثقافى، فالقانون من قبل كان يدرس فى بلادنا بالفرنسية ولكن أساتذته كان سعيهم مشكورًا حتى صارت دراسته بالعربية، وبالعربية الفصحى؛ لأن المصطلح الأجنبى فى علم من علوم يظل من معوقات الفهم عند الطلاب، ومتابعة الأستاذ على الوجه المأمول.

من أروع ما نشرته جريدة الأهرام مقال للأستاذ فريد تادرس بتاريخ ١٩٩٨/٩/٦ بعنوان: مدارس لغات تجريبية، أم مدارس ضرب للهوية؟ وضرب لنا مثلاً بحفيده التلميذ بالصف الثالث الابتدائى بإحدى مدارس اللغات، حين ذهبا معًا لشراء بعض الأدوات المدرسية من إحدى المكتبات، وبعد أن وقع اختياره على ما وقع، طلب البائع منه ـ مداعبًا له ـ أن يجمع ثمنها بعد أن سجلها له على ورقة صغيرة، فرد عليه الصبى بأن يعيد كتابتها له باللغة الإنجليزية حتى يمكنه جمعها، لعدم استطاعته أن يجمعها بالعربية، التى اختارها رب العباد كما يقول صاحب المقال ـ لغة القرآن الكريم تشريفًا للعرب وتكليفًا وتعظيمًا!!.

(١) الأهرام فى ٢٠٠٠/١١/١٧م، مقال: غربة اللغة العربية.

هذا ما سجله المثقف العربى المصرى المذكور مع أنه من غير المسلمين، فالشكر الموفور له.

**خريجو كليات الحقوق الفرنسية والإنجليزية وعجز مشرعى المستقبل فى الصياغة:**

ما موقف خريجى كليات الحقوق العربية قسم اللغة الفرنسية (أو الإنجليزية) حين يعهد إليهم بصياغة تشريعات قانونية أو قرارات إدارية تدعم النهضة فى بلادهم العربية. هل سيجيدون مهنتهم أم فيها يترددون، فهم لا يفقهون المصطلحات القانونية باللغة العربية، أم أنهم سيتبعون التشريعات القانونية العربية بترجمة أجنبية؟ وما شأن اللغات الأجنبية بالمصطلحات الفقهية الشرعية؟ ياحسرة على الواقع المريض، وأجيال تمخضت عنها حروب الهوية.

والمصاعد الكهربائية فى المنازل والمكاتب مرقمة باللغة الأجنبية، مع أنها مصنوعة بأيدى عرب فى بلاد العرب، ومن الطريف أنه زارنى ذات مرة شيخ من قراء القرآن الكريم وعندما استقبلته وجدته متعبًا ومنهكًا من طلوع السلم فسألته لماذا لم تصعد فى المصعد؟ قال: دخلته؛ فوجدت الأرقام فيه والبيانات الأخرى باللغة الأجنبية فآثرت السلامة. وفى المطاعم العربية اليوم ـ كما أسلفنا ـ إذا دخل العميل سألوه: هل تريد الطعام وفقًا لنظام الكارت أو المينى؟ وعندهم «تشيكن» ومعناها: دجاج صغير وستيك وروستو، وفيليه، مع أن كل هذه المصطلحات لها بالعربية مقابل أخاذ، ولكن المحاكاة بدورها مرض أخاذ. وبالأمس كما أسلفنا حاولت ثلة من المتفرنجين أن يستبدلوا الحروف اللاتينية بالحروف العربية كما فعل أتاتورك فى تركيا بدعوى اللحاق بركب النهضة فى الغرب، وماذا جنت تركيا بعد ذلك من تغيير حروفها؟ هل دخلت مع الداخلين فى رحاب الخالدين أم خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الخلف؟

وبالنسبة للمسلمين العجم فقد حدث اغتيال للحرف العربى الذى تكتب به لغتهم وتضييق الخناق عليه ومحاصرته لثَنْى المسلمين هناك عن استعمال الحرف العربى، وتحويل كتابتهم إلى الحرف اللاتينى إمعانًا فى عزلة ثقافية على العربية، كما حدث فى تركيا كما أسلفنا، وماليزيا وفى غرب إفريقيا عند مجىء الأوروبيين إليها حيث المكاتبات بينهم وبين السلاطين المحليين تتم باللغة

العربية، وبعد أن استتب الأمر لهم فرضوا لغاتهم ـ خاصة الفرنسية ـ على المنطقة، ثم استشرت الحملة لنقص استخدام الحرف العربى فى اللغات المحلية.

أول طريق لفناء الأمة هو فساد لسانها والتهوين من لغتها، والغرب فى جملته قد اعتز بلغته على تعددها فسادوا وعزوا، فهل تتحول لغتنا إلى حسناء عند أعمى؟

كثيرة هى الخدع الثقافية التى استسلمنا لها ثم انتبهنا إلى مخاطرها، لكن الخدعة الكبرى التى تؤرقنا تلك التى توهمنا بأهمية التدريس فى جامعاتنا باللغة الإنجليزية بالكلية حتى يكتمل مسلسل التشوه الثقافى لأنبغ نخبنا[١].

## تاسعًا: العربى قد يضطر لحمل القاموس الأجنبى:

فى بلاد الخليج العربى على رحابتها واتساع رقعتها لا تنفعك اللغة العربية فى عملية الاتصال لكثرة الوافدين إليها والذين يتحدثون باللغة الأجنبية (الإنجليزى) فنثروها ونشروها، ولم يكلفوا أنفسهم عناء تعلم العربية فى دارها، وفى بعض دول الخليج لافتات على الطرق العامة باللغة الأجنبية وحدها، كخفف السرعة مثلاً، وما على البدوى هناك إلا تعلم تلك اللغة الوافدة شاء أم أبى، وكذلك يحدث فى المحلات التجارية.

نعم وقع المحظور، فالمفردات الأجنبية تتسلل إلى اللسان العربى مع أن الحاجة لا تبدو ماسة إليها، فهى كلمات عادية ولكنه الشعور بالدونية والانبهار بالغرب.

أخشى ما نخشاه أن يجيء اليوم الذى يحمل المثقف العربى معه كتابًا يقرؤه وهو القاموس الأجنبى، فقائمة الطعام اليوم فى كل فندق ومطعم باللغة الأجنبية، وهذا أخطر مائة مرة من قَصَّة الشعر الأمريكية التى يتزين بها الشباب المفتون، فقصة الشعر قد تتغير من عام إلى عام وقد تزول ولا تعود، لكن أن تخترق اللغة الأجنبية الجزيرة العربية مثلاً فتنحى جانبًا من لغتنا الركن الأعظم فى هويتنا فهنا مكمن الخطورة، ولا ينبغى حينئذ أن نشعر بالرعب أو الخوف من قصة الشعر ونتغاضى ببرود لافت عن التغييب الثقافى الذى يوشك أن يطمس هوية تلك الأمة المجيدة[٢].

(١) فهمى هويدى، الأهرام فى ١٤/٩/١٩٩٩م.
(٢) مجلة كل الأسرة، ٩/٤/٢٠٠٣م.

### «مختار الصحاح» لكل سائق[1]:

لافتات المرور التى تكتب فى الشوارع لتهدى السائقين الحيارى، تحمل عبارات أجنبية توقع الحيرة بين السائقين، أى طريق يسلكونه وأى توجيه يتبعونه؟ ومن ذلك «المتجه إلى شارع.. يتم الدوران من اليوترن..» وتابع ذلك «تعليق من تلك الجريدة المتألقة بأن كل سائق لابد أن يحمل معه القاموس العربى المحيط أو «مختار الصحاح» نظرًا لأن اللافتات المرورية جمعت بين اللغتين العربية والإنجليزية، وتحولت إلى طلاسم أمام الغالبية العظمى من السائقين، سيما أنصاف المتعلمين.

## عاشرًا: من تحرير المرأة إلى تحريض المرأة:

### (من عون إلى فرعون)

كانت هى البداية والنهاية فى اختراق المجتمع الإسلامى، والشغل الشاغل للمبدعين وأهل التنوير، يضعون السم فى أكواب العسل، لأن تحرر المرأة يفسد حتى المرأة الصالحة كما يقول مثل روسى، ولكنهم جعلوه موضوع العصر وشعارًا تتلقفه المرأة ليعشش فى ذهنها تحريرها من كل قيد.

وإن تعجب فعجب أن ينادى الغرب بحرية المرأة، ثم يلزمها بأن تتجرد من اسم عائلتها وتنسب لزوجها، فأى تحرير وأى عبودية تلك؟!

والآن تستدرج المرأة من التحرير إلى التحريض، تحريضها على نفسها وزوجها وأولادها، وإذا كان القرآن قد سمى المرأة صاحبة، فهل يجوز أن تنقلب الصاحبة على صاحبها؟ هل يجتمع الهناء العائلى مع وخز الإبر من جانبها؟ فتلك هى الفوضى السلوكية التى ألجأت الكثير من نساء الغرب إلى العيش مع الكلاب، والانفصال الجسمانى أو التفكك الأسرى فبم إذن تبشرون؟

العلاقة الزوجية هى علاقة حميمة، ومن أصدق من الله قيلا: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، ومع ذلك هناك صيحات تتعالى وندوات تتوالى لتهبَّ المرأة إلى إثبات ذاتها حتى تكون بمفازة من شباك زوجها ذلك الخصيم المبين.. تلك دعواهم.

وكم تعانى المرأة غداة ينفك عنها زوجها، فحينئذ توجه سهامها إلى نحرها.

(١) الأهرام القاهرية، يوم ٢٩ يوليو، و٦ أغسطس ٢٠٠٣م.

ولا ضير فى اقتباس تجارب الآخرين مادامت لا تصطدم بالدين، أما أن تكون وافدة من بلاد هجرت دينها فهنا مكمن الخطر؛ لأنها حلول أجنبية لمشاكل وطنية، فإذا تفاقم الوضع ألحقنا بالإسلام التهم وهو قد نحى جانبًا ومبكرًا عن الساحة، وهاكم صورًا مما أسفر عنه تحريض المرأة[1].

## من دعاوى المرأة الجديدة:

نالت المرأة فى الإسلام أعلى مراتب الكرامة، فهى الأم الرءوم صاحبة المقام الأسمى، والزوجة المصونة المدللة لدى زوجها والمليكة فى بيتها، وهى الابنة الكريمة، وهى الأخت التى ترغد فى كنف أبويها أو إخوتها.

أما المرأة الغربية فنحن مدعوون للإشفاق عليها بعدما جوزوا لها مهنة البغاء فتعرض نفسها للزناة بدراهم معدودة، ومع ذلك فالإعلام الغربى يجعل منها نموذجًا للرقى وعلامة على الحرية والكرامة، فى مقابل نموذج المرأة المسلمة المظلومة أو المقهورة كما يدعى المبطلون، مع أن الإسلام براء من أى ظلم قد يصيبها، ومن هنا تنطلق الدعاوى الجديدة.

وبادئ ذى بدء كل قضايا المرأة عندنا قضايا بلا متقاضين، وأزمات بلا مأزومين، دخلت أجواءنا على حين غفلة من أهلها، وأصبح يروج لها على يد مدعى الإبداع.

### ( أ ) تجاهل الفروق الفردية والقوامة المفترى عليها:

شعور فطرى لدى المرأة بأن هناك من هو مسئول عنها، ولذلك كانت شريعة العزيز الحكيم لتحقق لها هذا الأمل، فهناك فروق فردية بين الرجل والمرأة، فليس الذكر كالأنثى، من قال: إن اللبؤة تريد أن تتحول إلى أسد؟ فأحلامها فى إسعاد أسرتها، وكل ما تريده من زوجها الكلمة الطيبة وأن تكون فى قلبه وعقله[2]، ومع ذلك يصر أدعياء التنوير على قسمة القوامة بين الزوجين ولو حدث خلل فى بنيان المجتمعات، ناسين أن القوامة للرجل منذ أقدم العصور، بما فضل الله به بعضهم على بعض، فالرجل مكلف بالإنفاق عليها أما المرأة فهى تكمله بما يلائم فطرتها، فمهمتها الإعداد والتربية دون الإنفاق على نفسها أو غيرها، وهذا لا يعنى أنها تابعة له وإن كانت فالحكمة تقول: كونى له أمة يكن لك عبدًا[3].

---

(١) أنيس منصور، الأهرام فى ٢/٦/٢٠٠٠م، ومن الطريف هنا ما يقال: إن الرجل السعيد هو الذى انشغلت زوجته بتحرير المرأة.

(٢) ملحق الإيمان، الأنباء الكويتية فى ٣٠/٤/٢٠٠٠م.

(٣) إسماعيل الفخرانى، الأهرام فى ١١/٢/٢٠٠٢م. (٣) مجلة زهرة الخليج فى ١٢/٤/٢٠٠٣م.

إن القوامة فى مفهومها السائغ فى الشريعة الإسلامية ليست تصريحًا للزوج باستعلاء أو تسلط، ولا ينبغى الخلط بين ما يأتيه بعض المسلمين من تناقض بين مبادئ الإسلام وواقع المسلمين.

والقوامة ليست عقبة أو ثغرة فى قطار الحياة الزوجية، ولكن العقبة هى فى زعامة المرأة والرجل معًا، أو فى رجل يتاجر بالقوامة ويختال بها، والدين من ذلك براء، ولو كانت العصمة فى يد المرأة وآلت عقدة النكاح إليها؛ لما وجدت امرأة متزوجة على وجه الأرض، ومع ذلك تزداد حالات العصمة بيد المرأة يومًا بعد يوم، بحيث يصير الزوج أشبه بسوار فى معصمها، ويتحول الأزواج إلى أشباه الرجال، وتتحول الزوجة إلى ند للزوج متكبرة متجبرة، إن شاءت نقضت غزلها بجهالة ثم تسر الندامة فى عمرها الباقى.

أما القول بأن المرأة قد أصبحت شريكة مع الرجل فى الإنفاق على البيت فيكون لها الشركة فى القوامة، فهو مردود؛ لأن الرياسة لا تكون إلا لربان واحد فى السفينة، ومهما جاهدت المرأة العصرية جهادًا كبيرًا، وصدرت لها قرارات ومراسيم، فلاتزال المرأة عندنا تحب الرجل الذى يحكم سيطرته عليها، ومهما ادعت التحرر والاستقلالية فإن «سى السيد» لايزال يأسرها لأنه الوحيد القادر على إرضاء أنوثتها، وتوفير الأمن والأمان لها، وقل صدق الله: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ..﴾ [النساء : ٣٤]، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم : ٢١].

**(ب) التسوية فى الميراث:**

مساواة الرجل بالأنثى فى الميراث، عناد لقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، والداعون إلى ذلك لم يستوعبوا تنزيل العزيز الحكيم، فمفاضلة الذكر على الأنثى عندما يكون الذكر مسئولاً عن الأنثى التى أخذ ضعفها، فهو يأخذ الضعف لينفقه عليها فيما بعد.

أما الميراث إذا كان من جهة الأم (ميراث الإخوة لأم) فإنه يتساوى فيه الذكر والأنثى، ومن ناحية أخرى فإن الأنثى لا تكون مغبونة أبدًا، فالإسلام أعفاها من الإنفاق على أقربائها إذا لم تكن ذات مال بخلاف الرجل، فهو مكلف بالإنفاق على من تجب عليه نفقته من الأولاد، مادام قادرًا على العمل فى حين أنها غير مكلفة بالإنفاق على نفسها ولو من مالها بل ولو كانت ثرية، فنفقتها على زوجها ولو كان معسرًا.

إن نظام المواريث فى الإسلام أعدل نظام عرفه العالم قديمه وحديثه، ولكن ماذا تقول لفقرائنا فى الثقافة الإسلامية؟

**(جـ) إلغاء العدة واستبدالها بالكشف الطبى:**

والعدة فى الفقه الإسلامى ثلاثة قروء ليثبت براءة الرحم من الحمل، وقد ثبت طبيًّا وعلميًّا أن الكشف الطبى لا يظهر ذلك أحيانًا إلا عند نهاية فترة العدة، التى حددها خالق الإنسان بثلاثة قروء؛ لأن المرأة قد تحيض وتكون حاملاً ولا يظهر حملها إلا عند نهاية العدة المقررة شرعًا، وحتى اللائى يئسن من المحيض فقد تحمل مثلما حملت السيدة سارة بسيدنا إسحاق عليه السلام، ولذا جعل الله عدتهن ثلاثة أشهر، وهو أعلم بما سيصل إليه العلم فى أى عصر يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق: ١]، ناهيك عن أن هناك أمورًا نفسية ينبغى إعمالها وهو أنه ليس من المقبول والمعقول نفسيًّا أن تطلق المرأة أو يتوفى زوجها ثم تتزوج فى اليوم التالى؛ لأن من مشروعية العدة إعطاء الزوج فرصة الرجوع إلى مطلقته فى الزواج الرجعى بل دون كلفة، وفى حالة وفاة الزوج تعتبر العدة مواساة لأهل الزوج ووفاء للزوج.

ولكن المؤتمر النسائى الذى عقد أخيرًا فى الجزائر تحت رعاية المجلس الأعلى للإغاثة، قد أصدر توصياته الميمونة والتى تنص على أن للمطلقة أو المتوفى عنها زوجها الزواج فورًا دون انتظار انقضاء العدة، إذا رغبت فى ذلك وأثبتت التقارير الطبية أنها ليست حاملاً، تلك دعواهم.

وأخيرًا يسأل سائل بعد عرضنا لقضايا المرأة: هل أنت عدو للمرأة؟ والجواب: أنه لا يوجد عدو للمرأة وإنما عدوة.

## حادى عشر: شرور مستطيرة:

### الباليه الروسى ينقض غزل العرب:

المسلمون لهم أعراف وقيم نابعة من دينهم ومجتمعهم، فهل تماس العورات بين فتى وفتاة باسم الإبداع والذى قدمه الروس للعالم أجمع كهدية منه، هل نحن أهله؟! هل يليق بأبناء خير أمة أن يدخلوا فى سرادق الفن الذى يهزأ بالقيم؟!

كم من فتى مفتون أو فتاة بذلك الفن الطارق الذى غاب عنا منذ آلاف السنين فاكتشفه الروس وأشياعهم، رقص من نوع حركات وتمايلات إلى احتضان وتبادل ومساس للعورات جهارًا بين فتى وفتاة لتشهده الفتاة العربية والفتى العربى ويصفقوا له بحرارة بالغة.

هل هذا الفن المقتحم جزء من المشروع الحضارى الذى تنتظره شعوبنا المتعطشة إلى النهضة الحقة بعد غياب طويل عن ساحة الصراع الحضارى؟! كم من بلد إسلامى تروج لهذا الفن الطارق الذى تمخضت عنه بلاد الصقيع.

إن الباليه الروسى الذى كسب الشهرة ونال درجة الأستاذية يعكس صورة المجتمع الذى شب فيه وترعرع، والذى أدى إلى الإلحاد وطرد الإيمان والفضائل، هل يرضى المسيح عيسى ابن مريم وأتباعه هذا التطرف اللادينى المدعوم باسم الفن؟! وهل يشجع الرهبان فى صوامعهم تلك التيارات الهادمة للأعراف الدينية الماسة بالعورات؟ أم هو فن مقتحم لا مرحبًا به عندهم بدورهم؟

لم يتغافل المسئولون فى البلاد الإسلامية وهم من سدنة الثقافة عن ضرورات الواقع الإسلامى والذين ترعرعوا فى ظلاله، فنعموا بالسكينة والرقى والتوازن النفسى، فهل الباليه هو الدواء الشافى لمشكلاتها وأمراضها سيما بلاد الاقتصاد الفقير التى تتلقى الإعانات من كل محسن؟! هل يتضمن ذلك الرقص وثبة فى الصراع الحضارى الحقيقى الدائرة رحاه دون توقف؟!

إن الدولة التى ابتدعت هذا الفن قد أفل نجمها، وهذا جزاؤها.

## علاقات الجوار تضعف أو تنهار:

فى الغرب كلٌّ تولى بركنه بعدما غلبت المادة على المودة؛ لأن الديمقراطية التى يتشدقون بها لا شأن لها بقواعد الأخلاق أو حسن الجوار، وأجهد رجال الدين أنفسهم هناك بلا طائل، ولم يبقَ لهم من عملاء إلا من أصابه الكبر، وذاع تقطيع الأرحام فبلغت المودة الشيخوخة وأحيلت إلى التقاعد مبكرًا، أما نحن فلايزال الغرب يحسدنا على ما نملك من ترابط ومودة وإخاء ونسيج اجتماعى متماسك، فهل نفرط فى مكنوناتنا تلك، كما فرطنا فى الكتاب من قبل؟!

اليوم تفوح رائحة الجثة فى بناية عربية ولا يدرى الجار بموت جاره الجنب!، أى تصدع فى نسيج المجتمع وعلاقاته الاجتماعية؟! حائط الجوار يريد أن ينقض بسبب سوءات الاغتراب الذى أصاب الكثير من مثقفينا ومترفينا الذين يظنون أن فى التباعد عصرية وتقدمًا.

لقد غفل كل هؤلاء الفقراء فى الثقافة الإسلامية أن المودة فى القربى هى من أسباب السعادة لأن كل شىء تقسمه على اثنين ينقص إلا السعادة، فالترابط الأسرى والعائلى الذى يحض عليه ديننا هو مظهر للقوة الدافعة فى المجتمع كما يقرر علماء النفس والاجتماع، والروح المشرقة تنبعث من التعاون والتواد، وحينئذ يغدو المجتمع فى بحر من الهناء العائلى والاجتماعى.

إن الباحث والفاحص لأمراض واقعنا يلمح من قريب أو من بعيد تصدعات هائلة فى محيط الجيرة لدى المثقفين أو المترفين، وزاد الطين بلة أن امرأتنا اليوم قد أصبحت مثقلة فى حملها بعد أن خرجت إلى العمل، ومن هنا تعثرت الأسرة فى الوفاء بما عليها من عهود اجتماعية أو دينية.

إن الجار الجنب والجار ذا القربى هو أخ لم تلده أمك تستصرخه فينصرك، فهو أقرب من القريب، فهل نركض خلف اللاهثين وراء النموذج الغربى لتكون الجيرة قد اقترب أجلها أو انفصمت عراها؟!

## ولادة التطرف الدينى:

التطرف الفكرى عبء على الواقع الإسلامى يدفع إليه فى المقام الأول حماس الشباب مع نصف العلم بالدين، ناهيك عن أسباب أخرى، وفى هذا العصر ظهرت فئات كثيرة ضالة فى دينها ومتطرفة فى عنادها، بل وتبجحها فى إثارة مشاعر إخوانهم المسلمين والاستهزاء بهم، كالاستهزاء برجال الدين على الشاشة الصغيرة والكبيرة وبكل القيم الإسلامية التى أصبحت تكون نسيج حياتنا، كما هى متطرفة فى نهب ثروات الشعب واستنزاف قوته، وتوجه ضرباتها الموجعة والمؤلمة فى محياه ومعاشه، أليس ذلك هو التطرف اللادينى والتدين المنقوص حقًا فى عصرنا؟!

أجمل الثياب وأبهى الأزياء وأحلى القدود والخدود يفرض كل أولئك على شباب عاطل وبائس ومحبط وعاجز عن الزواج وعاجز عن الحياة فمعناه إشعال الحريق فى جوف هذا الشاب وتفجير فتيل الحرمان، وهنا يقول أصحاب الفكر وأرباب القلم: إن التطرف اللادينى يولد التطرف الدينى، والتطرف الأول مبعثه تقليد الأجانب فى سيماهم الخلقية ومن هنا تكون انفجارات أصولية إسلامية(١).

إن العوج يبدأ فكريًا لينتهى باسطًا ذراعيه على الحياة العربية والإسلامية وأولى عواقبه لدى هؤلاء المتطرفين هو اعتزال المجتمع ومخاصمة الدنيا.

(١) فهمى هويدى، الأهرام فى ٢٠٠٢/١/١م

## تهديد أنوثة المرأة كأثر للمساواة:

ماذا تأمل من موظفة فى البنوك مثلا تغادر منزلها فى السابعة صباحًا لتعود فى السابعة مساءً منهكة مكدودة؟!

المساواة هى تساوٍ بين الرجال وبعضهم، أو بين النساء وبعضهن البعض.

ومن آيات الله أن خلق الزوجين الذكر والأنثى، وناط لكل منهما دورًا، فليس الذكر كالأنثى، فاختلف التكوين البيولوجى والخصائص النفسية والروحية والعقلية والجسدية، فكل منهما فى فلك يسبح، فلا الرجل قادر على القيام بشئون المرأة ولا المرأة تقدر على الاضطلاع بأعباء الرجل؛ لاختلاف تكوينهما الربانى كما ألمعنا.

ولكن التطور المزعوم أقحم المرأة فى أعمال مضنية وعلاقات غير مرضية أحيانا، ولو كانت فى غير حاجة إلى العمل، وأصبحت تخفى فى نفسها ما لا تبديه من عنت وإرهاق وكبد فى الذهاب والإياب وضياع لأنوثتها يلوح يومًا بعد يوم، وغياب يعانيه الصغار والرضع الذين تخلت عنهم فلا تدرى ما يفعل بهم، والسهر أحيانا فى أعمال تضنيها، وأصبحت تمسك بتلك المساواة على هون، ولكن أدعياء التنوير والتغريب يأخذون بنواصيها لتندفع وراء سراب المساواة وطوال عمرها مما يُفنى شبابها، وهكذا خرجت عن إطار المساواة التى سنها لها التشريع السماوى إلى مساواة بالرجل القوى، كان إثمها أكبر من نفعها، فأصبحت أنوثتها فى المقام التالى لشغلها، وهو ما يؤثر على الشريك الآخر تأثيرًا يدفع إلى ردود فعل ظاهرة أو كامنة، ولن يصلح العطار ما أفسد الدهر. نعم، العاملات فريقان؛ منهن المكرمات ومنهن الكادحات من أجل لقمة العيش، وتلك هى التى تدفع الثمن غاليًا، وهنا قد يقول قائل: هل أثرت المساواة بين الرجل والمرأة على المرأة الغربية؟ أقول: نعم، ماذا بقى للمرأة الغربية من أنوثة بعد أن صارت سائقا للأتوبيس أو رجل أمن أو محاسبة فى البنوك تعمل من السابعة صباحًا حتى السابعة مساءً؟!

والخلاصة: اسلكى سبل ربك ذللا ولكن شريطة المحافظة على نضارتك التى تسلبها منكِ المساواة الموهومة يوما بعد يوم.. اعملى ما شئت من عمل مباح ولكن لا يشوه لديكِ النجاح وسماته هى حسن سماتك.

والمرأة التى هى مفطورة على الفطرة تعرف قدر هذا الحديث، وإذا كان هناك من يمتعض من هذا الحديث أسفا، فإننا نقول له: ليت الأمر يقف عند تهديد الأنوثة بل إنه سيصل بها إلى العنوسة.

# الفرع الثانى

## الخطر على الذاتية الإسلامية

## (أجيال مأزومة مهزومة)

### أولاً: تجريف الهوية الإسلامية:

تغيرات جذرية تطرأ على الذات الإسلامية، يقدمها تضاؤل النظرة إلى القيم والسلوكيات والشمائل الطيبة التى يتسم بها فتى العرب، وران علينا اتجاه محموم لتحصيل المادة والتحصن بها، وهو ما يخلق أجيالاً فقيرة فى النبل، ضعيفة فى حسها الوجدانى وسلوكها الدينى.

هى خلاصة حرب كامنة على الأمة، لم تعد تستهدف نظام حكم أو ثروات أو موقعًا جغرافيًا، وإنما تستهدف الذات الإسلامية لاحتناكها وافتراسها، لقد استقدم التقليد فنونًا من تقاليد المتنصرين فى الشرق والغرب، تجرنا -وأسفاه- إلى بوتقة المدنية الغربية فى سلبياتها دون إيجابياتها، وتصفية كياننا. وجعله هزيلاً يجر، عن طريق ربط أجيالنا الصاعدة بمفاهيم تطمس المعالم الإسلامية وتخلق أجيالاً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، منبتة عن أعرافنا، نابية عن عقيدتها وأخلاق أمتها حتى يصل الأمر بهم إلى الانصهار والاحتضار كما أسلفنا.

والباحثون أبدوا مخاوفهم من أن الطلاب العرب بالمدارس الأجنبية وفى الجامعة الأمريكية يخلعون رداء الهوية العربية قبل أن تطأ أقدامهم تلك المعاهد، مع أنها أهلت لتعليم الجاليات الأجنبية وربطهم بوطنهم، فهل يؤدى ذلك النوع من التعليم إلى التعتيم على ثقافتنا وقيمنا عندما يركز على التعليم باللغة الأجنبية من الحضانة حتى الجامعة؟[1]

إن ثروة الأمم الحقيقية فى أبنائها، وإذا تحولوا إلى غرباء فى أوطانهم فتلك حالة من الانفصام والانفصال عن أممهم، والغربة النفسية التى تتصارع مع قانون الولاء لأوطانهم، ولذلك تتسابق الدول فى محاولة إبراز الملامح القومية، فتطرح الكئوس والجوائز للحفاظ على الأصالة خشية التغرير والتغيير ببدائل أجنبية.

---

(١) الأهرام الاقتصادى ٧ أغسطس عام ٢٠٠٠ م.

لقد أصبحت مناهجنا التربوية تستشهد بفرويد فى علم النفس وتترك «ابن خلدون» فى علم الاجتماع، فتركت مؤلفات الغرب المدرسية بصماتها فى العقول التى أشربت حُبًّها، وأصبح الشعور بالدونية تجاه الغرب موضوع الموضوعات.

**الخطورة على طلاب المدارس الأجنبية(١):**

**اضطراب الهوية والتشوش الذهنى والانسلاخ الثقافى:**

الدكتور خليل فاضل استشارى الطب النفسى أحد هؤلاء الذين لمسوا بأيديهم الآثار النفسية والقيمية على طلاب المدارس الأمريكية، حيث يقول: إن خطورة المناهج والنظم التعليمية الأمريكية على الطلاب المصريين تكمن فى أنها تغزوهم فى بيئتهم، فى حين أنهم يأتون من بيئة وثقافة وحضارة وأسر مختلفة تمامًا عن البيئة الأمريكية، بمعنى أن تلقين تلك النظم للطالب المصرى فى أمريكا يختلف عن تعليمها له وهو فى مصر، حيث يرتبط ذلك بموروثات وعادات لا تلتقى إطلاقًا، بل تتعارض جملة وتفصيلاً مع تلك الأمريكية، وهنا يحدث التشويش الذهنى والنفسى (corfusion) واضطراب الهوية الشديد (Ijentityconfn) وحالة الاغتراب الاجتماعى والنفسى (Alienatiton).

ويضيف د. خليل فاضل: ما نقصده هو تلك العينة من أولادنا التى قمنا بفحصها «عشوائيًا» من المترددين على العيادة النفسية، إما برغبتهم فى التحدث مع «معالج» نفسى، أو طبيب يعتمد على الحوار و«الفضفضة» العلاجية، وهم ليسوا مرضى نفسيين بالمعنى التقليدى للكلمة، وهنا وجب علينا التركيز على أعراض ذلك التشوش الذهنى على اضطراب الهوية، وحالة الاغتراب منفردين أو مجتمعين، وعلينا أيضًا بالضرورة أن نفرق بين هؤلاء الذين يتعلمون فى مدارس مصرية عادية أو خاصة، ويميلون إلى الغرب وأمريكا بحكم الهيمنة الإعلامية المعتادة بدءًا من أفلام الكارتون غير البريئة إطلاقًا، والممجدة لفكرة السيطرة على الآخر، واستلاب كنوزه وقيمه، وعاداته وحياته، إلى أفلام الـ «أكشن» ورامبو وجيمس بوند، والكاوبوى بكل أنواعها.

ويؤكد: لقد وجدنا الاضطراب فى المدارس الفاخرة عمومًا، خاصة تلك الأمريكية، يكاد ينحصر فى تشوش الهوية أو التشبه بالأجنبى الأمريكى، الذى يشرب الخمر، ويسمع الموسيقى الصاخبة الإيقاع، ويتساهل فى إقامة علاقات

(١) انظر د. خليل فاضل، الآثار النفسية المترتبة على انتشار المدارس الأمريكية فى مصر، ملحق الأهرام التعليمى فى ٢٦ رمضان ١٤٢٦ هـ، ٢٩ / ١٠ / ٢٠٠٥.

جنسية، حيث تبدأ المسألة كمرونة للهوية، ثم تصبح الهوية وعاء فضفاضًا يسهل ضربه فى أى وقت، وبعد ذلك نجد الانسلاخ الثقافى عن الدين واللغة كثوابت وموروثات، يبتعد بالولد والبنت عن روح الأمة، ويلقى بهما إلى التهلكة، فمن الرغبة فى الثراء فجأة ودون بذل أى مجهود، إلى الحلم الأمريكى المعاصر، إلى الإحساس بالخجل، والنظر إلى الآخرين من الطلاب المصريين «من فوق»، حينما يصبح كل ما هو غير أمريكى متدنيًا وغبيًّا. ويؤكد استشارى الطب النفسى أن فقدان الرقابة المجتمعية، ومن قبل الحكومية، يسمح لرأس المال المتوحش بأن ينهش فى لحم التربية والتعليم فى مصر، فنجد انتشار العنف بشكل مرضى، وإدمان المخدرات فى السلوكيات الشائنة والغريبة، وعدم استنفار أو استهجان أمور مثل الشذوذ الجنسى، ونوبات الاكتئاب، ومحاولات الانتحار، وفقدان لغة الحوار، ونسيان اللغة. ولقد عبرت عن ذلك خريجة للجامعة الأمريكية بلوحة فنية تشكيلية فريدة استخدمت فيها حروفًا عربية غير مرتبة، وكأنها تقرأ من الشمال إلى اليمين ( ة غ ل ل ا ن ا ى س ن )، وهو ما يؤكد بوضوح على الاغتراب، ويشير إلى أن الأمريكان العاملين فى مصر ليسوا خالصين، وليسوا الأفضل، لكنهم «هجين» مهاجر بلا قيم، وبالتالى فإن شخصياتهم تنطبع على أولادنا فيصابون بفقدان الثقة فى النفس وفى الآخر والشك والإحساس الدفين بالذنب الذى لا يعبرون عنه، ويظهر فى صورة تحد للوالدين والمجتمع. والمصيبة ـ كما يقول د. خليل فاضل ـ أن هؤلاء رغم تعلمهم العالى الأمريكى غالبًا ما تكون (دماغهم فاضية) حسب قول إحداهن (AIRHEADEO) فهذا الجيل ليست له علاقة، لا بالوطن، ولا بالمواطنة.

ويشكك الدكتور فاضل ـ فى قدرة وزارة التربية والتعليم على عمل أى شىء فى هذا الموضوع تحديدًا، نظرًا لأن «التعليم» وما يزاوجه من «تربيته» التى قد تكون أهم من التعليم فى مرحلة النضج والتكوين الأساسية فى سنى المراهقة يرزحان تحت وطأة هموم كبيرة.

## أخطار بالجملة:

من أخطر أمراض الواقع الإسلامى الراهن هو خلق أجيال لاهية قلوبهم عما يراد بهم، فقد أنتج الخواء الثقافى الضارب أطنابه فى البيت الإسلامى أجيالاً يمشون فى سراديب الحضارة المعاصرة كما تمشى الفئران فى الظلام لا ترمق إلا الفضلات، وهو ما أدى إلى تسرب أفكار الأجانب وسلوكياتهم المساوئ منها دون المحاسن،

وليس هذا دأبنا أو أدبنا، وحتى النخبة المثقفة والذين نصبوا أنفسهم أولياء مرشدين على هذه الأمة كان حظهم فى الفقه قليلاً، وللدلالة على الأمية الدينية التى أصيب بها هؤلاء اسأل من شئت منهم عن صلاة الوتر أو الاستخارة أو حتى عن الشهور العربية ما هى، أو ترتيبها، تجدهم وكأنهم من العجم وليسوا من العرب!!.

ويرصد لنا شيخ التربويين الدكتور حامد عمار أن شخصية «الفهلوى» و«الهباش» التى استشرت عندنا فى مجتمعنا هى من أخطر الظواهر السلوكية التى تمثل اعتداءً صارخًا على تراثنا الفكرى وموروثاتنا السلوكية والقيمية[1].

إن التقليد لا يكون إلغاء لشخصية فحسب، ولكنه يكون قتلاً للإنسانية فى الإنسان، وإنهاء لوجوده بيده، وتحطيمًا لمبدأ تكريمه الإلهى، ونزولاً إلى درك العجماوات التى يقود قطيعها واحد منها، فيسقط القطيع كله متتابعًا إن سقط ذلك الواحد، ويستمر مستقيمًا فى سيره إن استقام، ولأجل ذلك شنَّع الله على المقلدين لآبائهم بلا علم ولا بصيرة ولا هدى، وكذلك الذين لا يُعْمِلون عقولهم فى مثل قوله تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٤)﴾ [الزخرف: ٢٢-٢٤].

فخطورة التقليد الأعمى فى المرذول من السلوك فى كون المقلد يظن أنه مهتدٍ وهو ضال، ويرى نفسه على حق وهو مرتكس فى حمأة الباطل، مقارن للترف، بل هو إحدى نتائجه الحتمية المريرة.

وخطر آخر للهزيمة هو استخفافه بدينه واحتقاره له، متصورًا أنه سبب ضعفه وعجزه وغلبة الغرب له وانتصاره عليه، فيؤدى هذا إلى انسلاخ مقنع منه، بل ثورته عليه!![2].

## جيل إمعة مصاب بالجدب السلوكى:

هل يليق بأحفاد الأسلاف الصالحين، أن يتحول البنون والبنات إلى سوار فى معصم الغرب، فرحين بالقشور دون اللباب، فإذا رأيت ثَمَّ رأيت قطعانًا من

(١) الأهرام فى ٢٠ / ٢ / ٢٠٠١ م. (٢) عبد الله الشيبانى ص ١٥٦ .

الشباب لا يوحى مظهرهم بأنهم أبناء العرب، قمصانهم وسراويلهم لا تمت إلى أمتنا بصلة، لباسهم وشعورهم المرسلة غير المهذبة التى لا تمت إلى حسن السمت الإسلامى، الذى يعكس أصالة المعدن وطيب الجوهر.

إن الجماهير العريضة التى أصيبت بالجدب الثقافى فاستهوتهم تقاليع الغرب غافلين عما يراد بهم، يلبسون على رءوسهم إيشاربًا وفى آذانهم قرطًا كالنساء على غرار ما يجرى فى أوروبا، ناهيك عن السلاسل التى تطوق الأعناق، كم نسر الندامة وخاصة فى مجتمعات الاقتصاد الفقير، أمم ناشئة تريد أن تنهض فتتعثر، أرداهم التقليد فى المساوئ، وإذا دعاهم داعى الرقص يتأبطون بعضهم وتعلوهم السطحية الحمقاء، فكل ما فعلوه هو استيعاب أفلام الشرق والغرب وأحداثها بذكاء وكذا المخرجين والمنتجين لها، وهو ما يصمهم بالتسطيح الفكرى[1].

نعم هو تقدم فى عرف الغاوين، خطوة إلى الأمام وخطوتان إلى الخلف، وتقدم يأباه ديننا الحنيف الذى يقوم على ثقافة بناءة لا ثقافة الفيشار، ثقافة ينبوعها يكون ﴿قرآنًا عجبًا يهدى إلى الرشد﴾ [الجن: ١، ٢]. فذلك هو الرقى الحقيقى، هل يقتاد شبابنا إلى ساحة القضاء بتهمة محاولة تقويض البناء الشامخ المجيد؟ هل يسجل التاريخ فى صفحاته التى لا تعرف التدليل أنهم تحولوا إلى جيل أشبه بعصف مأكول؟

نعوذ بالله أن ينطبق على أجيالنا قول ربنا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

فتقليد الأجانب يحسبه البسطاء مجرد محاكاة لتقاليع وافدة، فى حين أنه مظهر للضياع الدينى، ويخشى عقلاء الأمة أن يصل السكين إلى العظم، ويتحول المجتمع حينئذ إلى خليط من المضحكات والمبكيات.

إن إعصار التغريب الذى يلف مجتمعاتنا قد طال ألسنة الناس، وأنماط حياتهم وسلوكهم، فى غيبة نموذج المجتمع المسلم، ألا يشكل هذا قلقًا على الحاضر والمستقبل سيما مع الحرص الشديد على التردد على بلاد الغرب، والشعور الذى يغمر الذاهب إلى هناك، مع إحساس ملازم بعجزنا عن اللحاق[2]؟

(١) يسرى عبد المحسن، السم فى العسل، الأهرام فى ٢ / ١٢ / ٢٠٠٠ م.
(٢) فهمى هويدى، الأهرام ٢٩ مايو، سنة ٢٠٠١ م.

## كـم التفاهـة:

هل يكون نصيب الذات الإسلامية أن ترضى من الغنيمة بالإياب ويصبح انبهارها بالأجانب فى سلبياتهم مجرد انخداع بسلوكياتهم ولا صلة لها ألبتة بأى تقدم أو تقنية، كم يصاب أبناؤنا بالازدواجية، بل أزمات نفسية وهزائم حقيقية تمارس باسم الحرية المدنية، سيما مع ضعف السلطان الدينى، وإثارة الشبهات حول ديننا بأقلام دعاة اللادينية، مع العجز عن ردها بأسلوب عصرى، يفحم المردة، أليس انهزامًا حقيقيًا لأجيالنا أن يصبح كل همهم أن يكون الشعر والنعل والخصر على النمط الأوروبى، وحيث تتحول المسلمة كاسية عارية لابسة (للإسترتش) الذى يجسد عوراتها، (والخنفسة) فى مظهر الحدث، وصوت الديسكو الذى يحجب الآذان عن سماع نداء الرحمن، والرقص والقبلات والاختلاط، هل تعليق صور الفنانين والفنانات يسجل لنا نقطة ولو تافهة فى مجال الإبداع واللحاق؟!

لقد أصبحت «الكوتشينة» لها مكانها ومكانتها فى بيت المسلم سيما لدى الأجيال المأزومة المهزمة، وكما يقول القرآن الكريم: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ... ﴾ [الأنبياء: ١، ٢]. وهو ما يحولهم إلى أجيال عديمة أو معدومة، تتجرع نقص الدين والإيمان، ويستدرجها كم التفاهة إلى أوضاع تؤخر موكب النهضة واللحاق. وتصمنا بوصمة لسنا أحق بها ولا أهلها.

سئل جامعى فى إحدى البرامج التليفزيونية: أين تقع شلالات نياجرا، فقال: هى فى الفياجرا، ألا يصاب أبناء السلاسل الذهبية حينئذ بالتسوس والهزيمة الروحية والنفسية، ويستفحل الشعور بالدونية ومسخ الشخصية فيصير أشبه بفتى أعجمى فى بلد عربى[1].

(١) خيبة الأمل فى مسلسل «ستار أكاديمى» وكم التفاهة:
فقد جاء فى مجلة حواء تساؤل عن الاستقبال الدولى لنجوم «ستار أكاديمى» والذى بثته الفضائيات العربية فى عام ٢٠٠٤ ما يلى: «شوية عيال نكشة شعرها ورابطة إيشاربات على معاصمها كما الفتيات، صدمتُ من الدهشة وأنا أراهم شابات وشبابًا يرقصون ويقفزون فى الوقت الذى تقدم لنا شاشات الفضائيات وأيضًا المحليات شباب وأطفال العراق وفلسطين مطروحين على الأرض غارقين فى دمائهم.. وازدادت دهشتى وصدمتى وخيبة أملى فيهم وأنا أتابع فقرات حفلهم من خلال البث المباشر لا صوت ولا صورة ولا أداء فقد أساءوا للفن الجميل، أغانى زمان والجميل منها الآن بهذا الأداء الضعيف على المسرح.. حزنت أكثر أن يشارك إعلامنا فى هذه الفضيحة، وكنت أتصور أن مثل هؤلاء الشباب يطوفون العالم من أجل طرح قضية السلام أو نبذ الحروب عن منطقة الشرق الأوسط وجعل التبرعات لصالح القتلى والأرامل وبناء المنازل المهدومة بدلا من النط والقفز والهيافة التى شاهدناها على مدار يومين، يوم الوصول ويوم الحفل، وقد نجحوا فى استفزاز الناس فى هذا التوقيت الحساس». =

كم أصبح شبابنا مشغولاً من أقصاه إلى أدناه بالضربات الحرة والركنية والمباشرة وآهات الفنانين والفنانات الأحياء منهم والأموات، ناهيك عن أنه قد أصبح عقله فى أذنيه، كم يؤثر البهتان فيه وينطلى الزور عليه[1].

## ثانيا : كثرة الغرقى فى مستنقع التقليد

### ١ - شبابنا (كاجولوه) .. وأمركوه

شبح يطل عليهم كل حين فلا ينجو منه إلا من عصم الله تلك هى العولمة الطارقة، فملامح الغزو تدق على الأبواب ومدمن القرع لابد أن يلجَ، فتحول اهتمام الشباب وتمحور فى القشور الخارجية، سيما المراهقين. وأين السبيل إلى أبناء المترفين الفارغين لتفريغهم وهلم جرا. وكأن هناك شبكة خاصة مهمتها نشر الموبقات الغربية، حتى قربت المسافة بينه وبين الآخر الغربى، تسريحات غريبة للشعر واللحية كما أسلفنا بألوان مختلفة تتراوح بين الفاتح والداكن.

وذهبت الفتيات بدورها إلى تقليد ملكات الجمال العالميات فى اختيار لون الشعر وتسريحته وما إلى ذلك من سلوكيات.

ومما داهمنا ذلك الوشم الذى يضعونه حتى على القفا، وهناك أيضًا الإعجاب بسيارات الموت الجماعى، موضة داهمت الشباب تحت تأثير التقليد الأعمى، لما يرونه فى أفلام الإثارة «الأكشن» وهو أمر مقصود لاستنزاف الشباب العربى؛ لأنه كلما مات شاب ماتت الأمة، فالأفضلية للغرب حتى فى سيئاته، بسبب استسهالنا التقليد والشعور بالدونية واحتقار الثقافة المحلية، وهنا تكون العولمة أو الأمركة قد أصابت هدفها.

فلقد أصبح البنطلون الجينز هدفًا وأصبحت وجبة الهامبورجر حلمًا حضاريًا وأصبح أبناؤنا تبعًا لثقافة معتدية، ومراكز التسوق تفتح لهم الأبواب فتقدم الغث مع السمين.

---

= مجلة حواء، ماجدة محمود ، فى ٢٩ / ٥ / ٢٠٠٤ م. واستمع إلى ما يجأر به المفكر الإسلامى الكبير فهمى هويدى فى جريدة الأهرام فى ٢٠٠٦/٤/١٨ فى مقاله الأسبوعى حيث يقول: هى مصادفة لا ريب أن تزامن سفرى إلى طهران هذه المرة مع حدثين أحدهما إيرانى شغل العالم وتمثل فى إعلان طهران رسميًا عن نجاحها فى تخصيب اليورانيوم والثانى عربى شغل قطاعات عريضة من شبابنا هو إعلان نتائج مسابقة «من يكون العندليب» والتى ترقبها من يتابعون الفضائيات بعد انتهاء دورة برنامج ستار أكاديمى.

(١) انظر: مجلة كل الأسرة، ٩ إبريل ٢٠٠٣ م.

## ٢ - عنت الشاب بعد زواجه بالمتفرنجة:

نعم فهو شاب له جذوره الإيمانية، ولكن قد تستهويه فتاة متفرنجة برزت له مفاتنها، فأقبل عليها لتكون هى قرينته وشريكته فإذا بها مصابة بجرثومة التفرنج والتقليد، فتأتى بسلوكيات لا مرحبًا بها كأن تستهويها حفلات «البارتى» و هلم جرا، فإذا به يضيق بها ذرعًا ، وهو ما يهدد مصير الأسرة بالفشل أو التمزق الأسرى.

## ٣- المدمنون الجدد غارقون للأذقان:

هم من أبناء المترفين والراقين، أعمارهم من الثانية عشرة حتى الثلاثين وهم جميعًا فى سلة واحدة، أجاءهم الترف المتآخى مع فقر الثقافة الإسلامية، إلى عقار النشوة والشهوة أو ما يسمى «الإكستازى»، وهو مخدر مدمر موطنه أوروبا أو الغرب بوجه عام، يروجون له فى مجلات الديسكو، وتبدأ المأساة، بأن يقعوا فى براثن هذا المخدر، لينتهى بهم المطاف إلى غياهب السجون وتصدع الأسرة وزوال النعيم المقيم.

من سول لهم وأملى لهم؟ إنه تقليد الغرب ولا نبرئه من الاتهام.

لقد جنت عليهم أيضًا النشأة الأولى والتى خلت أو خوت من الحصانة الفكرية التى تدرأ عنهم أشرار البرية[١].

## ٤ - مطرباتنا من التغنى إلى التعرى ومن اللحن إلى اللحم[٢]

نقلة حضارية كبرى نصفق لها: مأساة تدور رحاها ويسقط ضحاياها على شاشات القنوات الفضائية العربية كل ليلة، تحاصر العرب من المحيط إلى الخليج بكل ألوان الفن الهابط والكم الهائل من المطربات شبه العاريات، حتى إننا قد نصبح بعد وقت قصير على شفا أعتاب العرى الكامل، فمن يقف وراء هذا الهجوم الضارى على أجيال هذه الأمة والتى يكاد يغرقها فى مستنقع قد لا تخرج منه أبدًا.

نعم إن من حق الأجيال الجديدة أن يكون لها فنها وذوقها ولكن ليس على حساب الفن الأصيل المؤثر فى حياة الشعوب، فالفنان الأصيل صاحب رسالة أمجد.

لماذا يتحول المغنون فى العالم العربى إلى تجار يعرضون اللحم العربى، يبدين زينتهن ما ظهر منها وما استتر، وعلى شاشات الفضائيات لعله يعوض القصور الذى انتاب الكلمات والألحان والصوت الحسن، ليتداخل الغناء العربى مع الأجنبى، ما الأيدى الخفية التى تحركها أو تمولها وليغرق الشباب وليفسد

(١) الأهرام ٥/١/٢٠٠٢م ٩/١١/٢٠٠٢م.
(٢) انظر: فاروق جويدة، الأهرام فى ٨/٨/٢٠٠٣م.

الذوق وينكب المراهقون على مشاهدة الأجساد شبه العارية، ولتجئ الأمة العربية كل ليلة تتعقب أوحال السفالة الجميلة بوجدانها، أو تتلذذ بمشاهدة أجساد النساء وهى صاحبة التاريخ العريق والفن الأصيل.

هل هناك علاقة نسب أو مصاهرة بين التدنى الثقافى الكائن والسقوط السياسى والعسكرى، وبين انهيار صرح الغناء فى العالم العربى، بعد أن كدنا لا نفرق بين مطربة عربية وأختها الأجنبية ذات الأسوة الحسنة.

**٥ - التغرير سيما بالفتاة الخليجية:**

كانت هى آخر القلاع الحصينة فى سلوكها المعتصم بكتاب ربها، فقد نجت بلادها من الغزو الاستعمارى والسلوكى، وقد أمدهم الله بمال ممدود ولكن لم يصحبه ثقافة إسلامية عاصمة من الشراك الخداعة، فتمردت على الأعراف ودخلت فى مستنقع السلوكية الوافدة، حتى صارت تلبس زيًّا لا يناسب قدها وقوامها وقومها.

ولا مانع فى بعض البلاد العربية اليوم أن يتراقص الشباب فى حفلات الترفيه، وبالجملة أصابها بدورها ازدواج فى المعيار وشعور بالدونية، ابتداء من شعرها إلى نعلها سيما إذا كتب لها أن تسافر خارج بلادها، فسرعان ما تتمرد على ردائها مع ما فيه من حسن سمتها ومظهر دينها.

## ثالثًا : صدوع فى ثقافتنا :

### ( أ ) الوقوع فى التيه الثقافى:

نعم شكلت عقولهم فى مناخ غريب فأصبحوا لا يرون إلا ما يرى الغرب، وأشربوا فى قلوبهم حبه بما له وما عليه، وهم فى ازدياد مطرد، ثلة من اليساريين واللادينيين، العداء للإسلام منهجهم، مع أنهم ينعمون فى ربوعه، ديدنهم الترويج لقضايا المرأة وادعاء نصرتها، مع أنها آمنة مطمئنة، وامرأة الغرب هى الأحوج إلى النصرة، هم يدعون إلى الإسلام ومع ذلك يتربصون بأهله الدوائر، ويقعدون لهم بكل صراط سيما رجال الدين، وحقيقة هؤلاء أنهم أقرب إلى السماسرة للغرب من أبناء الوطن، ومع ذلك تنفتح لهم الأبواب فى أماكن الصدارة ويسعون سعيًا حثيثًا لجمع صفوفهم وشتاتهم ليكونوا أكثر نفيرًا فى البلاد العربية، سيما التى اكتوت بنار الغزو الفكرى، ويطلقون سحابات كثيفة من الدخان للتمويه والتضليل، ولا يتقيدون بقواعد المنطق وآداب المناظرة، يطوعون أفكارهم للتوائم مع المجتمع، ويسوقون الأدلة فى غير موضعها.

## (ب) مثقفون للبيع وعصابة حرية الرأى:

يقول الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : الناس ثلاثة: عالم ربانى ، ومتعلم عنده سبيل نجاة، وهمج رعاع يتبعون كل ناعق، مع كل ريح يميلون، لم يستضيئوا بالعلم ولم يركنوا إلى وثيق.

وهكذا كان لنا نصيب وافر من النوع الأخير.

أحيانًا يحملون أعلى الشهادات ويتبوءون مقاعد القدوة والصفوة فى أممنا، ولكنهم فقدوا الاعتداد بالحس القومى أو الدينى، ترى كثيرًا منهم يتغافلون سهوًا أو عمدًا عن البون الشاسع بين منظومة القيم الإسلامية وغيرها من قيم الأمم، فقيمنا هى خلاصة ما أوتى النبيون من ربهم، أما عندهم فهى مما عملت أيديهم أو خطط لها فلاسفتهم، فكانت النتيجة أن التيارات الوافدة صارت تجرفهم كالسيل المنهمر، فإذا عصفت به الريح تحول إلى ليبرالى عنيد، وبعد فترة قد يتحول إلى بوق للرأسمالية، يستخفون بقومهم المسلمين.

يجوبون بين المذاهب والرؤى بدعوى التقدم كما تقدم الغرب، همهم أن ينتقدوا أركان الإسلام وأن يجادلوا فى البديهيات، وأن يخطئوا دون حرج باسم حرية الرأى لإهدار شريعة السماء وما أوتى النبيون من ربهم. وتذهب عصابة حرية الرأى كما يسميها الشيخ الغزالى إلى التحريض على إباحة العلاقات الجنسية بين تلاميذ المدارس كما فى السويد، حين حملت تلميذتان كل منهما من زميل لها فى المدرسة، ولم تنكر عليهما الحكومة ذلك أو ترى فيه بدعًا من الأمر، صار لدينا من يشجع المرأة على ارتداء المايوه كأنه أصبح حقيقة أكبر من هيئة كبار العلماء وتلك أمانيهم، انكسار شوكة الإسلام، وهذا من ثمرات الغزو الثقافى، فصارت تحاك المؤامرات ضد الشرق وما حوى من حياء، وحشمة وعصمة[1].

## المبدعون العرب واستجداء الآخر[2]:

بفرانكفورت اجتمع العرب والعجم على مائدة التفاضل والتكامل، وجاء دور هؤلاء المبدعين العرب الذين تشبعوا بكل التجارب الغربية فى الإبداع والسلوك أمام المؤسسات الغربية . هنا كانت النماذج الكثيرة التى قدمها عدد من

(١) محمد الغزالى، ظلام من الغرب، ص ١٤٩ ومابعدها.
(٢) فاروق جويدة، الأهرام فى ٢٩/١٠/ ٢٠٠٤م.

المبدعين العرب فى احتفالية المشاركة العربية فى معرض فرانكفورت؛ ولهذا بدا الإبداع العربى الحقيقى شاحبًا بل غائبًا أمام صيحات الجسد والكتابات العارية، وهذه السخرية المُرّة من كل التراث العربى تاريخًا وحضارة ودينًا ودورًا. لم نكن فى حاجة إلى أن نقدم هذه الوليمة الغريبة على موائد الغرب؛ لأنهم يعرفون هذه الكتابات وهى ليست غريبة عليهم، ولا أدرى هل كانت الاختيارات مقصودة عندما غلبت هذه الأنواع من الإبداع على معظم المشاركين فى الندوات أو أن الاختيارات الحكومية الرسمية كانت حريصة على وجود هذه الألوان من الإبداع إما توجهًا أو استرضاءً أو غزلاً مع الآخر؟!

لقد قرأ المواطن الألمانى وسمع نماذج للإبداع العربى هى الأقرب إلى الذوق والرؤى الإبداعية العربية التى تحسب على الثقافة العربية. وليس معنى ذلك أن نغلق أبواب التواصل أو التأثر بالإبداعات الغربية؛ لأن ذلك أمر مستحيل ومرفوض، ولكن ينبغى أن نتأثر بالجوانب الإيجابية فى التحليل الحسى ولغة الحوار ورسم الشخصيات والعمل الفنى والبساطة والصدق فى الإبداع. أما الإسراف فى لغة الجسد و«البجاحة» فى التناول، بل الوقاحة فى التشخيص والسخرية من الأديان كل هذه الجوانب لا تصنع إبداعًا جميلاً خاصة إذا خلا من عناصر الفن الحقيقى. كانت كتابات بعض المبدعين العرب فى القصة والرواية والشعر صدمة كبرى؛ لأنها تجاوزت الخطوط الحمراء ودخلت فى مناطق أخرى لا يمكن أن تحسب على الفن الجميل.

كنت أتمنى أن نجد فى ساحات معرض فرانكفورت أصواتًا عربية خالصة لا زيف فيها ولا ادعاء ولا مجرد رغبة فى إرضاء الآخر.. إن هذا الآخر مهما كانت رغبته فى التشويه يريد أن يسمع أصواتنا الحقيقية، ويرى صورنا بلا «رتوش» أو عمليات تجميل أو دعاوى كاذبة، إنه يريد أن يرانا على حقيقتنا.. ولو أن نجيب محفوظ اتبع هذه الأساليب فى كتابته لما حصل على جائزة نوبل؛ لأنه كان يكتب وعينه على الأرض التى خرج منها والوطن الذى عاش فيه، أما هؤلاء الذين يرقصون على الحبال ويكتبون للغرب ما يريد ويقولون له ما يحب أن يسمع - هم مجرد أدوات يستخدمها فى لحظة تاريخية قاسية، وبعد أن يفرغ من أهدافه لن يحتاج إليهم، ونكون نحن قد خسرنا فريقًا كبيرًا من مبدعينا أخطأ فى الحسابات.

ينبغى ألا نقف بعيدًا ونحن نتحاور مع الغرب، بل يجب أن نذهب إليه وأن نقتحم عقله كما يقتحم عقولنا وأن نحاوره على أرضه وأن نفرض عليه أن ينسى لغة التعالى القديمة بعيدًا عن الوصاية والهيمنة.

**(جـ) تشوش المثقف العربى بسلبيات الفكر الغربى:**

المثقف العربى صار يجتر أحيانًا أفكارًا من نحاس مطلية بالذهب، تموج بزخرف القول غرورًا، تصيب عقولهم وحسهم لتتركهم أسارى فى سرادق الانبهار والتقليد، عروس اليوم مثلاً ثقافتها إنجليزية أو فرنسية دون أن تدرى فحوى هذه العبارة وما تحمله من تبعية ودونية لغير قومها، والمساواة بين الجنسين أمنية الأمانى، وقد أعملت ذلك بعض الدول الإسلامية فى الميراث، وتلك فتاة عادت من الغرب من رحلتها الدراسية، شرقه الشيوعى أو غربه الصليبى لتتنكر للسلطة الأبوية والأدبية، ترى فيها انتقاصًا للمرأة.

والمرأة المثقفة صارت تستميت فى الدفاع عن العمل أكبر من دفاعها عن الأسرة التى أهلت لها، نعم لا جناح عليها إذا اضطرت للقمة العيش، أما أن يتحول العمل إلى سوق أغلبه من النساء لينقسم عقل حواء بين البيت والعمل، فكم تصاب بالتشتت الذهنى!. أما الضحية فهم أطفال المفاتيح الذين يحضرون إلى المنزل قبل حضور الوالدين من عملهما ومعهم نسخة من المفاتيح.

فأطفال المفاتيح عندنا نتاج أُمٌّ تخلت أو أب مشغول، الأم تاركة دورها لمعاقل الحضانة لتنتكس الراية فى ميدان الأمومة، ومرحبًا بالتمرد والعقوق والفسق المبكر وقرناء السوء وضياع مستقبل الأم والأمة.

والاختلاط بين الفتى والفتاة صداقة بريئة وتحضُّر، والمدنية فى التبرج، والمرأة لا تثير غريزة الرجل، تلك الكاسية العارية، وإذا شئنا التقدم كالغرب فحضارته بخيرها وشرها دستورنا.

اسألوا ديار المدنية الغربية عن حفلات الرقص مع النساء ومخاصرتهن، العين فى العين والوجه فى الوجه والصدر فى الصدر، والشفاه أمام الشفاه والعينان، واليدان، فهل الكاسية العارية لا تثير غريزة الرجل وتحرك كوامنه؟ كم ينال الرجال الأجانب شهواتهم من الأخريات والتى تبدأ باللمس والهمس وتنتهى بالإجهاض وأولاد الحرام.

والديمقراطية الغربية عندهم هى أمثل نظم الحكم، أما النظام الإسلامى فهو لا يليق بالعصر، فشريعة قطع يد السارق ظالمة، والعقوبات الشرعية وحشية وتتنافى مع الإنسانية، أما إبادة الملايين بمبيدات الأمم فنعمًا هى، والعربدة والخنا عمل لا ضير فيه فهو أجمل الحريات، بينما العفاف والطهر قيم بالية!!

والعقلانية كذلك تعبير غربى يقصد به تنحية الدين جانبًا ، وهو تعبير كذاب جذاب، فأى عقل نتبعه؛ عقل الرجل أم عقل المرأة، عقل الشاب أم الشيخ، المؤمن أم المسيء، عقل الفيلسوف أم الأحمق، عقل العالم أم الجاهل، العازب أم المتزوج، الصغير أم الكبير، عقل الأب أم الابن؟

والماركسية التى تعتمد على عبادة المادة وهدم الدين بالكلية تغرى بيننا بالفساد قائلة: إن الدين أفيون الشعوب، مخدر لها، يحجب عنها همومها، فهل الإسلام مخدر لشعوبه، حتى نأخذ من الحضارة الغربية خيرها وشرها؟! فدعواهم تلك داحضة، فالتقدم العلمى لا يشجع على السلوكيات الهابطة والتى تعيش بسببها الحضارة الغربية فى مأزق حقيقى أقله الضياع الدينى وهضم حقوق الإنسان. إن التقدم العلمى ليس من لوازمه السلوكيات المرذولة، فاليابان اليوم فى أوج مجدها ولم تبدل سلوكيات أهلها، والتقدم التكنولوجى فى الغرب لم يأت غداة أن كشفت المرأة عن ساقيها، ولو أن النساء صرن كلهن كاسيات عاريات فهل يكون قد أذن مؤذن بدخول دولة فى باحة المجد وساحة الحضارة؟!

## ( د ) المتبجحون بعداوتهم للزى الإسلامى[1] :

من حق كل إنسان الظهور بهويته القومية والدينية، وليس هناك سند أو مبرر لأن يفرض الآخرون على الآخرين زيًّا يتشابهون فيه، وليس من حق أى حضارة أو مدنية بعينها أن تنازع الناس حرية اختيار ما يشاءون من لباس. إلى هذا التدنى صار الاحتشام مؤذيًا أو مقززًا للآخرين، لماذا تتمتع نساء الثقافات المختلفة بهذا الحق فى حين تنكره على المرأة المسلمة؟ أليس الزى حقًا من حقوق الإنسان لا يمارى فيه إلا مكابر؟ لماذا لم ينكر أهل الشرق على الراهبة زيها؟ بل هم يمعنون فى إجلالها وتبجيلها بسبب زيها المحتشم، بل إن الإنجيل يقول: «ولما رأت ملاك الرب أرخت حجابها». نعم، لكل مجتمع أعرافه النابعة من ثقافاته، ونستطيع أن نميز بين الشعوب بمجرد النظر إلى الزى سيما زى المرأة، والمرأة المسلمة أولى بهذا،

(١) الأهرام فى ٢٠٠٣/٣/٧م.

ولكنه أكبر فى صدورهم، إن ما يحدث من عدوان وعداء متكرر ومتجذر للزى الإسلامى فى بلاد المسلمين هو نقيصة خُلقية ولم تقل به شريعة أرضية أو سماوية.

### (هـ) نفر من جهابذة القانون أسارى فى شباك الغرب

رجال القانون على اختلاف مواقعهم أساتذة فضلاء ونابهون أجلاء، بيدهم مقاليد الأمور فى أوطانهم وهم غالبًا ما يجمعون بين سلطة التقرير والتقنين، منهم من أدركته الصحوة الإسلامية فأضحى معتزًا بديانته فى كتاباته، ومنهم دون ذلك ممن استحوذ الانبهار على عقولهم، فأمسى مفتونًا بالثقافة الغربية مع أن جذورها ضاربة فى تربة لا دينية، وشريعتنا عذب فرات سائغ شرابه، وهى أنكى وأنقى.

إن أهل الثقافة القانونية الراقية يعلمون علم اليقين أن الشريعة الإسلامية ما عاش تحت ظلالها مغبون، وأن القوانين الغربية انكشفت عوراتها فى مجال الأخلاقيات والسلوكيات، وعطلت عندنا نصوصًا من قوانين السماء وستظل غريبة على أحاسيسنا مهما طال عليها الأمد، فهى كالجسم الغريب الذى ينتظر الاستئصال، إن الوهج الذى أعمى كثيرًا من العيون أيام سطوة الاستعمار لم يعد يحجب اليوم سلبيات الحضارة الغازية، والتى بدأت تظهر حتى فى عقر دارها، وباتت تعانيها شعوبها؛ لاجترائهم على القيم وارتكابهم لما نهوا عنه، فتدهورت أخلاق النساء والولدان وحلت الشذوذات المسلكية التى تقود إلى إفناء البشرية، وهو ما جعل كثيرًا من عقلائهم يتلاومون، ويبحثون عن شرع جديد يخلصهم من الموبقات التى اقترنت بالمعجزات.

لقد حققت اليابان تقدمًا مذهلاً وهائلاً رغم تمسك أهلها بدين خرافى وأعرضت عن اقتباس تشريعات الغرب بعدما أذاقها لباس الجوع والخوف فى الحرب العالمية.

إن التقدم ليس من لوازمه الاستيراد القانونى فى مجال الأخلاقيات، فما بالنا إذا كانت سلوكياتنا قد مكنت لنا فى الأرض قرونًا طويلة، وأقامت حضارة باسقة لها طلع نضيد، وخلفت لنا وللعالم أعظم تراث إنسانى وحضارة تؤتى أكلها كل حين.

فتشريعاتنا بحورها زاخرة جمعت فأوعت، فيها الجواب الكافى لمن سأل عن

الدواء الشافى لعللنا، وهى براء من النقائص الإنسانية التى تحتويها التشريعات الوضعية التى هى من صنع البشر.

إن القوانين الوضعية المستوردة على قلتها قد أظهرت إفلاسها فى مجالات الرشد الأخلاقى، فكثر العتاة وغلظ المجرمون وظهر الفساد فى البر والبحر، ولو أنَّ أستاذًا فى القانون الجنائى سطا عليه لص ملثم فاجر وغادر فجرده من ماله وثيابه، هو وجميع أهله وأذاقهم لباس الخوف والإرهاب فإنه لن يطالب بتطبيق العقوبة المستوردة من بلاد الأجانب وإنما سيجأر قائلاً: خذوه فغلّوه، بل اقتلوه، ولو أن ذئبًا بشريًا هتك عرض عزيزة لديه لا قدر الله فإنه لا يرضى إلا بضرب الرقاب، ولن يتمسك بعصم الكوافر، بالقوانين التى يكون قد وضعها، وصدق العزيز الحكيم: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

إنه لا تثريب علينا من اقتباس أى قانون أجنبى مادام لا يصادم نصًا مكتوبًا أو حدًا محدودًا أو يخالف روح الشريعة الغراء بجلاء.

إن مرضى الأسر الثقافى سيما فى مجال قانون الجزاء يخيل إليهم أن التشريع الغربى قد وصل إلى منتهاه بتقعيد القواعد وتفريع الفروع إلى درجة لم يصل إليها التشريع الإسلامى، وهم معذورون فى هذا الوهم؛ لأن أمامهم تشريعًا يحييه التطبيق المتجدد وتصله بواقع مجتمعهم عوامل شتى، أما التشريع الإسلامى فهو كنوز ثمينة مدفونة تحت الثرى وهى أنفس من المعدن النفيس.

والحقيقة أن الفقه الإسلامى بشعبه الكثيرة بلغ فى العصور الأولى شأوه ومجده ويضارع ما بلغه التشريع الحديث فى أزهى مواطنه، بل يتفوق عليه؛ فهو يقوم على أصول من وحى السماء فينطلق فى مجراه الممهد لحلول مشاكل البشرية؛ ولذلك فهو يصلح للتطبيق فى كل عصر ومصر.

إن الدارسين فى الشرق والغرب يبحثون فى عالم الشرائع اليوم عن مخرج لعللهم، بعد إفلاس شرائعهم، وشريعتنا فيها رحمة للعالمين لو عرضناها على يد علماء كرام بررة كما ينبغى لجلالها.

إلى متى يتحمل واقعنا المريض كيد الأعداء وعجز الأبناء؟ نحن لسنا بصدد مقاولات وإنما سلوكيات وأحاسيس . ذروا ما بقى من الاقتباس غير الممدوح،

تلك الفئة القليلة من التشريعات الوافدة التى تتصل بمكارم الأخلاق، وما كان ينبغى أن تبقى أكثر مما بقيت، ويومئذ يفرح المؤمنون.

إن بلدًا كإنجلترا يرفض بإباء أن يُحكم بشريعة المسلمين، فهل يظل المسلمون محكومين بشريعة الغرب وقد رحلوا عنا؟ كم هو أضحك وأبكى، فلمَ نأتى بضرائر للحسناء؟

إن المتعصبين للقوانين الوضعية ما نحسب عامتهم على دين - كما يقول الشيخ محمد الغزالى فى كتابه «الحق المر»، والمرء أحيانًا قد يتعصب لخير موهوم وهو شر مستطير، جربوا شرائع الحدود والقصاص عامًا أو بعض عام تعيشوا فى ظلال الأمان عامًا بعد عام.

هل هناك من أساتذة القانون الجنائى فى كليات الحقوق فى البلاد العربية من يتقن التشريع الجنائى الإسلامى؟! من منهم يعرف القسامة أو الأَرش وأحكام الديات؟ وهل هناك تبعًا لذلك من قاض فى بلادنا العربية سوى السعودية واليمن يعرف تلك الأحكام؟ وإن كان فقليل ما هم، إلى هذا الحد هم قابعون فى سرادق الأسر الثقافى للثقافة القانونية الغربية!

## رابعًا: عصر شبه الأسرة

### ( أ ) أطفالنا والعنف الطارق:

الخطر السام يطرق معاهد التعليم، فيحول البراءة فى الأطفال إلى غير ما أهلوا له، أحداث فى المجتمع الغربى فى فرنسا وفى أمريكا فى أعنف سلوك إجرامى اتسمت به أخلاقيات أطفال العصر، الذين وجدوا قدوتهم فى أبطال العنف الهوليودية، وعصابات المافيا والألعاب التى تهيئ الصغير كى تكون دميته سلاحًا ناريًا، فى عصر تراجعت فيه القيم الدينية وتصدرت الحرية وانكسار الروابط الأسرية، حوادث بالجملة منها مقتل طفل وحيد مطعونًا حتى الموت بين أصدقائه لخلاف بسيط لا يستدعى أسلحة يحملها المراهقون، وتكون ضحيتها أعز صديق لديهم، وفى تكساس مثلاً مقتل أب برصاص ابنه وعمره (١١) سنة بعد أن علمه أبوه الرماية كل يوم، فإذا به ينفذ ما تعلمه ضد أبيه، وصدق عليهم إبليس ظنه وذلك جزاء سنمار.

فى بلاد العرب شر قد اقترب، مدارس المشاغبين والتسيب التربوى، أحداث جسام، وتقليد مذموم، والبلطجة بين التلاميذ، واستعراض القوة. يعيشون عصر قنوات الفضائيات التي تبث العنف والجريمة، فأصبح لهم سمة سلوكية، وينتهى الأمر بكارثة اجتماعية؛ فالعنف يولد العنف.

## (ب) إغراء العداوة بين الزوجين المسلمين:

لقد أوضحت الدراسات النفسية أن الأزمات العائلية فى أمريكا فى تكاثر، فى مجتمع اجتمعت فيه المعجزات مع الموبقات؛ لتخلِّى المرأة عن بيتها ومغادرتها لمملكتها؛ لتضاعف دخل الأسرة، فزاد الدخل حقًا ولكن تدنى الأهل، وقد أثبتت الأبحاث أنه لا مناص من عودة المرأة إلى عرشها لإنقاذ الأجيال من الضياع، كما هو شأن الإسلام، فالإسلام ذو فضل على المرأة ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون.

وتعانى الأسرة المسكينة هناك الإحساس بالفتور والمعاناة النفسية الناجمة عن التفسخ الاجتماعى، والأسرة المالكة البريطانية أوضح مثال على ذلك؛ بسبب تغليب المادة على المودة، ومن ثم كان نضوب العاطفة داخل البيت الغربى، سيما أن العلاقة الجنسية تبدأ بين الفتى والفتاة فى سن مبكرة، ثم يتلوها الزواج إن استمرت تلك العلاقة المحرمة المجرمة.

والمرأة عندنا بدورها خفت موازينها نتيجة ثقافة تحريض المرأة، فأغلب الأسر المفتونة بالتقاليد الغربية تعيش بدورها عصر شبه الأسرة، وأول المكتوين بالنار هم «أطفال المفاتيح»، وكم من زوجة بطرت معيشتها وخيرت بين زوجها وعملها فاختارت الخيار الأخير، منبهرة بالمساواة الواهمة، متناسية أن الأسرة هى الينبوع الذى يمد الأمة بالقوة والفرد بالسعادة، وكل أولئك مرهون بالتكامل المنشود بين الرجل والمرأة؛ فعلاقة الذكر بالأنثى داخل الأسرة هى تكاملية يكمل بعضهم بعضًا وليست مساواة تجر إلى الحوار ثم إلى الشجار.

لقد جنى مبدأ المساواة على المرأة فأتى بنيانها من القواعد، وأخرج النساء بالملايين من بيوتهن إلى الدواوين يصادمن المتاعب كل يوم فى وسائل الانتقال أو داخل الأعمال.

إن الإسلام هو دين الرشد الأخلاقى ، جعل الأسرة فى أحسن تقويم، لا يقاس نجاحها بمدى ما غنم أو غرم كل شريك، وإنما هى رباط مقدس تغشاه رحمة

الرحمن ومودة الإنسان: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

### (جـ) تصدع السلطة وبداية المخاوف:

ولقد تساءل الباحثون (فى المركز الفرنسى لأبحاث السكان والتنمية) أين ذهب رجالنا؟ ونحن من جانبنا نتساءل هل يوجد رئيسان لدولة واحدة؟ فمجتمع الأمومة عندهم صار هو المهيمن، حتى إنه يمكن نسب الطفل لأمه دون أبيه، سيما حين يتفشى اتخاذ الأخدان ـ وهى المعاشرة الجنسية بلا زواج ـ والأسرة التى تشهد تحولاً يتم فيه تنحية الرجل، يجرها ـ هذا التحول ـ إلى مجتمع مائع الملامح، إلى البربرية الأولى التى كان الرجل فيها يختفى بحثا عن الرزق، واليوم فالتفكك الأسرى والحرية المفرطة والفوضى الجنسية والخيانات الزوجية تدفع بالرجل إلى الفكاك من أسرته[1].

انهيارات جليدية تتوالى تنذر بالذوبان، فتمرد الأبناء والعقوق من ناحية وتحريض الزوجة على زوجها من ناحية أخرى ـ تيارات زاحفة وعاصفة.

وكان لابد أن يتسرب الغاز الخانق إلى عوالمنا بفعل أدعياء التحضر والرقى، فالمتفرنجات صرن يأتين بتصرفات مرذولة تقض مضجع الرجل وتهزأ بمسئوليته عن رعيته، يحدوها الأمل فى أن تحقق ذاتها، وهو هراء تصغى إليه أفئدة المثقفات ولكن لا تفقهه.

والعواقب الوخيمة تترى، فأبناء الغد المأمول يفقدون مبكرًا حظهم من الرشد الأبوى، ولا ينالهم سوى التناحر العائلى، وهو ما يرشحهم للضياع الدينى والاجتماعى.

نعوذ بالله من سوء المنقلب ومن كل داعية لرؤى الغرب، فالغرب مازال يحسدنا على الترابط الأسرى المعهود والمشهود.

إن من الحقائق المهمة أن كثيرًا من أنصاف المتعلمات أقدر من حملة الشهادات على إنجاح الحياة الزوجية، سيما إذا كن ثريَّات فى الثقافة الإسلامية، وجيل النوابغ الذى ظهر فى العشرينيات أغلبه من أمهات أميات لم يذهبن إلى الدواوين.

(١) المسلمون، العدد ٦١٦، فى ١١ رجب ١٤١٧ هـ، ٢٢ / ١١ / ١٩٩٦م.

### ( د ) الندية والتمرد على السلطة الأبوية :

قبس من الثقافة الغربية ينال من السلطة الأبوية حين يصل الولدان سن البلوغ فتحس منهم الخوف، أو انهيار النفس والأدب فى تبجيل الوالدين.

إن الأسرة كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا، تآلف يحكمه ميثاق غليظ ووثيقة حارة، الآباء مخلصون لبنيهم رحماء بهم، والأبناء مطيعون لهم كرام بررة بهم، الجميع فى مملكة تلفت الأنظار والأبصار، ولكن أهل التنوير يودون لأتباع محمد رسول الله ﷺ أن يتحولوا إلى أخلاق الثعالب أو طبع الذئاب، ليكونوا فى زعمهم تقدميين وعصريين تضيق صدورهم بتماسك الأسرة المسلمة، يبثون سمومهم التى تحرض الأبناء على الندية للوالدين، وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعًا.

نعم يؤكد علماء الاجتماع أن غياب الوعى الدينى وراء جرائم أسرية عديدة تعد بالعشرات؛ نتيجة غمرهم بالمسلسلات التى تزرع السلوكيات النكدة.

نعم، إن الديمقراطية داخل الأسرة مبدأ هام، ولكن تجريح الآباء مبدأ هدام، مرحبًا بكل نافع مفيد أو اقتراح جديد يقدمه الفتى أو الفتاة لذويهم ولكن إذا قضى الأبوان أمرًا فإليه المصير، فلديهما الخبرة فى الحياة ومن العلم ما لم يصل إليه الأبناء.

وباختصار، فإن أدب الحوار الراقى له جزء مقسوم فى بيتنا، يشرف ديننا، ولا مرحبًا بقيم الذئاب بين أبناء الأسرة، وإن الالتزام بالأدب عند من وجب الشكر له يتيح مناخًا ملائمًا لحياة طيبة هانئة بعيدًا عن خسيس السلوك.

## خامسًا : التقدم الاستهلاكى والتطور الساذج

من الثوابت فى كل عصر أن من يحوز القلم والعلم يحوز القوة والمنعة، ولكن عالمنا الإسلامى اليوم فرح فخور بكل ما أنتجته التكنولوجيا الغربية، والتى صارت فى متناول يده، فخيل إليه أنه يعيش عصره بينما هو يتيه فى التيه، وتحت شعار خادع مموه هو التطور، وهو مجرد تقدم استهلاكى فى المقتنيات، أو قل تطور ساذج سيما فى بلاد الاقتصاد الفقير الذى يأتيه موج من كل مكان، يهدد بخطر الابتلاع والاقتلاع.

وقد غرقت أجيالنا فى مستنقعات التقليد فى غيبة المنهج الإسلامى الرشيد، يا ليتهم رمقوا روافد النهضة، ولكنهم مكبون على وجوههم فى حيازة (كاسيتات) عمالقة الغناء، وشغلنا أنفسنا وأموالنا فى البحث عن مبتكرات الأناقة وتسريحة الشعر والتليفون المحمول الذى لا يبدئ ولا يعيد بالنسبة لأهل الفاقة، ولم يقدم خدمة جليلة للاقتصاد العربى، سوى نمط جديد فى التقدم الاستهلاكى وانتشار الثرثرة من جانب المترفين، وهو خطوة إلى الأمام وخطوتان إلى الخلف.

وقد ظهرت بين شبابنا حديثًا ثقافة المرسيدس، وهى ثقافة ذات أصداء واسعة فى عقولهم؛ فى أنواع السيارات وأشكالها وألوانها، وكل دقيق عنها وفى بعض الأحيان يكون هؤلاء بين طبقات كادحة فزادت لديهم حمم القلق والأرق.

وهاهم الأغنياء والمترفون الجدد ينفقون الملايين تلو الملايين على أكل القطط والكلاب المستوردة، بينما علماء الدين والاجتماع يحذرون من تزايد العداء الطبقى[1].

والهدف الأسمى للتغريب هو نساء المؤمنين لجرهم إلى التقليد، حتى فتيات الجزيرة العربية - كما أسلفنا - استهوتها المحاكاة، وتبديد أموالنا شغل شاغل لنسائنا، فتقاليع الموضة المتبرجة تحوز مساحة كبيرة من دخلنا ومع أن كل شيء يتغير من عام إلى عام، فالمرأة تلهث بين المحال والرجل يدفع، والمشاكل تتفاقم وتتراكم، والدواليب تئن من كثرة ما حوت. ويلحق بذلك أنشطة كثيفة تود زرع الخنا فى المجتمع العريق، ببريق جذاب يستهوى الأغرار.

وقد يسأل سائل لماذا لا نأتى بالجديد، وجوابنا أن الجديد هو المفيد، والعصرية ليس معناها إلغاء الأصالة، والمرأة فى حياتها رحلة طويلة لا تنتهى عند اللباس والزينة، وإنما القيم النبيلة، والتجديد البنَّاء الذى يُخرج شعبًا طيب الأعراق، يمثلون على مسرح الحياة دورهم.

الحذر كل الحذر أن يلجئنا التقدم الاستهلاكى الساذج إلى السؤال، أو أن نجلس على مائدة اللئام كالأيتام، وحينئذ لا ندرى ما يُفعل بنا.

---

(١) جريدة الحقيقة، العدد ٧١١ فى ٦ / ٧ / ٢٠٠٢ م.

لقد كنا فى النصف الأول من القرن العشرين فقراء ولكن سعداء، فهل يكون واقعنا اليوم هو الانطلاق لتحقيق الشهوات الاستهلاكية والقعود مع القاعدين عن الدخول فى سباق أو صراع الحضارات[1]؟

هل صرنا جديرين حقًا بالفوز بلقب فراعنة فى التقدم الاستهلاكى؟

## سادسًا: أضرار صحية تصيب المقلدين

### ١ - طاعون الغرب يطرق الأبواب:

ليس من قبيل الشماتة أنه يولد كل يوم فى فرنسا مائتا طفل مصابون بالإيدز، وحينئذ يصبح الولدان شيبًا أو يكون وليدًا وقد شاب شعره، فما أغنى عنهم جمعهم ولا شفع لهم التقدم العلمى؟! وإن تعجب فعجب أن تعلم أنه إلى عهد ليس ببعيد كان الشذوذ الجنسى يصنف فى سجل الآفات والسلبيات، ولكن اليوم له منظمات وجمعيات تطالب بتقنينه، ويقال: إنها بدأت تعرف طريقها إلى المجتمعات الإسلامية المحوطة بحزام الفقر؛ حيث يستدرج الصبية السذج إلى حفلات شاذة تغرى الصغار بالانحراف الجنسى، كما أن اعتياد الشباب مشاهدة التعرى والأفلام الإباحية الفاضحة المنقولة إلينا عبر الشاشات الفضائية يصيبهم بأمراض شتى، وأخطرها ما يصيب غدة البروستاتا فى وقت مبكر، وهو ما يؤثر بعد على الطاقة الجنسية بعد الزواج، وحقًا كما يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[2] [النور: ٣٠].

فكيف نوقف زحف المتسلل الذى يريد أن يتسور حصوننا؟!

والطفرة التى شهدها العالم فى مجال الاتصالات سهلت من عملية الاطلاع على ما يحدث فى النصف الأكثر تقدمًا من العالم، خاصة فى مسائل التعامل مع الحياة، فالمرأة الغربية كما يصورها إعلامها تتفنن فى إرضاء الرجل؛ فتقدم كل شىء دون أن يطلب، وضربوا لذلك مثلاً بالأفلام الإباحية والتى تعارض القوانين السماوية، والتى تؤثر فيما بعد على الصحة العامة، والتى لا ينكر أحد أن هناك تهافتًا بسبب عقدة الخواجة فى تلك الأمور مع أن آداب المباشرة والمعاشرة الزوجية مبسوطة عندنا فى كتب الثقافة الإسلامية، بما يضمن للزوجين السعادة التى لا يفوقها سعادة، وما يتلوها من الهناء العائلى.

(١) د. محمد السيد سعيد، الأهرام فى ٢٤ / ١٢ / ٢٠٠١ م.
(٢) جريدة النبأ، العدد ٧١٩ فى ١٥ / ٦ / ٢٠٠٣ م.

## ٢ - أمراض بسبب ارتداء المايوهات:

هذا ما توصل إليه فريق من العلماء البريطانيين فى أن ارتداء الملابس القصيرة كالمايوهات فى المصايف تزيد من احتمال تعرضهن لخطر الإصابة بأخطر أنواع السرطانات والذى يعرف باسم (الميلانوما)، إلى جانب الإكزيما والأرتيكاريا الشمسية، فضلاً عن ظهور البقع البنية والنمش والشيخوخة المبكرة، والميلانوما التى تجلب الأورام الخبيثة بالأرجل ثم فى كل أجزاء الجسم(١).

يقول الدكتور عزيز أحمد خطاب: إنه نتيجة للموضة الغربية والهوس الذى يجتاح عالمنا العربى بدأت السيدات فى ارتداء الچينز الضيق والإستريتش المطاط والملابس الحريرية الضيقة، وكل هذه الملابس تعرض السيدات لمخاطر عديدة فى مقدمتها العقم، وذلك لأنها تحتك بصفة مستمرة بالأعضاء التناسلية الخارجية وهذا الاحتكاك تتولد عنه حرارة تؤدى إلى حدوث التهابات شديدة الضرر فى هذه المناطق المهبلية، وتكون مرتعًا خصبًا للفطريات والبكتريا الضارة؛ ولذلك ينصح المتخصصون بعدم استخدام ملابس داخلية مصنعة من الألياف الصناعية والابتعاد عن الحرير بصفة عامة(٢).

## ٣ - شقاء المراهقين بإثارة موضوعات الجنس:

اهتم العلمانيون (اللادينيون) بالجنس باعتباره من الأسلحة الفتاكة فى محاربة الأديان، الإسلام أو المسيحية، حتى أصبح ثقافة عندهم، فأغرقت الأسواق بالكتب والمجلات المنتجة، وبالصور الفاضحة وذاعت وشاعت الأفلام الجنسية لتصبح أملاً يترقبه الشباب، وهناك فى أوروبا محال للجنس تستطيع أن ترى فيها، ولقاء دراهم معدودة من أنواع الخنا والفحشاء مما لا يمكن وصفه.

كل هذا يُطرح فى الأسواق ليغترف الشباب من الثقافة الجنسية وليظهر على مسرح الجناة بعد ذلك لا يعرف حلالاً أو حرامًا، فى حين أنهم فى قائمة المجنى عليهم، وأخيرًا جاءت بعض القنوات الفضائية لتغطى سطح الكرة الأرضية بأحسن ثقافة تعرفها البشرية، فبم إذن تبشرون وما مصير المراهقين؟ وما شأن الجاهل بها الذى لم يغترف منها؟ هل أصيب بالعجز كما أصيب المعاصرون الذين راحوا يتابعون الخطى لهثًا وراء الفياجرا؟ وما شأن الحيوانات التى لم تغترف من تلك الثقافة الرفيعة ومع ذلك تتكاثر وتتوالد؟

(١) جريدة النبأ فى ٢٩ / ٦ / ٢٠٠٣ م.
(٢) د. عزيز خطاب، النبأ فى ٢٣ / ٥ / ٢٠٠٤ م.

وما شأن الذين توفوا دون أن يدرسوا تلك الثقافة الوافدة المبهرة؟ ومع ذلك سعدوا فى حياتهم وأنجبوا ذرية طيبة وصاروا بعد ذلك نوابغ النوابغ.

إن الشباب يعلمون علم اليقين ما يلحق بهم من أذى من جراء تكرار موضوعات الجنس؛ لأنها تهدف إلى عنت المراهقين، مما يضعف حتى البدين، ويضنيهم يومًا فيومًا.

### ٤ - الوجبات السريعة المستوردة وأمراض العصر:

ازدراد الطعام له أصول وفنون بل مدارس ومعاهد وإلا فإن العاقبة تكون خسرًا، وهذا تقرير من صحيفة الأويزرفر البريطانية: إن مفهوم بناء الجسم السليم قد بدأ يتوارى أو يحتضر بعد أن اجتاحت الوجبات السريعة كل الأسواق، وأصبح يتهافت عليها الأطفال والشباب سيما مع وسائل الإعلام الجذابة والأخاذة، وخاصة حين يعلن عنها مشاهير الممثلين ولاعبو الكرة البارزون، لتحمل فى طياتها أبلغ الأضرار لما تحتوى عليه من نسب عالية من السكريات والأملاح والدهون والتى تجلب أمراضًا شتى، وفى مقدمتها البدانة والتى تسبب العديد من الوفيات، مع تناسى الأطعمة المميزة كالخضراوات والفواكه، ناهيك عن العجز والكسل فى ممارسة الألعاب الرياضية.

وهذا نذير إلى عشيرتنا الأقربين[١].

## سابعًا: الأقليات والضياع الدينى (الاضمحلال أو الذوبان)

أبناؤنا فى الخارج يكدون ويكدحون من أجل لقمة عيش شريف افتقدوها فى بلادهم مع ما وهبها الله من خيرات حسان، يواجهون أو يواجههم إعصار مدمر، وهنا يكمن عضال الداء وموطن الابتلاء؛ حيث يرى المسلم نفسه حائرًا بين مبادئ الدين وواقع غير المسلمين، والذى يتجسد فى سلوك مخالف لما أوتى النبيون من ربهم، فهل يمسكه على هون أم يدسه فى التراب؟

هل يتجرع هزيمة سلوكية ومسخًا للهوية واقتلاعًا من الجذور، سيما حين تصادق الفتاة أو يصادق الفتى وتتعمق الصلات فى الرقص والحفلات، فالنظام الاجتماعى هناك مفصول عن الدين؛ لأنه نتاج ثقافة إنسانية ماعت فيها الحواجز بين الحلال والحرام، وصار الشرف فيها بضاعة مزجاة، وحينئذ تكون سلوكيات

(١) الأهرام فى ٢ / ٢ / ٢٠٠٣ م.

الأجانب أشد وطئًا على النفس المسلمة، سيما حين يذهب المسلم دون حصانة فكرية فيقع فريسة للتقاليد الأجنبية والأمية الدينية، ويصل السكين إلى العظم حين تقبل فتاتنا على الزواج من مشرك أعجبها، وينتج عن كل أولئك أجيال لا تعرف كيفية التعايش مع الآخر، ولا تفرق بين الخبيث والطيب، ناهيك عن مشاكل المراهقين، ويتحول التأقلم مع الغرب إلى سراب خادع، وقد يكون مصير الرجل الصالح هو الإيداع فى السجن؛ لأنه مارق عن نظام الغرب، إذا اشتكت كريمته التى تغادر مسكنها لتنخرط فى ثلة المراهقين الذين مردوا على الفسق المبكر، وحينئذ قد يصاب بالأمراض النفسية بسبب تجرع واقع مرير غريب على الحس الإسلامى الرقيق.

وهذا مقيم قابع فى بلاد الغرب يحكى لنا ما يكابده أبناؤنا وذوونا فى الخارج وما يواجهونه من خطر الذوبان فيقول[1]:

الهجرة إلى بلاد الغرب بدأت منذ سنوات بعيدة، بل منذ عدة قرون، حتى صار الوجود الإسلامى ظاهرة واضحة لا تنكر، وبات المسلمون يشكلون قوة لا يستهان بها.. إلا أنهم ـ خاصة الجيلين الثانى والثالث ـ يتعرضون لموجات عاتية من الذوبان فى تلك المجتمعات.

ويشير فى البداية إلى أن الوجود الإسلامى فرض نفسه فى الغرب من الناحية السياسية دون الجوانب الثقافية والاقتصادية، وذلك يرجع إلى سعى الدولة نفسها إلى وجود قنوات اتصال فعلية بينها وبين هؤلاء المهاجرين.

لذلك جاء الاعتراف بالإسلام رسميًّا فى كثير من الدول كبلجيكا والنمسا وغيرهما، ومنح المسلمون حقوقًا لم تكن لهم قبل هذا الاعتراف.. بل اكتسبوا حقوقًا لا تسمح بها معظم بلدانهم.. من حرية التظاهر وحرية التعبير وحرية الكتابة، فاشتد عود الجالية، هذا إلى جانب التكنولوجيا الموجودة فى تلك البلدان.. فدرسوا ووصلوا إلى مراكز مرموقة ومنهم من دخل المجالس البلدية والبرلمان.

فى ظل هذه القفزة الهائلة، أعدت الدول الأوروبية وغيرها خططًا محكمة لصهر المسلمين لديها فى مجتمعاتهم وأطلقت على ذلك الدمج الاجتماعى؛ مما جعل هؤلاء المسلمين، الذين يعيشون فى فرنسا على سبيل المثال فرنسيين، وضاعت أجيال متعاقبة، منهم من نسى لغته، ومنهم من انقطعت صلته تمامًا ببلده الأصلى!!

(١) د. محمد فؤاد البرازى، الأهرام فى ٢/٨/٢٠٠٥م، إعداد أمانى ماجد.

بسبب عدم وجود الحصانة الدينية اللازمة والثقافة الإسلامية الكافية لدى الكثير من هؤلاء الناس، فتأثروا بالأوضاع السائدة فى تلك المجتمعات وتطبعوا بقيمها وأخلاقها، وتجردوا شيئًا فشيئًا من المبادئ والأخلاق الإسلامية، ثم ذابوا كليًا، أو جزئيًا، فى المجتمع الذى يعيشون فيه.. كما أن فريقًا منهم أصيب بالانبهار الحضارى لما رآه من تقدم تلك الأمم فى العلوم والفنون وتنظيم شئون الحياة، وما لاحظه من إنجازات عظيمة، من أعظم ما وصل إليه العقل البشرى هذه الأيام، فتضاءلت أمته بتاريخها وأصالتها، بل دينها فى نظر هذا الفريق من الناس.. فبدأوا يقلدون تلك المجتمعات بخيرها وشرها، وإذا ما تزوجوا بالأوروبيات من أهل الكتاب فإنهم يرفدون المجتمع بأبناء لاهوية لهم، بل كثيرا ما يكرهون بلدهم الأصلى ويتهمونه بالتخلف!!

ويشير إلى أن سياسة الدمج الاجتماعى التى تعتمدها بعض الدول تهدف فى حقيقة الأمر إلى سلخ تلك الجاليات عن دينها وهويتها.. حتى إن من يرفض هذه السياسة يواجه بعبارة: «هدفنا هو أبناؤكم»!! بل إن من أهم بنود سياسة هذا الدمج إلزام الرجل والمرأة بالعمل والدراسة، وإلحاق الأطفال الصغار بدور الحضانة؛ لتغذيتهم بروح المجتمع وعاداته وثقافته، بل إنهم يعاملون الأطفال برفق ولين، ويتابعون ذلك فى مراحل التعليم المختلفة فى مدارس لا تراعى دينًا يُلتزم، ولا خلقًا يحترم، ولا آدابًا إسلامية؛ فيذوب كثير من هذا الجيل، وذوبانه يكون أسرع وأخطر من الجيل الذى سبقه.

إن إنقاذ الأجيال الحالية والقادمة من خطر هذا الذوبان يكمن أولاً فى حرص الأسرة على الحفاظ على الهوية الدينية والثقافية للأولاد، وقيام المراكز الإسلامية بدورها المنشود وهى تقوم بتعليم التربية الإسلامية واللغة العربية للمهاجرين يومى السبت والأحد أسبوعيًا ورغم انتشار هذه المراكز فإن الإقبال عليها لا يتسق مع ضخامة الجالية؛ لذلك فإنها تحتاج إلى زيادة تفاعلها مع المهاجرين، كذلك فإنه من الضرورى زيادة عدد المدارس الإسلامية، والاهتمام بتجهيزها مثل المدارس الحكومية، وهذا دور المغتربين والمهاجرين.

# الفرع الثالث

## النيل من الخصوصية الحضارية

### أولاً: الخصوصية الحضارية جالبة للرزق

الكلام عن الخصوصية الحضارية ليس حديثًا مرسلاً أو كلامًا فى الإنشاء والذى قد يعد من قبيل أبلغ ما يأتى، بل هو موضوع الموضوعات سيما بالنسبة للبلاد ذات الأمجاد والتى تحوز خصوصيات لا تحوزها غيرها من الدول، سواء كانت خصوصية تاريخية أو سلوكية، أو حضارية فى أى وجه من وجوه الحضارة مادية أو معنوية أو ثقافية أو دينية، وللتعرف على هذه الخصوصية تجد أن صاحبها دائمًا يعتد بها ويزهو، ويفاخر الآخرين.

وهذا هو ما ينطبق على دولنا العربية والإسلامية بوجه خاص.

ولو أشربنا فى قلوبنا حب الخصوصية الحضارية وإجادة معناها لجلبت لنا الرزق الوفير والكثير. فوفود العالم أجمع تتطلع مثلا إلى زيارة إحدى عجائب الدنيا التى تحوزها مصر، وكذلك ما تتمتع به من مناخ طيب ومقام كريم لا تتمتع به أية دولة فى العالم، وهذا قليل من كثير، وواأسفاه؛ فإن هذه الموارد الحيوية الدافقة والكنوز التاريخية والأثرية والثقافية نخشى أن تتحول إلى حسناء عند أعمى.

المهم أن الخصوصية الحضارية الضارية فى أعماق التاريخ والحضارة والتى تبدو للسائح فى مظهرنا وجوهرنا وأعرافنا وسلوكياتنا ولغتنا وفنوننا وآدابنا وديننا، وهناك سهام موجهة إليها تمثل حروب الهوية ظاهرة أو مقنعة منها التشويه والتعتيم والإصابة بالشعور بالدونية والإقلال من الشأن والمكانة التى آثرنا الله بها وفضلنا بها على كثير من العالمين، من فضل الله أن الحاقدين وإن جحدوا خصوصيتنا فقد استيقنتها أنفسهم.

إن الخصوصية الحضارية أمر تعتز به الدول وتدافع عنه بالغالى والرخيص والنفيس؛ فهى الذات والأنا الحبيبة، فماذا يُفعل بنا وأبنائنا ومجدنا؟

### ثانيًا: الانبهار ثم الانصهار

هزيمة حضارية ترقبها الوفود الأجنبية التى تفد إلى الديار الإسلامية

للاستمتاع بأعرافها النيرة، وخصوصيتها الحضارية والأخلاقية، فهى تنزل منزلاً مباركًا، بلادًا تخلو من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والمرأة فيها مليكة متوجة تمشى على استحياء، فالحياء لا يأتى إلا بخير، لا تكشف عن ساقيها أو تفضح عوراتها، كما عهدوا فى ديارهم، فإذا بهم يجدون ديار العرب وقد تحولت إلى أمة مائعة تتسول زادها السلوكى من أمم أخرى ويغشاها الجحود لذلك الدين القيم.

نعم ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠]، فالانبهار يؤدى إلى الانصهار، والانصهار يؤدى إلى الاندثار، لقد تميزت مجتمعاتنا بقسمات وملامح تميزت بها فى العالمين، فكونت تلك الخصوصية الحضارية التى نعتز بها فى قرارة أنفسنا، وعزت بها دولتنا وأوصلتنا إلى الشموخ الحضارى، ولكن المحاكاة والتقليد فى غير محمود السلوك خلف أضرارًا عديدة مديدة، وهاكم بعض ما اعترانا بسوء.

فتقليد الأجانب فى غير ممدوح سلوكهم يشوه واقعنا ويصيب المقلدين بالغربة فى أوطانهم، وازدواج الشخصية، وثنائية المعيار، حتى نصل إلى ما يسمى بالسلوك المضاد، وهو سلوك مصدره التسول من سلوكيات الأمم، وهو أرذل أنواع التسول، فتشبه النساء بالأجانب فى غير ممدوح السلوك قد ضيع أنوثة المرأة وأفقدها شخصيتها الإسلامية، وأدخلها فى التيه الحضارى مع أن دينها قد زينها وكرمها بحقوق لم تنلها امرأة فى مجتمع آخر[1].

وهذا قبر الجندى المجهول، وفود عديدة من الداخل أو الخارج، من أكابر الكبراء فى مناصبهم ذهبوا إليه حاملين باقات من أينع الزهور جمعوها لهم من حدائق ذات بهجة كى يضعوها على قبر رجل مجهول، ويا ليت به رجلاً ، ومنذ متى يعظم المجهول؟ يقفون أمام النصب التذكارى دقائق معدودة ومحسوبة منتصبى القامة متكلفين كل التكلف ، تقليعة غريبة وفدت إلى بعض بلادنا الإسلامية وما كان ينبغى.

فعندنا حقًا مقابر الشهداء نقف أمامها باحترام وتقدير وإكبار لنقرأ ما تيسر من القرآن أو الدعاء على أرواح من ضحوا فى سبيلنا وحينئذ يكتب لنا هذا فى سجل الخصوصية الحضارية لبلاد المسلمين.

(١) الدكتورة / آمنة نصير، اللواء الإسلامى، ٤ يونية عام ١٩٩٢م.

ماذا سيتعلم أبناء الأمة أو يعود عليهم من زيارة قبر الجندى المجهول؟

أما زيارة مقابر الشهداء فهو عرف حميد نابع من صراط العزيز الحميد.

كم هى لطمة حضارية للخصوصية الإسلامية التى جاء بها الرسول ﷺ وقد أسس بنيانه على ما أوتى النبيون من ربهم، فهل نتحول إلى مجتمع هجين مذبذب السلوك مهلهل الانتماء غريب الشكل ضعيف القومية والعصبية، يعيد إلينا الاستعمار من طرف خفى؟[1]

وفى العواصم العربية العصماء تجد اللافتات الأجنبية هى اللافتة لك، ويوم العطلة الأسبوعية هو يوم السبت والأحد تقليدًا للأجانب، أما يوم الجمعة فهو عمل دءوب عند كبار التجار ورجال الأعمال وملوك الاقتصاد، ساهين عن أن ذلك يمثل هزيمة حضارية وسلوكية فى آن واحدٍ لا تقدم لنا أى جديد، والغريب أن تلك الهزيمة الحضارية قد لا نحس بها وإنما يرصدها الأجانب الذين وفدوا يرمقون حضارتنا كما أسلفنا، حتى الطفل العربى نفسه يستصرخنا اليوم: دعونا من التقليد؛ فأنا لا أجد لعبتى المناسبة لظروفى وبيئتى، وتلك أم مسلمة تحتفى بجهالة ببابا نويل، هل يتحول أتباع محمد ﷺ فى واقعهم إلى مملكة من الطاووس فى مستنقع التقليد؟

كم هو إقصاء للمسلمين عن أوطانهم وفى هذا إضاعة لمجد العرب، وتهميش لأتباعه وهنا نقول ما قال الشاعر:

**مشى الطاوس يومًا باختيال ... فقلد مثل مشيته بنوه**
**فقال علام تختالون؟ قالوا ... بدأت به ونحن مقلدوه**
**فخالف سيرك المختال واعدل ... فإنّا إن عدلت لفاعلوه**
**وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه**

نخب محلية تقوم بترويج النموذج الغربى فى فروع شتى؛ بحيث يتم الاستلاب من الداخل.

كم من كتاب عربى علّم العالم، وفضل العرب على غيرهم مرصود فى ميدان الثقافة العالمية، وكان لهم الفضل المبين فى بزوغ فجر الحضارة الغربية؛ ولذلك يضحى تقليد الأجانب فى سلبياتهم مذلة لا يقبلها أهل الشموخ، وقد فضلنا الله على الأمم قاطبة، ولكن اليوم ترى مثلاً جامعة عربية فى بلد عربى والتلميذ

(١) فهمى هويدى، الأهرام فى ١٩٩٧/٩/٣٠م.

عربى والأستاذ عربى والمادة عربية ومع ذلك يدرسونها بالإنجليزية تبعية وانبهارًا بالآخر لا ضعفًا يؤخذ على لغتنا.

حين تذهب إلى المجتمع الغربى من أدناه إلى أقصاه تجد مجتمع السلوك المباح، وحين تطلع اليوم على المجتمع الإسلامى تراهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فهذا ملتزم وذلك منحل، وهذه امرأة محتشمة وتلك سافرة، أى الفريقين أحق بالانتساب لهذا المجتمع؟ وهناك سماسرة للغرب إلى جانب ذلك يعرضون الشذوذ الغربى ليفتحوا عندنا أوكارًا للرذيلة والخنا.

هل واجه أهل الغرب حضارة مثل حضارة الإسلام فى تاريخهم؟ تلك التى أوقفت زحفهم منذ القرن العاشر الميلادى بل شتتت شملهم، فكانت فى دول البلقان، ومن قبل فى إسبانيا مكث الإسلام فيها ثمانية قرون من الزمان، ولولا اختلاف الإخوة لاستمرت إلى الآن، ولاتزال حضارتنا رغم محاولات الضغط عليها تحتفظ بروح المقاوم العنيد.

إن تقليد الأجانب فى غير معجزاتهم يصمنا بالركود الحضارى، مهما أغرانا بادعو التنوير بزعمهم برفاهية براقة أو عزفت الأنغام على مساوئ السلوك المعادى، والذى يؤذن بخراب الحضارات ولكن بعد حين من الدهر.

لو أن شباب شعب عربى بكامله قال لعمته أو لخالته يا تنت، فهل يكون قد أذن مؤذن بالتقدم أم هل هو دلالة على الاستعمار الفكرى والركود الحضارى؟ إن تخلى أبنائنا عن التحلى بحضارتنا أكبر ظلامة للأطلس الإسلامى بما يتميز به من سعة وبسطة وخصوصية حضارية. نعم، هى لطمة حضارية قوية حينما يكون التوجه عندنا هو طرح نموذج العيش الغربى فى الوطن العربى والإسلامى، ليعود استعمارنا فى ثوب جديد قشيب وليعيش أبناء أمتنا وقد خارت عزيمتهم، وتحولوا إلى أذيال تجر.

## ثالثًا : تهميش العالم الإسلامى(١)

شعاراتها كلها تستر النزعة الاستعمارية لتجميل وجهها القبيح، فدستورها فرض قيمها وثقافاتها، وأسمى أمانيها تهميش العالم الإسلامى، وتسليم قيادة البشرية إلى ثقافة الغرب، وهناك من يحاول التلفيق بين العولمة وقيم الإسلام، وهى محاولات لتضييع وقت الأمة وعزلها عن سياقها، وإلغاء ذاتيتها

(١) حامد العلى: الإيمان، ملحق الأنباء الكويتية فى ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٠م.

بالاستعاضة عن كل تراثنا بمفاهيم لا تؤمن بوجوب عبادة الله واتباع الوحى والاستعداد للآخرة، فالكون فى نظرهم قد خلق لا لعبادة الله، والإنسان حيوان دائب البحث عن ملذات وشهوات، فالعمر فرصة قصيرة ولا ينبغى إضاعتها، والشهرة والمجد والجمال والمال هى أمانى تحمل لب السعادة.

والنتيجة من كل أولئك إنزال راية الإسلام من عليائها ولو كانت لاتزال خفاقة.

## رابعًا: اختراق المجتمع المسلم بأسوأ ما فى المدنية الغربية

نعم، إن الغرب هو موئل الاختراع والمعجزات والمنجزات وقد ارتقت حضارته وعلا شأنها، ولكن هذه الحضارة العملاقة بدأت منها بعض سوءاتها فظهرت فى ساحتنا آثام لم تكن من قبل تجوس خلال الديار دون أن تجد من يردها على أعقابها.

لقد تسللت إلينا روح الإشباع، هدف التنمية المنشودة فى الغرب، وحين تهيمن تلك القيمة فإنها تضرب تلقائيًا كل معانى القناعة والإيثار، بل يصبح الحديث عن ذلك غير مرغوب فيه، مع أن رصيدنا فى القيم يحصد الجوائز؛ من المروءة والتضحية والبذل والفداء والتراحم والورع وجبر الخاطر، درجات عالية من السمو الإنسانى الذى يتجه نحو الآخر، إخاءً ورحمة، اليوم انتشار أندية القمار فى العواصم العربية التى تجر وراءها أرتالا من الوباء الخلقى والذى بدأ بالأجانب وانتهى بأصحاب الديار، وكانت تلك النوادى أكبر من القمار حيث تكون متجرًا للخمور، ومن بعدها المتاجرة فى الرقيق الأبيض وينتهى كل أولئك بافتقار الديار وبيع للعقار. واليوم تغزو المدارس والجامعات عطور تثير الغرائز الجنسية للبنين والبنات[1] ويتلو ذلك منكرات تلو منكرات ياليتها تصل إلى الزفاف، وهلم جرا.

**خطر على الترابط الأسرى: الإعلام.. مدرسة ثانية تثير التمرد![2]**

استقر فى وجدان التربويين أن الإعلام يمثل مدرسة موازية فلم تعد المدرسة فقط هى مصدر التعليم وتلك نظرية ثابتة فى مجال التربية؛ حيث إن وسائل الإعلام أصبحت تقدم معارف غير منتظمة فى مجملها كما هو الحال فى المدرسة وتلك مشكلة بالنسبة للتربويين.

(١) انظر الحادثة، الأحد ١٦/٤/٢٠٠٦ .
(٢) د. محمد رضا، الأهرام فى ١٧ /٣/ ٢٠٠٦ .

إن تـأثـيـر وسـائـل الإعـلام فـى الـترابـط الأسـرى يـمـثـل خـطـورة أشـد فـقـط أصـبـح التليفزيون يمثل الأسرة البديلة التى يعيش فيها الشاب حياته ويستقى منها نماذجه وقدوته، فلم يعد الأب هو القدوة والمثل، فشبابنا اليوم لا ينظر إلى أبيه ليستمع لنصائحه ويقلده ولكنه يستمع إلى نصائح البطل التليفزيونى فيقلده ويغامر مثله بينما ينظر لوالديه باعتبارهما عاجزين أمام هذه الخوارق.

ولاشك أن مساهمة وسائل الإعلام فى التقليل من شأن الآباء قد أدى إلى فقدان التماسك، كذلك الحال بالنسبة للبنت التى ترى والدتها منهمكة فى أعمال المنزل بينما الأم فى التليفزيون أنيقة ومهتمة بأعمال أخرى فتتمناها نموذجًا، وترفض نموذج الأم الموجودة بالمنزل وتعيش معها ولا يعجبها رأيها وتوجيهها.

ومن هنا يتجه الشباب إلى حياة بديلة فى وسائل الإعلام فالتمرد يتولد من الإعجاب بالغير، هذا الغير أو الآخر مخالف لعاداتنا وأخلاقنا وتقاليدنا وبالتالى تفتقد الأسرة الأهمية ويتراجع دور الأب لدى الأبناء ويحتقر الأولاد الدور الذى تمثله الأم وربما يكون اللفظ هنا قاسيًا ولكنها الحقيقة ، ومن هنا فإن النصائح الأبوية لا تجدى وخاصة إذا كان الأب من النوعية التى تعودت أن تهين الأم أمام أولادها فهذه الشخصية شخصية مريضة تحتاج إلى العودة إلى اتقاء الله فى هذه السلوكيات، لأن ذلك يؤدى إلى حالة عدم الرضا التى تتولد عند الشباب عن واقعه ورفضه المطلق لنمط الحياة التى يعيش فيها وسعيه للأنماط التى تقدمها وسائل الإعلام كل ذلك أوجد رفضًا تامًا لسلطة الآباء وما يمثلونه من قدوة وبصفة خاصة فى مرحلة المراهقة عندما يتجه إلى الاستكشاف والمغامرة.

وهنا يؤكد الدكتور محمد رضا: إذا كانت وسائل الإعلام تتحمل المسئولية فى هذا تمامًا فإن الآباء يتحملون قدرًا كبيرًا من مسئولية تفكك الأسرة وترك أولادهم لمسئولية جهاز (ليس له قلب) ذلك عندما يعتمد الآباء على التليفزيون كجليس لأولادهم.

ولعل من أبرز مظاهر فقدان الترابط الأسرى هو فقدان الحديث الجماعى داخل الأسرة المصرية وغياب الحوار الذى تتمناه كل الأسرة.

فقد أصبح الفرد جزيرة منعزلة كل له عالمه الخاص، ولعل أبرز هذه المظاهر أيضًا غياب الآباء من حديث الشباب مع بعضهم البعض فالأب –أو الأم – لم يعد

يقدم لأبنائه ما يستحق المناقشة من وجهة نظرهم، وبالتالى فإن ما يناقشونه هو ما تتداوله وسائل الإعلام.

ولقد أصبح الإنترنت الآن هو الوسيلة الأخطر والأشد فتكًا بالعلاقات الأسرية فهو يقدم نموذج (الصديق السلبى) الذى يسير على هوى من يصادقه - فهو صديق لا ينصح صديقه.

إن وسائل الإعلام قدمت لنا نماذج للتقاليد غير متوافقة مع قيمنا وعاداتنا وإسلامنا وثقافتنا، واستسلمت الأسرة المصرية والعربية لهذا، مما أدى إلى تفكك الأسرة الواحدة إلى أكثر من أسرة ولكنها أسر (افتراضية) كل فرد يعيش مع أسرته الافتراضية فى عقله ولكنها فى كل الأحوال ليست هذه الأسرة التى يعيش معها فى بيت واحد وتلك هى الخطورة.

## خامسًا: تعطيل جوانب الإبداع

فقومنا عفا الله عنهم، يستجلبون أدوات الزينة قبل أن يستجلبوا مقومات الحياة والحضارة الحقة، ويعرضون لنا تسريحة المرأة الأوروبية قبل أن يعرضوا ألوان الآداب والمعارف التى حصلتها المرأة هناك، فرفعت قدرها فى أعين الناظرين.

تلك هى ضريبة المحاكاة والتبعية، شعوب لا منهج لها، تستهلك حضارة الآخرين؛ ذلك هو قدر المقلدين، فالمحاكاة فى غير منجزات الغرب تخلق مجتمعًا ذا خيال مريض، مصابًا بازدواج الرؤية، مرض يفقد حاسة التمييز بين المحاسن والمساوئ؛ فالتقليد المرذول يغلق منافذ المعرفة ويعطل جوانب الإبداع ولا يعود معه الشاردون فى التيه إلى السواء.

### توقفنا عند محطة التغريب لا التحديث:

لقد كانت الضربة فى مقتل حقًّا، فقد أدى بنا التقليد إلى العجز والإحساس بالمهانة، حتى إن البعض قد تقول علينا الأقاويل بأننا أناس ليس أمامهم إلا الانتحار أو الاندحار والاندماج فى الحضارة الغربية، بعد أن كان العالم الإسلامى فى طليعة الحضارة الإنسانية، فى حين أن من كانوا وراء تخومه هم البرابرة والكفار، فكان الإسلام قرين الحضارة، وخذ ما يؤكد هذا؛ كتاب جديد صدر عام ٢٠٠٢م للمفكر الغربى «برنارد لويس» بعنوان: «ما الخطأ؟ تأثير الغرب واستجابة الشرق»، فيقول بأن استجابة العالم الإسلامى للتأثر الغربى

وقفت عند حدود التغريب، تحت إغواء تغريب الملبس والمأكل والموسيقى والفنون، فى حين أن دولاً كشرق آسيا استمدت تحديثها من الغرب وأفلتت من قبضة التغريب.

لقد تبنت دولنا مثلاً نماذج اشتراكية مستوردة صرنا نتشدق بها حينًا من الدهر، فحولت بعض أممنا إلى نظم فاشية أو نازية قمعية أحيانًا، وبعد أن كنا خطوة إلى الأمام صرنا خطوتين إلى الخلف.

## سادسًا : الحرج أمام الوفود الأجنبية

ما هو الإسلام فى مظهره ومخبره فى دياره؟ تلك بغية السائح فى ديار المسلمين.

يفد إلينا الأجانب من كل فج عميق؛ ليشهدوا منافع لهم، فديارنا كلها خيرات حسان، يطمع السائح دائمًا فى أن يجد المزيد والجديد بما لم يألفه فى بلاده.

ولكن سائح الغرب إذا وفد إلى بلاد الشرق ليجدها صورة لما ألف فى بلاده، فإنه يقلب كفيه على ما أنفق فى رحلته، وكم يزدرى المقلدين ويبطن لهم الاتهام باضمحلال الشخصية والتبعية حين يرى سلوكنا كسلوكهم وأزياءنا كأزيائهم ونساءنا على شاكلتهم، ملابسهن تجسد العورات، ملامح المرأة الشرقية قد توارت، كم يسر الندامة حين يجد بلادنا صورة للغرب، وكم يقللنا ذلك فى أعينهم، مع أنهم قد قرءوا وسمعوا عن أعراف طيبة ودين القيمة وإشراقات روحية أفلست فى توفيرها لهم الحضارة الغربية، كم يتحسر حين يجد عمارتنا نموذجًا لعمارتهم، حين يرى أماكن للخنا فى بلاد إسلامية، حتى مطعوماتنا، حين يرى قوانيننا كقوانينهم وفنون الرقص عندنا أخاذة، وبالجملة فإنه لن يتردد فى إدراجنا فى قائمة الذين فقدوا الهوية وصاروا تبعًا للأسياد.

واهتمام المرأة العربية بالموضات الغربية وحرصها على التقليد، لا تستسيغه السائحات الغربيات اللائى يحضرن لزيارتنا، أفصحت عن ذلك صحفية إنكليزية زارت مصر مؤخرًا، وكتبت مقالاً فى مجلتها تقول فيه: «لقد صدمت جدًا بمجرد نزولى أرض المطار، كنت أتصور أننى سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة، ولا أقصد بهذه المرأة التى ترتدى الحجاب والحبرة، وإنما المرأة الشرقية المتحضرة التى ترتدى الأزياء العملية التى تتسم بالشرق وتتصرف بطريقة

شرقية، فالأزياء هى نفسها بالحرف الواحد، وتسريحة الشعر هى نفسها، والمكياج هو نفسه، حتى طريقة الكلام والمشية، وفى بعض الأحيان إما الفرنسية أو الإنجليزية[1]».

بماذا تجيب المرأة العربية الكاسية العارية على السائحة الأجنبية حين تسألها عن زى قومها؟ لا جواب سوى التلعثم والخزى، كم ألقى التقليد أضواء باهتة على تراثنا ومجدنا، فإذا لم يجد السائح بغيته من رحلته فلن يعود إلى بلادنا مرة أخرى، لقد جاء يبحث عن الجواهر الكامنة فى بلادنا، فإذا به يجد الذهب قد ذهب وذهبت معه الخصوصية الحضارية بثمن بخس.

## سابعًا: تآكل حضارى حتى فى مجال الفنون

مرحبًا بالفن والمبدعين فى كل واد، نستقبله بالورد والأحضان، فهو من سمات الحضارة والارتقاء ولا يجحد ذلك إلا مريض الجمود الفكرى، ومن هنا كان للفن الإسلامى دولته ومكانته؛ لأنه كان محوطًا بسياج الدين، ولكن التقليد الذى دب فى هذا المجال نال من خصوصيتنا وما كان ينبغى.

فالغناء العربى أصابه التقليد و(التنطيط)، فقد طفا على السطح طوابير المبدعين بزعمهم، وصار الشباب همهم الرقص والنقص، بعدما أسكرتهم الموسيقى الصاخبة فقهوا فيها أو لم يفقهوا.

وطغى المدَّعون على المبدعين وصارت الأغنية العربية صراخًا وصخبًا وكلامًا يفسد الذوق، والآلات الموسيقية التى أنتجت تراثنا صارت مهددة بالهجران، وصار الفنانون يشكون بعضهم بعضًا؛ لأن من شيعتهم من وقع فريسة تقليد الأجانب[2].

ولقد وصل الفن لدينا إلى طريق مسدود أو قل فقد رسالته، فما يحدث الآن لا يمت من قريب أو بعيد إلى الفن، إنما هو فى الغالب عرى وابتذال وترويج للإباحية، والأسوأ أننا قد نقلنا رؤية الغرب لمسألة الجنس وتصوره عنها دون أن ندرى بطبائع مجتمعاتنا، ويجأر المنصفون منا اليوم لضبط ما يقدم باسم الفن وعرض كل عطاءات الحضارة الغربية فى شقها السلوكى على مبادئ الإسلام، فما وافقها قبلناه وإلا رجمناه.

(١) سيد سابق، فقه السنة، ص ٤٦ .

(٢) جريدة الأنباء الكويتية فى ١٩/٤/١٩٩٨م، الأهرام القاهرية فى ٦/٦/٢٠٠٣م، الأغنية بين الفخ التجارى وآلية القنوات الفضائية.

أعمال فنية بالغة الهبوط تعرض على شبابنا بالغداة والعشى، نتاج الاجتراء على الفواحش واستباحة الحرمات وتفشى الفراغ العقائدى والتفسخ الخلقى الذى انحدر إليه أصحاب الاختراع والابتكار، وقد أعان على ذلك الاستخدام السيئ لأجهزة الفيديو التى يقبل على اقتنائها المترفون، وهو ما يعجل بالفسق المبكر لأبنائهم، وأعمال يقال إنها فنية وهى تحط من قدر المرأة وتجعلها فريسة للرجل، ولا ضير أن ينقض عليها إن لم تسلم نفسها له بالمداعبة أو الرضا.

أما الوجه الوضاء للحضارة الغربية فإن تجار الثقافة عندنا عنه عازفون، فهم فقط مولعون بالسفالة الجميلة وشهادة الزور.

ليكن معلومًا بالضرورة أن الإسلام لا يحرم الفن وإنما يحرم الرذيلة، فالفن الملتزم ينمى المشاعر الإنسانية ويحضنا على المحاسن ـ أما أن تتحول المرأة المسلمة فى محراب الفنون مثلاً إلى صديقة لرجل أو عشيقة لآخر وخادمة له تحت شعار الحب والهيام، وتتفشى عندنا الغواية، فأين الشرف والعفاف والعرض المصون الذى يسجله الغرب لنا ويود أن ينقله إلى رحابه؟! لقد خلت الفاحشة من بلادنا قرونًا طويلة رغم انتشارها فى المجتمع الغربى بشكل طبيعى، فهل تعود إلينا مع أنباء رذائل الحضارة الغربية المرموقة؟

والشعر والنحت والتمثيل والموسيقى وغيرها من الفنون الراقية لا يعاديها ديننا مادامت قد تجردت مما يسىء إلى العقيدة، فقد مارس أبناء الإسلام كافة الفنون فى تعبيرها عن النفس البشرية، وأبدع بنوه أشكالاً متنوعة من الشعر والموسيقى والتصوير والنحت والرسم والعمارة، وكان ذلك أبلغ تعبير عن هوية وذاتية عريقة عريضة اتسعت لكل الخصوصيات الحضارية؛ للأجناس والأمم التى دخلت فى دين الله وتباركت بسننه، والإسلام لم يمنع الصورة وإنما منع عبادة الصورة ومنع تقديسها، ولا يحرم السينما والفيديو مادامت النية فى استخدامها خيرًا، فقيمتها فى إستراتيجيتها الفكرية والتربوية والثقافية التى تتركها وترسم لها إطار عملها[1].

إن الفن ليس عيبًا، وإنما هو أمر وعلم مفيد للناس إذا كان الفن المبسوط لنا هادفًا يحمل رسالة، مضمونها أن نرتقى بالحياة إلى الأفضل، وهو يكون كذلك إذا لم يتعارض مع القيم وحث على الفضيلة والطهر وأسهم فى حل المشكلات وميز الخبيث من الطيب.

(١) اللواء الإسلامى، ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ الموافق ٢٧ فبراير ١٩٩٢م.

# الفرع الرابع

## جزاء التقليد المرذول

## (الإثم ومعصية الرسول ﷺ)

### أولاً: الحلال والحرام والمكروه وخلاف الأولى من تقاليد الأجانب

يقول القرآن الكريم: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢]، كما يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، فكل صغير وكبير مستطر من الخبيث والطيب، وإذا جئنا لتقليد الغرب فالتقليد فى محاسنهم هو شأن ديننا؛ لأنها أصلاً بضاعتنا.

فإذا كان تقليد الأجانب فى النفيس فهو مباح بإطلاق، بل أحيانًا يكون واجبًا أو مندوبًا، ومن ذلك المحاسن التى أسلفنا فيها القول كعدل الحكام، وعلم العلماء، والإقبال على القراءة والاعتزاز بالقومية، وقد صاروا فى عصرنا مضرب الأمثال فى الشورى واحترام الآخر والرأى الآخر والدقة والإتقان وصدق الوعد والوفاء بالعهد.

أما كل سلوك مرذول يتجلى فيه التناقض بين مبادئ الدين وواقع المسلمين فإنه يوقع صاحبه فى الحرام فعليه وزره بل ووزر من عمل به، وهنا يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]. مثل كشف العورات، واندثار الكمالات واستيراد لغات مع حسناء الحسناوات - لغتنا العربية - نتعامل بها دون لغتنا.

فالحكم الشرعى بالنسبة للتقليد فى المساوئ يتردد بين الحرام والمكروه وخلاف الأولى، على حسب ما هو مقرر فى أصول الفقه، والرءوس التى يتهافت حولها الأتباع والأذناب، كلهم فى قارب واحد أو سلة واحدة، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، والشاب العربى الذى انطلت عليه الملامح الأوروبية، أليس فى ذلك إثم كبير ومعصية للرسول ﷺ؟ وكذلك الفتاة العربية التى يحسبها الجاهل أوروبية، لقد حذر البشير النذير من التقليد وسماه «اتباع السَّنن» فى الحديث المشهور الذى يقول فيه عليه الصلاة والسلام: «لتتبعن سَنن الذين من

**قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم». قلنا** يا رسول الله، اليهود والنصارى قال «**فمن؟**» [1] وفى رواية: قال رسول الله ﷺ: «**ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من قبلهم أهل الكتاب حذو القذة بالقذة**»[2] وفى رواية أخرى زيد فيها: «**وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته فى الطريق لفعلتموه**»[3].

أفرأيت أدق من هذا الوصف المُعجز لهذا الذى أخبر عنه رسول الله ﷺ؟ وماذا وراء جُحْر الضب؟! إنه تعبير غاية فى الدقة، ومثلٌ غاية فى الدلالة على المقصود من السير على الخطى نفسها ومواضع الأقدام ذاتها «**شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**»، لقد كان ما أخبر عنه المصطفى عليه الصلاة والسلام غيبًا فأصبح اليوم واقعًا ملموسًا.

## ثانيًا: فتاوى إسلامية بشأن التقليد المرذول

سبق لنا فى الفصل الأول أن أوضحنا حكم الشرع الإسلامى فى بعض مظاهر التقليد.

ولقد سئل بعض أهل الذكر عن حكم حفلات الزفاف اليوم، فأجاب أن يوم الزفاف يوم من أيام الله المباركة فلنلتزم فيه بالآداب الإسلامية ولا نرتكب فيه محرمًا، فلا يجوز شرعًا فيه كشف العورات أو الاختلاط المرذول أو الرقص الفاضح والغناء الماجن[4].

والمرأة التى تُصَفِّف شعر الرجال تقليد يحرمه الإسلام وإذا كانت النظرة محرمة، فكيف بالمرأة التى تتحسس أجساد الرجال؟!

وهناك من الملعونين ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث، ورجلة النساء» أى المتشبهات بالرجال[5] وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء**»[6].

---

(١) رواه البخارى، كتاب الاعتصام ، حديث رقم ٧٣٢٠.

(٢) رواه أحمد فى مسنده برقم ١٧٥٩٩.

(٣) حديث صحيح رواه الحاكم والبزار ( صحيح الجامع ٥٠٦٧).

(٤) انظر ملحق الأهرام فى ٢٠٠٠/٩/٨م، اسألوا الفقيه.

(٥) حديث صحيح أخرجه النسائى برقم ٦٥٦٢ وأحمد ج/٢٠/٣٤، وانظر فقه السنة للشيخ سيد سابق.

(٦) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد.

## البنطلون الضيق:

هل لبس البنطلون الضيق للمرأة يوافق الشرع أم لا؟ وهل تعرية الشعر والذراعين والرجلين أسفل الركبة جائز أم لا؟

الإجابة: لبس المرأة للبنطلون الضيق المفصّل لجسمها حرام شرعًا كما أن تعرية شعر المرأة وساقيها حرام شرعًا.

وبالنسبة لحدود الزى الشرعى فهو كل ما يستر جميع بدنها ما عدا الوجه والكفين شريطة أن يكون واسعًا محتشمًا فضفاضًا لا يشف ولا يصف بدنها.

وبالنسبة لعقوبة التبرج والسفور فى الآخرة فهى عقوبة شديدة وهى من الكبائر شرعًا، وبالنسبة لمن يشترط خلع المرأة لحجابها فى العمل والدراسة فإنهم آثمون شرعًا، ولا يجوز للمرأة أن تفعل ذلك، قال ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق**»(1).

## حلاق السيدات:

تسأل القارئة من القاهرة قائلة: ما حكم الدين فى تصفيف الرجال لشعر امرأة أجنبية؟

يجيب فضيلة الشيخ محمود عاشور وكيل الأزهر الشريف بقوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ**﴾ [النور: ٣٠، ٣١] هذا أمر من الله تعالى للرجال والنساء على السواء بأن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، فلا ينظرون إلا إلى ما أباح الله لهم النظر إليه؛ لأن النظرة داعية إلى فساد القلب وذريعة للوقوع فى المحرمات.

وقد روى عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ فى

---

(1) الأهرام فى ١٥/٥/٢٠٠٣م، والفتوى صدرت فى ٢٨ رجب ١٤٢٢هـ، الموافق ١٥/١٠/٢٠٠١م.

الحديث القدسى: «إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، من تركها مخافتى أبدلته إيمانًا يجد حلاوته فى قلبه».

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق وزنا الأذنين الاستماع وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين الخطى، والنفس تتمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».

وقد أوضحت الآية الأخيرة أنه يجب على المرأة أن تستر جسدها من قمة رأسها إلى القدمين، وفقط يباح لها كشف وجهها وكفيها حسبما جاء فى حديث السيدة أسماء بنت أبى بكر، عن خالد بن دريك عن عائشة: أن أسماء بنت أبى بكر دخلت على رسول الله ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: «يا أسماء أما علمت أن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا؟» وأشار إلى وجهه وكفيه.. رواه أبو داود.

ولما كانت هذه النصوص من القرآن والسنة قد أوجبت على المرأة ستر جسدها من قمة رأسها إلى قدميها وحرمت النظر إليها من غير زوجها ومحارمها الذين بينهم الله فى هذه الآية الأخيرة كان مس شىء من جسدها محرمًا؛ لأنه أكثر إثارة للغرائز من النظر، ولما كان الرجل الذى يقوم بتصفيف الشعر لغير زوجة له أو لغير محرم منه إنما يمس جزءًا من جسدها وجب ستره، وحرم الله النظر إليه وبالتالى حرم مسه، وكان هذا العمل محرمًا على الرجال، وكل عمل محرم يكون كسبه محرمًا، مع أن تحرى الكسب الحلال من الواجبات التى أمر الله سبحانه وتعالى بها فى القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله ﷺ، قال تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

## وبالنسبة للحفاوة بالكلاب على النمط الغربى:

سأل سائل عن حكم ذلك فأجاب عن ذلك الدكتور عبد العزيز عزام الأستاذ بجامعة الأزهر: الكلب نجس يجب اجتنابه لما رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «إذا شرب الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبعًا» ولأحمد ومسلم: «طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب».. والكلب يحرم اقتناؤه وتربيته لأنه يحرم استعماله إلا لضرورة الصيد

أو الحراسة، وحيث لا ضرورة تدعو إلى اقتنائه فلا يجوز اتخاذه لنجاسته، ولما روى أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة ولا جُنُب، فإن كان لحراسة الزرع أو الماشية أو كان يستخدم للصيد فهذا الكلب مأذون فى اتخاذه من جهة الشرع، وأما غير ذلك فلا يجوز، ويدخل فى المباح اتخاذ الكلاب البوليسية المدربة بقصد استعمالها للغرض الأمنى والتعرف على المجرمين لردعهم، فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من اتخذ كلبًا إلا كلب زرع أو غنم أو صيد ينقص من أجره كل يوم قيراطًا**». إذن فلا يجوز الاحتفاظ به بدون حاجة؛ للنهى الوارد فى ذلك، وعليه فلا يجوز تدليلها والإنفاق عليها ببذخ على النمط الغربى.

## زواج الفرند (الأصدقاء)

بالنظر إلى تأثير قيم وعادات المجتمعات الغربية على سلوكيات أبناء المسلمين هناك خاصة بالنسبة للعلاقات المفتوحة بين الجنسين، فقد أباح البعض زواج الأصدقاء، هذا الزواج الذى يقوم على توافر الأركان الأساسية لعقد الزواج والشروط الشرعية كالشاهدين والمهر وصيغة العقد، وإشهاره ولكن دون اشتراط وجود منزل للزوج، فوجود منزل للزوج ليس شرطًا مهمًا للزواج، وهذه الفتوى من فوائدها أنها تحول دون علاقات الفتى والفتاة خارج عقد الزواج[1].

## فتوى الزواج المؤقت[2]

«الزواج المؤقت» نموذج جديد للعلاقات غير الشرعية.

استكمالاً لسلسلة الزيجات المحرمة شرعًا «زواج فريندز» زواج ويك إند، الزواج بالدم، زواج الوشم ، ابتدع الشباب والفتيات ما يسمى «الزواج المؤقت»؛ لاستباحة كل أنواع المتع الجنسية، والأمر لا يتطلب سوى ملء هذه الاستمارة.

اتفقنا نحن فلان وفلانة على أن يجمع بيننا رباط الحب المقدس بموجب عقد زواج مؤقت ينتهى فى «توقيع الزوجة - توقيع الزوج»، فما مشروعية هذه العلاقة؟ وإذا ترتب عليها إنجاب أطفال فما مصيرهم؟ وما دور المجتمع؟.

الدكتور عبدالله سعيد أستاذ الفقه بجامعة الأزهر ينبهنا إلى خطورة هذه

(١) الأهرام فى ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٣ م.
(٢) الأهرام فى ٧/٣/ ٢٠٠٦م.

العلاقات لما لها من آثار دينية واجتماعية خطيرة، مؤكدا أن الزواج وفقًا لهذه الورقة باطل باطل، واعتبره عدوانًا واستهزاءً بالقيم الإنسانية والمعانى السامية التى شرع الله تعالى الزواج من أجلها بل إنها رخصة لاستباحة الزنا.

وأضاف أن هذا الزواج لا يجيزه الشرع لعدة أسباب منها: تحديد المدة «مؤقت» وهو محرم بنص حديث النبي ﷺ عندما حرم نكاح المتعة «نكاح مؤقت»؛ لأنه يتعارض مع الغرض الأساسى للنكاح وهو الدوام والعشرة وتأسيس بيت الزوجية، كما أنه نكاح سر، وبالتالى يعد نوعًا من أنواع الزنا، وأيضًا عدم وجود ولى يجعله باطلاً، قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل**». وقال إن المرأة عندما تجد نفسها تنتقل من زوج إلى آخر، فلن يتحقق استقرار الأسرة، وفيما يتعلق بهذا الزواج وإنجاب الأطفال أكد أنهم أبناء سِفاح ولا يعترف بهم الشرع والقانون؛ لأنه مخالف لأمر الله تعالى ورسوله الكريم، قال تعالى :﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] ؛ لذا يجب على الشاب والفتاة اتباع تعاليم الإسلام والبعد عن مغريات الشيطان.

ومن جانبه، يوضح الدكتور على مكاوى أستاذ الاجتماع بجامعة القاهرة أننا أمام أزمات اجتماعية عديدة تتطلب من أجهزة الدولة ضرورة التصدى لها بكل الوسائل كأزمة تكدس أعداد طلاب الجامعات والمدارس بجانب البطالة وازدياد نسبة العنوسة وغلاء المهور، إضافة إلى خلو الساحة من الضوابط الشرعية والأخلاقية التى تحول دون إفراز ظواهر تتنافى مع القيم والعادات الإسلامية، وأضاف أن عدم وجود مشروع قومى يلتف حوله الشباب ويحتضنهم بحيث يشبع الجانب المعنوى والنفسى والاقتصادى – أحد عوامل إقبال الطلبة والطالبات على مثل هذا النوع من الزواج بجانب كثرة المغريات التى تخاطب غرائز الشباب مثل «الشات» والفضائيات والملابس الضيقة، وأعرب الدكتور مكاوى عن قلقه لما يتعرض له شبابنا من غزو ثقافى ووقوعه تحت تأثير الغرب وتقليده بصورة عمياء تحت مسمى الحرية الفردية. وفى أحيان كثيرة يقودهم هذا المفهوم الخاطئ إلى الوقوع فى مفاسد الأخلاق وممارسة الرذيلة. ولتجنب مثل هذه العلاقات رأى ضرورة العمل على تنمية الوعى الدينى والاجتماعى لكل من الشاب والفتاة، بجانب تسخير العلم لبناء الشخصية القوية مع توظيف الإعلام المسموع والمقروء والمرئى للتحذير من عواقبه، بالإضافة إلى عادة تذكير الطبيب بالقسم الذى بدأ به حياته الطبية بعدم القيام بأى عمل فيه غش وخداع.

## فتوى عملية نقل الأرحام(١)

عن وجهة النظر الشرعية ومدى توافق هذه الجراحة مع مقتضيات الشرع والدين يرى فضيلة الدكتور مصطفى العطفى عضو مجمع البحوث الإسلامية أن نقل الأرحام بهذه الصورة حرام شرعًا؛ لأن الزوج يلقح رحمًا غير رحم زوجته، حتى وإن كان فى جسدها، وهذا يعتبر زنا، والحقيقة أن الولد الناتج عن هذه العملية يكون سفاحًا وابن زنا وليس ابنا شرعيًا. ويرجع د. العطفى فتواه استنادًا إلى أن الرحم يحوى بداخله المبيض، والمبيض هو الذى يحمل الصفات الجينية والوراثية للمرأة مشاركة مع الزوج الذى يلقحها بالحيوانات المنوية، فإذا ما حملت المرأة تلد طفلاً يحمل نفس صفات صاحبة الرحم الوراثية وهنا تختلط الأنساب، وعليه وجبت الحرمانية.

وأضاف الشيخ مصطفى العطفى أن جمهور العلماء أجمعوا على حرمة إجراء عملية الجب، وهى لمن لا يعرفها قطع عضو الذكورة عند الرجل، كما كان يفعل بالصين فى زمن من الأزمنة أو عضو الأنوثة عند المرأة، وهو فى حالتنا هذه الرحم والمبايض بصفته عضوًا وحيدًا مسئولاً رئيسيًا عن النسل الذى حفظه الله. أما الشيخ علاء الدين إبراهيم عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف فيرى أنه يجوز إجراء عملية نقل الرحم من امرأة إلى أخرى ولكن هذا معلق بشرط واحد ألا يتم نقل المبيض، حيث إنه المسئول عن إنتاج بويضة المرأة، وهنا تصبح البويضة داخل جسم المرأة أجنبية عنها إذا ما التقى الحيوان المنوى ببويضة أجنبية كان ذلك زنا واختلاطًا للأنساب، وأضاف بأن حرمانية نقل الرحم تندرج من حرمانية نقل الأعضاء عمومًا وبالبيع والشراء، حتى لا يكون جسد الإنسان سلعة تباع وتشترى.

## هل يجوز للمرأة المسلمة أن تعمل كوافيرة؟

ما حكم الشرع فيما يسمى بكوافير السيدات فيما إذا كانت تقوم به سيدة؟ ويتمثل هذا العمل فى تصفيف الشعر للمحجبات وغيرهن، وأخذ شعر من الحاجبين والوجه والذقن وعمل الماكياج للعرائس وغير العرائس، وهل المكسب العائد من ذلك حلال أم حرام؟

يجيب عن هذا السؤال الدكتور أحمد الطيب مفتى الجمهورية الأسبق فيقول: إذا

(١) جريدة النبأ فى ٥/٣/٢٠٠٦م.

كان الحال كما ورد بالسؤال فإنه يجوز للمرأة أن تعمل فيما يسمى بالكوافير وذلك بتصفيف الشعر للمحجبات، ويؤخذ الشعر من الحاجبين بشرط ألا يصل إلى حد التنمص (وهو الإزالة الكاملة لشعر الحاجبين أو ترقيقهما ترقيقًا يخرجهما عن الشكل الطبيعي للحاجبين) وذلك لما روى أن رسول الله ﷺ لعن النامصة والمتنمصة. أما إزالة الشعر عن الوجه والذقن وبقية الجسد فجائز ولا شيء فيه. ويجوز للمرأة أن تمارس مهمة تزيين الزوجة لزوجها والعرائس لأزواجهن، وذلك لما رواه الطبرى أن امرأة أبى إسحاق دخلت على عائشة رضى الله عنها وكانت شابة جميلة يعجبها الجمال فقالت: المرأة تحف جبينها لزوجها؟ فقالت رضى الله عنها: «أميطى عنك الأذى ما استطعت». فمثل هذه الأعمال لا مانع من أن تقوم بها المرأة.. وبالنسبة لتصفيف شعر غير المحجبات فإنه ينبغى على المرأة المسلمة العاملة بالكوافير أن تتجنبه قدر الإمكان، فإن كانت مضطرة لذلك بحيث لا يمكنها الاعتذار عن مثل هذا العمل، فالإثم فى هذه الحالة على التى تصفف شعرها وتخرج به دون حجاب، ولا إثم على التى تقوم بهذا العمل ما دامت مضطرة إليه[1].

## تسمى المرأة بلقب زوجها وعائلته:

سألت أخت من تونس: هل يجوز أن تسمى المرأة بلقب زوجها حيث إن هذا هو المعتاد فى بلادنا؟

ـ المرأة فى الإسلام إذا بلغت راشدة لها شخصيتها المستقلة ماليًا وهى منذ ولادتها تحتفظ بنسبها إلى أبيها، ولا يجوز لها بعد الزواج أن تلغى نسبها الذى ولدت به وتنسب إلى زوجها، فهذا أمر يخالف ما شرعه الله من المحافظة على الأنساب، ولذلك حرم الإسلام التبنى وجعل الزواج المشروع وحده السبيل لاكتساب النسب، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾.

وأما ما يجرى فى بعض المجتمعات الإسلامية من أن تنسب المرأة بعد زواجها إلى أسرة زوجها فهو تقليد غربى لا يقره الإسلام، وكم فى مجتمعاتنا للأسف من تقاليد وأعراف غربية تحاول أن تبعدنا شيئًا فشيئًا عن هويتنا الإسلامية الأصيلة، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون[2].

(١) د. أحمد الطيب، الأهرام ٢٠٠٣/٥/١٩م. (٢) أ.د. محمد الدسوقى، الأهرام، فى ٢٠٠٤/٤/٦م.

## كرة القدم النسائية.. مباحة بشروط

ممارسة الرياضة صارت مطلبًا ملحًا لبناء المؤمن القوى إلا أن الإسلام جعل للمرأة المسلمة خصوصية تناسب بنيتها الجسدية، ومن هنا فإن ممارسة الرياضات النسائية يكون لها ضوابط شرعية تنبع من هذه الخصوصية. وتلك الضوابط تدور حول ستر العورة وعدم التبرج وعدم الاختلاط الذى يؤدى إلى الاحتكاك بحيث تمارس الرياضة فى مكان مصون لا يطلع عليهن فيه الرجال. ومن الضوابط الشرعية ما نستقيه من قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ لأنه لا يحل للمرأة أن تمارس من الرياضات ما يخرجها عن طبيعتها الأنثوية كرياضة كمال الأجسام. كما يجوز تنظيم دوري كرة قدم نسائيًا مثلاً، بناء على ما توافر فيه من شروط شرعية، ومنها منع الرجال من دخول النادى للمشاهدة والتزام النساء بارتداء ملابس واسعة، وأن يتولى التدريب والتحكيم نساء أيضًا، فالأصل فى الأشياء الإباحة، كما هو مقرر عند الفقهاء، مع ستر العورات وهذا هو الأساس(١).

## القتل الرحيم للأطفال

السبق والريادة فى إصدار قوانين غريبة تبيح المحرمات، أهم ما تتميز به هولندا. وستصبح هولندا أول دولة تسمح (بالقتل الرحيم للأطفال) الذين يعانون من أمراض غير قابلة للشفاء. وفى الوقت الحالى يتم تشكيل لجنة لتحديد متى يسمح بتطبيقه.

فهل تبيح الشريعة الإسلامية إنهاء حياة الأطفال الميئوس من شفائهم؟

الدكتور أسامة الغنام عميد طب بنين الأزهر يوضح لنا فى البداية المقصود بالقتل الرحيم فيعرِّفه بأنه تسهيل موت الشخص الميئوس من شفائه بناء على طلب منه أو من أهله.

وأوضح أن قتل الرحمة يتم بعدة صور منها :

أولاً : إعطاء المريض جرعة زائدة من دواء يعجل بموته مثل المورفين وهو ما يحدث فى بريطانيا لتقليل عدد أيام مرضه وعذابه، وذلك بالتشاور مع أهل المريض أو بناء على طلب المريض نفسه.

(١) د. أحمد عمر هاشم ، الأهرام فى ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٦ .

ثانيًا: القتل غير المباشر من خلال إعطاء المريض الميئوس من شفائه عقاقير مسكنة للآلام الشديدة، ومع مرور الوقت يضاعف الطبيب الجرعة للسيطرة على أوجاع المريض، لكن قد تؤدى تلك الجرعات الزائدة إلى الموت غير المقصود.

ثالثًا: مساعدة المريض على الانتحار من خلال قيام المريض بقتل نفسه بالوسائل المساعدة.

وعن الرأى الشرعى يقول الدكتور جمال الدين محمود عضو مجمع البحوث الإسلامية: إن فكرة القتل الرحيم عنوان زائف لجريمة قتل وترفضه الشريعة بجميع صوره.

وأضاف أن الشريعة الإسلامية تحمى النفس البشرية من كل صور الاعتداء عليها سواء كان الشخص كبيرًا أو صغيرًا، كما تحمى الجنين فى بطن أمه متى نفخت فيه الروح، يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾ بمعنى أن قتل النفس لا يكون إلا فى ميدان الجهاد أو حرب مشروعة أو قصاصًا من شخص قاتل بعد محاكمة عادلة. كما لا يسمح الإسلام بإهدار النفس إلا فى الأحوال الشرعية مثل حق الدفاع عن النفس.

فالإسلام يأمرنا بمعالجة المريض حتى آخر لحظة، كما يأمرنا بعدم اليأس من رحمة الله مهما بلغت شدة الألم.

والمقصود برحمة الله هو بذل الطب والطبيب كل جهده وعلمه لانقاذ من تتعرض حياته للخطر ولو كان جنينًا.

وما يطلق عليه القتل الرحيم هو أشد صور العدوان على الإنسان ويعتبر وسيلة لكى يتخلص الطبيب أو أهل المريض أو المجتمع من المسئولية الطبية أو المالية أو العائلية.

إن الرحمة هى رحمة الخالق بعبده سواء بغفران ذنوبه لقاء معاناته من المرض أو بقيام أقرب الناس ببذل أقصى جهده لتخفيف ألمه. وقد نهانا الحديث الشريف عن تمنى الإنسان الموت لضر أصابه، فلا يحل لشخص قتل نفسه للتخلص من أوجاعه، وأقصى ما يباح له أن يدعو الله تعالى أن يحييه إذا كانت الحياة خيرًا له، وأن يتوفاه إذا كان الموت خيرًا له[1].

(١) الأهرام فى ٣٠/ ٤/ ٢٠٠٦ ، د. جمال الدين محمود.

## فتوى : أريد عريسًا بالإنترنت:

أكد أستاذ الدراسات العليا فى جامعة الأزهر الدكتور عبد العظيم المطعنى «أن لجوء بعض الشباب والفتيات إلى التعارف وإبرام عقود الزواج عن طريق الإنترنت باطل وأن هذه الطريقة لا تُعتَمَد شرعًا فى الزواج المشروع ولا تترتب عليها أى آثار شرعية».

وقال: إن هذه الصورة التى تحدث هذه الأيام بين الشباب والفتيات بواسطة الإنترنت بأن يتحدث بعضهم لبعض ويتعارفوا ويتفق بعضهم على الزواج ويقوموا بإحضار شهود على عقد الزواج فى غيبة ولى الأمر وكل واحد فى دولة لا يجوز شرعًا، ورأى أن هذه الطريقة فى إبرام عقود الزواج لا تعتمد شرعًا فى الزواج المشروع ولا يترتب عليها حقوق شرعية لأى طرف من أطراف العقد[1].

## التقرير الطبى هل يغنى عن العدة؟

هل يجوز عند طلاق المرأة أو وفاة الزوج الاكتفاء بتقرير طبى يفيد بالكشف عليها أنها ليست حاملاً ويستغنى بذلك عن العدة المقررة شرعًا؟ وما الحكم فى ذلك؟

يجيب عن هذا السؤال الدكتور عبدالغفار حامد هلال قائلاً: العدة إنما شرعت لحِكَمٍ أرادها الله تعالى منها أن العدة إلى جانب استبراء الرحم فرصة فى الطلاق الرجعى لعودة الوفاق بين الزوجين، وكذلك فى حال الطلقة البائنة ـ فى غير الطلاق الثلاث ـ للزوج أن يعيدها إلى عصمته بعقد جديد فتعجل انقضاء العدة بمجرد توقيع الكشف الطبى يحرم الزوجين من هذه الفرصة والتقرير الطبى قد يخطئ ويترتب عليه الفساد باختلاط الأنساب وغير ذلك من العواقب الوخيمة وتقدير زمن العدة شرعًا تقدير من لدن حكيم خبير ولا مجال للاجتهاد فيه، فعلماء أصول الفقه يقولون: «لا اجتهاد مع النص»[2].

## التنكر لأعرافنا حرام أو مكروه أو خلاف الأولى:

إن التخلى عن الزى القومى هو فاتحة الكتاب فى انقراض الأمم المجيدة، إذ يتلوه تنازلات تلو الأخرى تدخلهم بعد حين فى عداد الأمم البائدة، إن المرأة السوية تدرك أن حرية المرأة لا بتقصير ثيابها والتخلى عن زيها واستدراجها

(١) مجلة نصف الدنيا، العدد ٨٣٠، ٦ يناير سنة ٢٠٠٦م، ٦ ذو الحجة ١٤٢٦هـ.
(٢) عبد الغفار هلال، الأهرام فى ٤ / ٤ / ٢٠٠٤ م.

إلى الإثم ومعصية الرسول، وإنما فى تفكيرها وكمال عقلها، فالحرية بلا حدود منافية لطبيعة المرأة ويقولون بحق: إن المرأة إذا كانت تطالب بحريتها فهى تكرهها.

إن التنكر لأعراف ديننا هدم للشريعة والأخلاق الإسلامية وهو عين الانسلاخ من الدين وحينئذ يكون التقليد حرامًا أو مكروهًا أو خلاف الأولى، ومن علامات الساعة المعروفة عموم الفوضى بين العباد على الأرض، واللامبالاة بالدين، إذ يتلاشى العباد نتيجة زيغ القلوب والأبصار، وهنا يقول الصادق الأمين عليه الصلاة والسلام: «**لا تقوم الساعة على أحد يقول الله**».

إذا تفشى مرض الاضمحلال والذوبان، وصارت الأمة المسلمة نسخه كربونية من أمم أخرى وهى فى أوطانها، فإن هذا نذير بالانسلاخ من الإسلام وهم يدعون إليه، وحينئذ فمن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها، وهنا يحذر ناصحو الأمة من حياة الزيغ واللامبالاة التى تغشى المتيمين بالتقليد والذين يُعَبَّأُون بالغرب أكثر مما يُعَبَّأُون بدينهم، ويغبون منه أكثر مما يغبون من دينهم، ونعوذ بالله أن يكون هذا نذير من النذر الأولى. إن سادتنا وكبراءنا وكل المتيمين بالتقليد لو علموا منذ نعومة أظفارهم ما فى أعراقنا من محاسن، سيما إذا علموا أن تلك المحاسن رسمت لنا نصف خريطة العالم الإسلامى وجذبت أقوامًا ودولاً أقبلوا عليها يزفون، وحينئذ لأضحوا بمفازة من جرثومة التقليد التى تشوه واقع الإسلام فى الريف والحضر والعواصم والنجوع، واستوى فى ذلك المثقف والأمى، والطالب والأستاذ.

وهنا يقول سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال: ٢٤] .

كما يقول القرآن الكريم: ﴿**وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾ [الأنعام: ١٥٣] .

ولكن لكل داء دواء يُستطَبُّ به، وهذا هو ما نعكف عليه فى الفصل الأخير فإليه نصير.

# الفصل الرابع

# مواجهة التغريب

# و

# التقليـــــــــــــد

يخطئ خطأ فادحًا من يعتقد أن سلوكيات الأمم يمكن أن تُغتال بعاديات السلوك، سيما إذا كان ينبوعها الثقافي: ﴿قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [الجن: ١، ٢].

## المد الإسلامى يأبى تقليد الأجانب:

نحن قادرون على الصمود بفضل الله حتى يأتى الجيل المنشود الذى يستطيع أن يحقق لنا النصر، فالدولة الإسلامية إذا كانت قد توقفت عن المد السياسى فلا يعنى ذلك أنها توقفت أو تعثرت فى الميدان السلوكى، فدأب الحضارات أن يعتريها موجات من المد والجذر ولا تستثنى حضارتنا من هذه الظاهرة، مادمنا قد فرطنا فى الكتاب من قبل.

إن نقطة الانطلاق تكمن فى مشروع النهضة بالمستقبل الذى يستفيد من خبرات الآخرين ويحترمها ويجليها لوقتها، ولكنه لا يتطلع إلى استنساخ نموذجهم الحضارى السلوكى الذى ارتضوه لهم دينا؛ لأننا مختلفون عنهم فى الجذور والآمال والآلام، ومن حقنا أن يكون لنا نموذجنا الفريد الذى يؤهلنا لاستعادة قيمنا وأعرافنا والتى قد يبدو للناظرين أنها دخلت مرحلة الغروب، ولو خطط جيدًا لتحركت مياهنا الراكدة ولاستطعنا أن نذب الذباب عن وجهنا النضير، وتاريخنا الذى كون إمبراطورية إسلامية فى أمد قصير، ولا تزال هى الإمبراطورية الوحيدة.

وتشهد السنوات الأخيرة مدًا إسلاميًا متراميًا متناميًا يدعو كل من أدبر وتولى، فظهرت موجات ثقافية تدعو لعصمة أمرنا، تلقى تجاوبًا صادقًا من كل صاحب حاسة إسلامية، وهو ما فجر الإحساس بالاستغناء عن الغرب، وأصبحت عملية البحث عن الهوية الحضارية الإسلامية تكون أساسًا نفسيًا للاعتداد بالنفس، فبلاد العرب ليست جزءًا من أطلس الغرب، تتأثر بكل ما هب ودب، سيما بعد أن صارت الديمقراطية الغربية مرتعًا خصبًا تأوى فى أحضانها عصابات المافيا ونوادى العراة وأصحاب الشذوذ والمسلكيَّة التى لا تمت بنسب إلى مسيرة الرقى.

فنحن فى دولة المرابطين وعلى أهبة الاستعداد لصد كل سلوك وافد مقتحم لا يروق لنا، بفضل العقيدة القوية التى تزلزل الجبال والقيم التى تشحذ الهمم، وهى

تعلو بمسافات لا يمكن قياسها على ملل أهل الغرب[1]، وعتادنا ذخيرة من ثقافة جيدة وسلوك سوى هما سراج وهاج يستقطب أجيالنا ويخرجهم من التيه، بل وليس علينا بعزيز تصدير الرشد الأخلاقى لأهل الغرب، على ما سنعرض فيما بعد. ولهذا نوزع بحثنا هنا إلى ما يلى:

- **الفرع الأول:** الحصانة الفكرية تمحو الشعور بالدونية وتجلب الحصانة السلوكية.
- **الفرع الثانى:** مواجهة التبعية فى ميدان الدراسات الإنسانية.
- **الفرع الثالث:** المحاسن السلوكية هى القطب الأعظم فى الحضارة.
- **الفرع الرابع:** تقليد الأوربيين فى أحمدِ سُلوكهم.
- **الفرع الخامس:** القدوة السلوكية والاعتداد بالذات الإسلامية.

(١) عماد الدين خليل، مجلة الأمة ، محرم ١٤٠٣ هـ.

# الفرع الأول

## الحصانة الفكرية تمحو الشعور بالدونية
## وتجلب الحصانة السلوكية

وداوني بالتي كانت هي الداء، فالشعور بالدونية والفراغ الثقافي الذى صاحبه لا يقام إلا بالحصانة الثقافية، وهنا يقدم لنا المهرة بأمراض السلوك دواء شافيًا كافيًا نستأصل معه شأفة التقاليد الوافدة والانبهار بالأجانب، سيما أنها فى غير المحاسن الأوروبية، وهذا الدواء الناجع ينبوعه الحصانة الفكرية لأبناء الأمة الإسلامية والتى نعرضها بإيجاز فيما يلى:

### أولاً : الثقافة نظرية فى السلوك:

**١ - الثقافة البناءة والحصانة الفكرية:**

يقول مالك بن نبى إن الثقافة نظرية فى السلوك أكثر من كونها نظرية فى المعرفة.

والثقافة معناها الحصيلة من المعلومات التى يتشكل بها السلوك أو الفكر ولذلك فالفلاح مثلاً يعتبر مثقفًا رغم كونه غير متعلم لأن لديه حصيلة من المعتقدات والخبرات فى مجال الزراعة والبناء المعرفى المتراكم - والمرأة الأمية مثقفة؛ لأن لديها بناء معرفيًا متراكمًا من الثقافة الإسلامية والخبرات الحياتية قد لا نجدها لدى المرأة المتعلمة، ولكل ثقافة وطن؛ ولذلك فهناك ثقافة عربية وغربية وهلم جرا.

يقول الفلاسفة ثقافتنا سر قوتنا ، فبقدر زادنا الثقافى الروحى يرتقى الواقع الإسلامى، فالمد الثقافى المتواصل هو الذى مكن لأمة الإسلام من حفاظها على كيانها من الذوبان، رغم ما اعتراها من خطوب جسام لو اعترت غيرها من الأمم لتحولت إلى أثر بعد عين.

ولكل ثقافة وطن - كما أسلفنا - ولكل وطن ثقافة، فالخصوصية الثقافية سيما فى عصر السموات المفتوحة هى التى تحول دون ابتلاع الأمة، وأتعس أوطان الأرض التى تتبنى ثقافة غير ثقافتها؛ لأن ثقافة الغير فقر[١].

(١) ولكن العلم غير الثقافة فالعلم مشاع بين الجميع، ولا يختلف من دولة إلى أخرى كالطب والكيمياء والفضاء على ما سنرى.

■■ إن الثقافة البناءة هى زاد الشعوب المعطاءة؛ ولذلك يقال إن البيت الفقير هو البيت الخاوى من الثقافة، ولو كان قصرًا مشيدًا، ومما نقل إلينا من الحكمة أن من يحرق الكتب يحرق الشعوب، واليوم هناك مرض ينتشر كالفيروس هو تسطيح كل عميق وتهميش كل لامع وتسخيف كل جاد فى ثقافتنا، وذلك كله يجرى فى القرية والكونية وسط صراع حضارى غير متكافئ.

ذلك ما يقوله المفكر الفرنسى المسلم جارودى[1]، حتى أنه قيل بالنسبة للتنمية المنشودة إنه لا يكتب لها النجاح إلا أن تنبع من الثقافة المحلية، أما إذا كانت مجرد تقليد للغير فعاقبة أمرها خسر.

ولهذا انعقد الإجماع اليوم بين الكتاب والمفكرين والنابهين على ضرورة خروج وسائل الإعلام من مجال الدراسات والبحوث إلى حيز التنفيذ والتأثير الفاعل فى العقل الإسلامى، وإلا نكون قد فرطنا فى الكتاب، ولا مجال للتراخى، وبذلك نعصم أجيالنا المأزومة من استدراج ثقافة الغرب لهم بعيدًا عن أحكام دين القيمة، لأن الحداثة المزعومة كل إيجابياتها رصيد متخم من الرغبات والأهواء ليس إلا، لأننا نأخذ بالمساوئ دون المحاسن منهم.

والشعب الذى لا يمتلك حصانة ذاتية وقوية معًا لا يمكن أن ينفتح على ميدان الثقافات أو يتفاعل معها دون أن يفقد أصالته، وهكذا يكون رجوعنا إلى ذاتنا الإسلامية جذوة الحماس التى ندخل بها صرح الحضارة من بابها الشرعى واثقين من أنفسنا فلا تخيفنا ممتلكات العدو وما يحوزه من أعاصير الدمار، فهناك حصون مشيدة من التوجيه المعنوى ومن الدفعات الفكرية التى تحمى الأمة من أية هزيمة حضارية.

إن اقتناء رصيد هائل من ضروب المعرفة الإسلامية هو الذى يولد الحاسة الإسلامية ويكون زادًا روحيًا يطرد معه الشعور بالدونية.

فى إنجلترا يمنح أمين المكتبة لقب «لورد» تشريفا وتعظيما، ومن هنا كانت الشهرة الفائقة للمتحف البريطانى فى لندن أو المكتبة الأهلية فى باريس. أما عندنا فأمين المكتبة عامل شريف أو موظف بسيط خازن للكتب، حتى قيل عنا: إن القراءة هى العدو الأول للعرب. وعلى سبيل المثال أعلن موشى ديان وزير

(١) مجلة العربى، نوفمبر ١٩٨٠ م.

الدفاع الإسرائيلي السابق كثيرا من الأسرار الحربية فقيل له: إن العرب سيغنمون من ذلك، قال لهم: اطمئنوا، إنهم لا يقرءون.

**٢ - بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة:**

أقم دولة الإسلام في ربوع دارك تقم دولة الإسلام في دولتك ومن هنا نبدأ..

نعم! بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة، وإلا كانت الخسائر فادحة والهوية عبارة عن الشفرة التي تمكن الفرد أن يعرف نفسه، وحدود علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ورموز هذه الشفرة تعتمد على التراث الثقافي والبعد التاريخي.

وإذا كانت الصحوة الإسلامية قد حققت شيئًا ذا بال، فهو انكشاف مخططات المؤامرة لصهرنا في بوتقة الأمية، وإن كانت لنا دعوة واحدة فهي المحافظة على الذاتية الإسلامية المتميزة من الانصهار، نعم فهي: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]. وبناء الإنسان يكون في البيت المعمور بالمعرفة.

**٣ - البيت المعمور بالثقافة الإسلامية:**

**نشر العلم والثقافة من أفضل أعمال البر:**

وليعلم المسلم الذي يعظم دينه أن البيت الفقير حقًا - كما أسلفنا - هو الخاوي من الثقافة الإسلامية، وبيت الغني أو الثري مهما كان مترعًا بالمال، فهو فقير مادام قد خلا من زاد العقول وفاض من زاد البطون، فالثقافة الإسلامية بفروعها القشيبة هي التي تنير العقول وتعمر القلوب، وتبشر بالنهضة والارتقاء، ولن يتأتى ذلك إلا بفضل مكتبة فيها كتب قيمة، يفاخر بها المؤمن والمؤمنة كما يفاخر بأثاث منزله.

إن من عادة رب الأسرة الأمين أن يقدم لأبنائه أزكى طعام، سيما الناشئة، وأولى أصنافه أن تشيع بينهم ثقافةُ القيم التي تنهى عن تقليد غيرنا إلا في المحاسن، يقول المصطفى ﷺ: **«من تشبه بقوم فهو منهم» «ويحشر المرء مع من أحب»** وإن ديننا لا يرضى بكشف العورات وهي أول البنود في دستور إبليس، قال تعالى: ﴿يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا﴾ [الأعراف: ٢٧].

إن مشكلتنا أننا نبتهج بزاد البطون ناسين زاد العقول، فأهملنا تربية النفوس

والحذر من الرخيص، ومن هنا يكون الضياع الدينى الناجم عن التقليد، لما فيه من اختلاف الآفاق والأذواق، خلاف فى الثقافة التى تشكل السلوك، فالزاد الثقافى الذى يعب منه المؤمن والمؤمنة هو عدته وعتاده لكل سلوك ممدوح، لأن ينبوعه القرآن الكريم الذى يهدى إلى الرشد، والروض النضير من كلام سيد المرسلين، ففيهما وقود التغيير لكل عقل مستنير.

والمسلمة الرائدة تضحى منارة تسطع للآخرين فى كل سلوك محمود بفضل ثقافتنا المعطاءة، وحينئذ فلا عجب أن يكون من منهج القرآن فى بناء الإنسان، ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ...﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وناصحو الأمة يحذرون من سيطرة فلول الشيوعيين القدامى على مراكز الثقافة العربية، فهؤلاء مهتمون ومتهمون بأنهم يتربصون بكم الدوائر، فاقعدوا لهم بكل المراصد الثقافية التى تحول دون المزالق.

**٤ - الولى المرشد و زاد العقول :**

هلا أحضر رب الأسرة مع كل جهاز حديث يقتنيه كتابًا أو ثلة من الكتب، تغذيهم بالمعارف الراقية لمستقبل باهر يسمو بهم عن أن يكونوا مجرد أبناء يأكلون ويتمتعون ويُلهيهم الأمل.

فرب الأسرة فى الإسلام ليس مجرد ولىٍّ نُصبَ على أسرته، وإنما هو ولى مرشد يستخدم ولايته فى التوجيه والإرشاد.

فالغذاء الذى يقدمه لأهله وعشيرته لابد أن يكون أزكى طعامٍ، غذاء للبدن والروح معًا. فإن هو اقتصر على غذاء البدن فقد سفه نفسه ولو حسب أنه يحسن صنعًا!

إن الأب إذا كان جاهلاً ومرض ابنه فإنه يأتى له بأعظم الأطباء ومشاهيرهم، وإذا كان مثقفًا حذر أهله من الغزو القادم من ديار الغرب ليحتل عقولنا، وأصبحت سمومه شرًا مستطيرًا. كالاختلاط فى المدارس، على الرغم من أن علم النفس أثبت أن الغريزة لا يمكن قتلها أو إخفاؤها أو التسامى بها عن طريق الاختلاط[1].

(١) الغزو الفكرى، المرجع سالف الذكر، تقرير الدكتور على جريشة، وهناك أمثلة أخرى كثيرة على تسرب الأفكار الغريبة إلى بيئتنا الإسلامية، وانظر أيضًا مؤلف د. محمد محمد حسنين: حصوننا مهددة من داخلها ، مكتبة المنار الإسلامية . الكويت.

إن الفكر الإسلامى التربوى لا يبرئ الآباء والمربين والموجهين والقادة فى كل موقع من مواقع المسئولية، عن تربية الشباب وتوجيهه، فإذا كنا ننسب إلى بعضهم التطرف مثلاً فإن الآباء قبلهم متهمون بالتسيب، وإذا كنا ننسب إلى بعضهم الإفراط فيما لا ينبغى فنحن الآباء متهمون بالتفريط وذلك أدهى وأمر.

إن الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية من الضياع والذبول والأفول يجب أن يكون هو الشغل الشاغل لرب الأسرة الغيور.

إن تقوية الحس الإسلامى لدى الناشئة هو طريق الرشد الذى يجب أن يتخذوه سبيلا لمواجهة فيروس الغزو السلوكى الجامح.

**٥ - خطبة الجمعة تطارد السلوكيات الشاردة:**

وهلا قمنا باستنفار الجيل كله من خطاب يملأ حياة الناس ضيقًا إلى حياة سعيدة أرحب.

الخطاب الدينى الذى يردهم إلى الحياة السوية فى أكبر تجمع ثقافى تعرفه الأديان، حياة الحركة والانتعاش والبهجة والتواصل مع الدنيا كلها، فمجتمعاتنا عامة لا تزال تحتفظ بأصالتها الحضارية، وهو ما يمثل رصيدًا سائلاً أو مجمدًا لا ينفد، وصفوفًا خلفية، لم تنهزم تحتاج إلى أيادٍ متوضئة تمد إليها يد العون فتزداد حيويتها وقوتها.

وتلك رسالة خطباء الجمعة، أعظم تجمع ثقافى رتيب، فهلا أجاد خطباؤنا استثمارها بأسلوب جذاب شائق يستولى على فكرهم! فيأخذ حقًا بالنواصى والأفهام، ولا تكون مجرد جَلْدٍ وَعْظِيٍّ، فخطبة الجمعة من الكنوز التى تحوزها أمتنا، ومورد حيوى للثراء الفكرى والإسعاد النفسى، فهى محطة شحن للقوى والهمم كلما فترت عزائمهم. ومن ثم فهى قادرة على إزالة ما ران على القلوب من صدأ فى الحاسة الإسلامية، أو ما علق بها من تردٍّ سلوكى يكون قد ألم بنا وبشبابنا.

لقد أدرك المستعمر منذ القرون الأولى لاستعماره لشعوبنا خطورة الدور الذى تؤديه المساجد والكتاتيب فى عملية التحرير وإجلائه، فصب جام غضبه عليها، واليوم قد أذن مؤذن بأن تستأنف المساجد دورها ليقدم الخطباء لأسرنا وشبابنا عسلاً مصفىً يعود معه شبابنا المسلم سيرته الأولى.

**٦ - دراسة تاريخنا باعث على الاعتداد بذاتنا:**

فالقيم الإسلامية وإن لم يحسن الناس تطبيقها أو حادوا عنها فى كثير من مدن الإسلام وفى العصور المتعاقبة، فإن هذا لا يلغيها، ولكنها كانت على الدوام تقيم الحجة على من يخالفها. إن للأصالة جذورًا فى المجتمع العربى وقوىً تدرأ عنها الأعادى، وهى تقاوم الذوبان منطلقة من الهوية العربية والثقافة الإسلامية(١).

إن الأمة الإسلامية ظلت قرونًا طويلة أقرب مجتمعات الدنيا إلى الأدب والتعاون والتحاب وذلك بفضل منهج الإسلام فى التربية، وإن اضطربت سياسة الحكم فيها.

وهكذا فإن قراءة التاريخ الإسلامى واجب من الواجبات الدينية وركن من أركان اليقين، فلابد من تحصيله، وهذا ما يقوله الإمام محمد عبده، فوقائع تاريخنا كلها مغريات لا مخزيات، فهى تعمق الانتماء إلى الإسلام بما حوى من المباهج السلوكية، وهنا تكمن أولى لبنات المناعة والحصانة من دين الملك، وهو دين غاص بالتعديات والتحديات التى تطل علينا كل حين لتصبح بيوتنا عورة!

إن تعاليم ديننا حدائق ذات بهجة ينابيعها كتب قيمة، ومعارف راقية وبطولات نادرة، وتاريخ أمجد من المجد، لا يضارعه تاريخ قديم أو وسيط أو حديث، حتى صار تراثنا منارًا للعلماء، وآثارًا للحكماء بما حوى، من ينكب عليه يزداد إقبالاً عليه، يثير فى النفس الاعتداد، فكم كان أجدادنا كرامًا بررة مخلصين لهذا الدين، ففازوا بمرتبة الشرف فى سجلات التاريخ، وكانوا منارة وقدوة للعالمين فى الرشد الأخلاقى فجمعوا بين القطبين الأعظمين للسلوك السوى (العلم والعمل)، صاروا أئمة يؤتم بهم أحياء وأمواتًا، أعزهم الإسلام وأعزوا الإسلام، ففتحوا أقطار الأرض بالسلوك قبل السيوف ورسموا لنا خريطة العالم الإسلامى ، دون غازٍ أو فاتح، أمسكوا بزمام العلياء، علموا العالم والبشرية وفى مقدمتها الحضارة الغربية، لم يكونوا أبدًا مع الخوالف، فكيف تكون بيوتنا ساحات لمستنقعات الغير من أعراف كانت وبالاً على أصحابها.

واعلموا علم اليقين أن النهضة لن تنقلها لنا السيارات الفارهة أو الجالسون فى الشرفات والغرفات حول الشاشات، فهم فارغون أو غافلون عن دراسة الأمجاد والسؤدد، وهم مقعدون فى ميدان تحريك الطاقات وشحذ الهمم للأمم.

---

(١) فهمى هويدى ، دعوة لاستعادة قيمنا المنقرضة، الأهرام فى ١٥ / ٥ / ١٩٩٩ م.

### ٧ - خريطة المفاهيم السلوكية والمضامين الثقافية:

فنحن اليوم نقف على أهبة الاستعداد للمواجهة السلوكية مع الآخر، والبداية هى تصحيح المفاهيم المتسربة التى تكاد أن تفرط علينا أو أن تطغى، كمفهوم الحرية والندية والكونية الثقافية والعولمة الجامحة، فمكمن الداء أننا نسوق الأشياء إلى أجيالنا أحيانًا بأسمائها المستوردة، وهو انتصار للآخر ولو بحسن نية على حساب الأنا، فمفهوم الحرية المقرب اليوم يكاد يصل إلى حد العناق وتبادل القبلات والاختلاط بالجنس الآخر بلا حدود، بينما الحرية فى الإسلام لها ضوابطها الشرعية الحازمة، فهنا يكون التجانس الثقافى للأمة مطلوبًا وبإلحاح، ولو تحولت الأمة إلى قطع متجاورات أو جزر معزولة لا تجمعها ثقافة واحدة فإنه يجرى تفريغها من مضمونها مع أنها أمة واحدة.

ولقد أدت المفاهيم المتسربة إلى زلزلة دول إسلامية مثل تركيا والجزائر فصارت أشبه بجزر غربية داخل المحيط الإسلامى الهادئ، فهى لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وهو ما يتطلب من القادة والمصلحين وصالح المؤمنين أن يبذلوا أقصى جهدهم فى سبيل توحيد المفاهيم والمضامين الثقافية التى ترفرف على هذه الأمة المتجانسة، والتى يجمعها لباس العفاف والتقى والخيرية والهداية الربانية.

## ثانيًا: قمر إسلامى يواجه التغريب ويعمق الحاسة الإسلامية:

وداونى بالتى كانت هى الداء، فالبث المباشر كما هو ضالع فى إشاعة السلوكيات الوافدة، تكون المواجهة بالبرامج الجذابة التى تشد الانتباه وتعكس الجوانب المشرقة والمشرفة لقيمنا وأعرافنا، الإعلام بالإعلام، وبذلك ينتقل الحديث عن سلبيات الإعلام إلى الإيجابيات التى تهفو إليها النفوس بعد النكوص، الجميع مدعوون إلى التأدب مع الله، وأن تلين قلوبهم لذكر الله، فعندنا مفاتيح الثقافة البناءة، والتصدى للغزو السلوكى ليس بدعا من الأمر أو دعوة جاهلية[1]. وتقوية الوازع الدينى لدى الشباب هو من أنجع السبل لمواجهة خطر الفضائيات المتسلقة لحصوننا.

المهم ألا نقف مكتوفى الأيدى، ولا نكون فى حالة عجز أمام وافد السلوك الغربى المقتحم، وسلبيات البث المباشر والفلسفات المعادية والتيارات الهدامة والأفكار الملحدة لترميم ما قد علق بالجيل الحاضر. وجامعاتنا والراسخون فى

(١) د. جمال البرزنجى ، الإيمان ملحق جريدة الأنباء الكويتية ، العدد (٨٧٩٦).

العلم منهم نخب ممتازة قادرون على إعطاء تصورات للعمل الإعلامى كما يجب أن يكون ، فلا تهنوا وأنتم الأعلون.

وكم كان تأثير دعاة العصر لدى الآلاف المؤلفة بل والملايين من الشباب والفتيات فتحولوا بفضل الله ورحمته إلى دعاة بدورهم لأعرافنا المحمودة.

## ثالثًا: لغتنا الحسناء قادرة على استرجاع دورها الرائد:

لغتنا العربية هى الحسناء بين اللغات وقد شرفنا الله بأن جعلها الوعاء الذى حمل لنا القرآن الكريم من السماء إلى أهل الأرض، ومن بركاتها تقويم اعوجاج اللسان والذى بدأ على ألسنة الأجيال واستوى الطالب فيه والأستاذ - ومن بركاتها أن من يكون متفوقا فيها يتفوق فى عمله ولو كان مهندسًا أو طبيبًا، وهذا شىء عجاب، ولكنه منة من ذى الجلال والإكرام .

ومن الألغاز التى حيرت الثقات من علماء اللغات على مدى التاريخ أن لغة القرآن كانت سريعة الانتشار فى البلاد التى دخلت فى دين الله أفواجًا ، فسرعان ما تحلى بها أهلها وتخلوا عن لغتهم من غير قهر وأمر.

ومن عجائب لغتنا: أن أية لغة تخضع لما يخضع له الكائن الحى من ميلاد وضعف وقوة وشيخوخة ثم موت وانقراض إلا اللغة العربية وذلك لأنها محمولة فى القرآن الكريم؛ المعجزة الخالدة المنزلة من السماء إلى أهل الأرض.

إن سقوط الجوهرة على الأرض لا يحط من قدرها فما بالك إذا لم تسقط بعد.

إن الشرف أن تتكلم بلغتك فى وطنك، لا بلغة غير متناسقة مع قومك، ولغتنا هى البحر الزاخر الغاص بالكنوز واللآلئ ، فهى حيوية ، ولا يمكن أن يصل إليها السوس أو الهرم، فهى تواكب دائمًا مواكب الحضارة، كما واكبتها القرون الماضية ولكن إذا لم نعجل الخطى داست علينا الأقدام، وتعظيمها اليوم مهمة العلماء والأمراء.

إن الثقافة العربية لن تحقق لها عالميتها ولغتنا من جانب أهلها مهملة، على أن تعلم اللغات الأجنبية وإن كان مطلبًا حضاريًا ملحًا، فهو لا يعنى اتخاذها بديلاً للسان العربى فى التأليف والإبداع، ومن ثم يكون السبيل إلى التحضر هو مواجهة التحديات التى تعترينا، وشفيعنا تاريخنا الحضارى المتجذر[1] الذى يشحذ الهمم.

(١) سعيد بيومى، اللغة والنزعة الليبرالية ، مقال الأهرام فى ٦ / ١٢ / ٢٠٠٢م.

**ومن بركات اللغة العربية:**

كم من الأساتذة المسلمين صاروا من نوابغ العلماء فى عالم العلوم، وما تعلموا ابتداء غير العربية، ثم صاروا فحولاً وفطاحل؛ لأنهم استوعبوا علومهم ابتداء بالعربية، ثم عبوا من اللغات الأجنبية وما أصابهم وهن، لغة تتيه شرفًا وعزًّا، أنها تضم بين جنباتها نحو أربعة ملايين كلمة، ومن ثم كانت دائمًا الأقدر والأجدر على مجاراة كل جديد. ومعلوم علم اليقين أن كل لغة فى بلدها مليكة متوجة لا تطاردها لغة أجنبية علت أو دنت.

وإذا كانت اللغة العربية قد استطاعت عبر تاريخها الطويل أن تستوعب علوم الحضارة الإسلامية بما استقبلته من علوم القدماء عبر الحضارات المختلفة، وبما طورته وأبدعته بعد ذلك لتحمل مسيرة الحضارة الإنسانية فى فترة هامة كادت فيها الحضارة البشرية أن تندثر، فإن هذه اللغة قادرة على استرجاع دورها الرائد واستيعاب ما فاتها من علوم. ولذلك خطوات ومقترحات ما يعقلها إلا العالمون.

**تشريع لحماية اللغة العربية**[1]

نعم إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن:

فمشكلة اللغة العربية هى مشكلة المجتمع العربى؛ لأن اللغة ظاهرة اجتماعية مؤثرة فى تطور ورقى المجتمع، وقد أصبحت ظاهرة تغريب الأسماء واللافتات التجارية ظاهرة متفشية تمثل العبودية للآخر، فهل يكون قد أذن مؤذن بإصدار تشريع حازم جازم ينصف المظلوم من ظالميه، ويحمى لغة العرب من شر قد اقترب، ويقضى على فوضى الاستهزاء بالجوهرة؟!

ألم تستوعب لغتنا الجميلة حضارة باسقة لاتزال تؤتى أكلها كل حين فى العلوم التجريبية قبل النظرية، والمدرجات فى جامعات الغرب شاهد إثبات لنا؟!

والدول العظمى كاليابان والصين قد حازت أنواط الجدارة وما اختلط لسانها بلغات دخيلة، بل وهاكم إسرائيل الدولة الناشئة كيف تستوعب كل علومها بلغتها القومية مع كونها بالية، ولكنها احتضنتها لكونها لغة عقيدتها فكانت سر قوتها.

(١) د. كمال بشر، الأهرام فى ٤/١٢/٢٠٠٥م.

إنها رؤى واضحة تسير على هداها. وعندنا الراسخون فى العلم وصالح المؤمنين، ناهيك عن العقول المهاجرة والتى تشعل وقود النهضة فى الغرب وتقود زمامها فى صمت وسمت العلماء ونحن أحق بها وأهلها.

## رابعًا : فقه عاصم للأقليات من الذوبان:

فالأقليات المسلمة تواجه تحديات موجعة تتراوح بين الذوبان والتقوقع وعددها آخذ فى ازدياد نظرًا لأن العالم قد أصبح قرية صغيرة، فكيف تواكب مستجدات العصر وعواصفه الهوجاء، وخاصة مع الجيل الثانى والثالث؟! كما أن حملات الإساءة لدينهم تطاردهم بالغداة والعشى.

نعم للاندماج لا للذوبان، وهنا يصبح ميلاد فقه جديد ضرورة أو حتمًا يطوق أعناق فقهائنا الذين ما تخلفوا يومًا عن مواكبة الواقع فى أى عصر ومصر.

# الفرع الثانى

## مواجهة التبعية فى ميدان الدراسات الإنسانية

### ١ - الفرق بين العلم والثقافة:

تلك هى أولى الخطوات التى بها نبدأ، فالعلم حقائق لا تختلف أصولها وفروعها من دولة إلى أخرى كالطب والكيمياء والرياضة كما أسلفنا، أما الثقافة فهى مجموع من المعارف التى تشكل سلوك الإنسان، وهو مركب خليط من العقيدة والثقافة واللغة والتاريخ، ومختلف المعارف، وهى لذلك تختلف من أمة لأمة، ويجب أن يكون لكل أمة ثقافة مميزة؛ لأنها هى التى تشكل السلوكيات ، وهنا تتمايز الأمم وتتفاضل بصرف النظر عن العلم، وإلا صارت فى عداد الأتباع والمخلفين، وانتاب أبناءها الشعور بالدونية.

وهنا يقول محمد إقبال رحمه الله: إياك أن تكون آمنًا فى العلم ـ يقصد الثقافة ـ الذى تدرسه، فإنه يستطيع أن يقتل أمة بأسرها، وهو يشير إلى الاحتلال الثقافى أو احتلال العقول لأمة ما، ثم سيرها على منهج المحتل المختل[1]. فعن طريق الثقافة الغازية يتم الاختراق، كما فعلت فرنسا مثلاً بالجزائر العربية.

### ٢ - جذور الثقافة الغربية تختلف عن جذورنا الفكرية:

نحن لا نغمط القوم حقهم، ولا نبخسهم أشياءهم، فلديهم نظريات «تربوية» جيدة ومثلها مثبوت فى كل مجال، ولكن الذى نؤكد عليه أنه ليس بالضرورة أن نغمض أعيننا فنأخذ كل ما عندهم من غير تمحيص، ولسنا ملزمين بأن نلغى ذواتنا لنعيش ذواتهم، فليس كل ما لديهم يصلح لنا، فهم شىء ونحن شىء آخر، فبالتالى يبدو طبيعيًا أن تختلف سلوكياتنا عن سلوكياتهم[2].

الثقافة هناك هى مادة من صنع أيديهم من إعداد المفكرين والفلاسفة والكبار اللادينيين، فهى دائمًا عرضة للتغيير والتبديل، أما ثقافتنا فأصلها ثابت فى صحف مطهرة وصلت إلينا بأيدى كرام بررة تؤتى أكلها كل حين، ولا تبلى على مر الزمان، بل تزداد طرحًا بفضل النابغين والراسخين فى العلم، وخذ مثلاً بسيطًا

(١) محمد الغزالى، حصاد الغرور ، ص ١٨٨ .

(٢) راجع: د/ عبد الله الشبانة.. المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ص ١٥٣ .

للفارق بين الثقافتين، فالمريض الميئوس من شفائه قتله عندهم عمل إنسانى، وهو ما يسمونه بالموت الرحيم!! وفى ثقافتنا يعد جريمة نكراء، وعلاج الأمراض النفسية عندهم بالكيماويات ليس عندهم طب روحى، أما عندنا فقرآن عجب يشفى صدور قوم مؤمنين ، والاختلاط عندهم ليس له حدود أو قيود رغم ما غشيهم من مويقاته، أما فى ديننا فهو إن زاد عن ضوابط الشرع ينقلب الأمر من مسرة إلى مضرة، والمرأة فى الثقافة الغربية أم الخطيئة، وقضية شغلت المفكرين وأقضت مضاجعهم، لكنها فى تراثنا قضية بلا متقاضين، فهى ملكة متوجة على عرشها وأميرة فى بيتها، أو هكذا يجب أن تكون.

رجال الدين عندهم فى محراب وكهنوت لا يقربه حتى المقربون، أما فى الإسلام فالتفقه فى الدين يضطلع به أهل الذكر ولا يكتمون الناس حديثًا.

الربا عندهم حلال مهما حوى من الانتهاز، وفى ملتنا باطل مرفوض، وولد الزنا لديهم يسمى ابنًا طبيعيًا، أما عندنا فهو من سفاح مهما طال عليه الأمد.

هذا قليل من كثير، فروق وفتوق هائلة ، فما سر اختلاف الثقافتين الذى يُوَلِّدُ اختلاف المسلكين؟

فى الغرب يستلهمون ثقافتهم من الفكر اليونانى والإغريقى الوثنى المشكل فى إطار المسيحية المحرفة على أيدى الأحبار والرهبان، فاليونان قد مثلت على مسرح الحياة دورًا خالدًا يتيه على الزمان بآدابه وتراثه، ولا تزال مكتبات العالم مزهوة بآثارها، ولكن طبيعة الحضارة الإغريقية تميزت بما يلى:

(١) قلة الدين والخشوع، فما قدروا الله حق قدره، فقد كانوا يعظمون آلهتهم بالرقص والغناء.

(٢) شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والاهتمام بلذاتها والميل إلى اللهو والطرب فى حياتهم.

(٣) الحرية الشخصية التى لا تعرف حدًا ولا قيدًا، وهو ما ترك فيهم تأثيرًا سيئًا فى الأخلاق.

(٤) النزعة الوطنية لا تزال اليوم من طبيعة الأوروبى، ثم جاء دور الروم خلفاء لليونان فى المجد والسؤدد، ففاقوهم فى القوة والتنظيم والجندية، ولكنهم لم يلحقوا بهم فى العلوم والفلسفة والآداب فانقلبوا صاغرين للمدنية اليونانية، التى غلب أهلها فى السياسة، واستمرت اليونانية لغة العلم والتأليف، وانقلبت الثقافة اليونانية إلى الروم، وكانت النتيجة أيضًا هى الإيمان بالمحسوس فقط، وشك فى الدين أو الإيمان بالغيب.

وقد انتقلت هذه الرؤى عبر العصور حتى استقرت فى أحشاء نظم الغرب، وصارت هى الميراث والتراث، فطفق ابن الغرب يقدس الحرية الجنسية مثلاً، غافلين عن شرف الإنسان، وطهارة الأنساب، وتعطل الفكر عن الاعتداد بمسائل الحلال والحرام، وتلكم هى الجذور الغائرة فى الثقافة الغربية، وبينها وبيننا بُعد المشرقين. ومن ثم اختلفت الثقافتان. فأين هذا كله من قرآن عجب يهدى إلى الرشد، والروض النضير من كلام سيد المرسلين.

## ٣ - غربلة المستورد الثقافى(١):

ولذلك إذا أردنا أن نثبت وثبة النهضة فلابد من كتاب جهابذة يتناولون الثقافة الغربية بإنصاف، بما لها وما عليها، وهنا ندقق مثنى وثلاث ورباع، لأنها تعانى من انفصام فى القيم حتى صار الرقص فنًّا مزدهرًا راقيًا وعاريًا، وتمنح الجوائز للأكثر إغراء وإثارة.

إن ديننا يوجب علينا أن نأخذ من تجارب الآخرين، ثم نعيد صياغتها صياغة إيمانية، فنأخذ حينئذ من بين فرث ودم لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين لنقدم لأجيالنا أزكى طعام يكون طلعه هضيم.

وهنا ينصح ناصحو الأمة أن استيراد التكنولوجيا الغربية يجب ألا يشمل القيم الغربية، إذ لابد من عرض قضايا علم الإنسان على أصول الشريعة الإسلامية كمصفاة تحجب رذائل الغرب السلوكية، كما يحذر الناصحون من سيطرة أو هيمنة فلول الشيوعيين القدامى على مراكز الثقافة العربية، وهؤلاء متهمون بأنهم غير محايدين، فيلبسون الحق بالباطل، ويستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير.

### المرأة بين ثقافتنا وثقافتهم(٢)

ما سر كل هذا التدافع والمبالغة والحركات والأصوات التى تنادى بمغالاة نحو شعارات حقوق المرأة وتحرير المرأة ودعمها وتفعيل دورها بمبالغة قد تفسد القضية وتستفز جموع الشعب وبجميع طبقاته، وكأن المرأة بلا حقوق وهى مواطن من الدرجة الثانية، وهى مظلومة فى كل مكان ومقهورة فى كل زمان؛

(١) المستورد الثقافى غير المستورد فى العلوم، فالأخير لا ترد عليه الغربلة.
(٢) د. محمد حسن الحفناوى الأهرام فى ٢٠٠٦/١/٩م.

ولذلك يجب حمايتها من الرجل، هذا الظالم الجهول الملوم ، ونحن نتابع المبالغة والمغالاة فى مناداة البعض بتنشيط مجالاتها والحصول على ما هو فوق حقوقها وتخصيص أماكن لها مثلاً فى المجالس التشريعية ليس لكفاءتها وقدراتها وإبداعاتها ولكن لمجرد أنها امرأة.

وقبل الهجوم علينا والتشنج والاحتقان نعلن أننا مع التوجهات العامة لعمل المرأة إذا ما اقتضت الضرورة، ونحن لا ننكر مكانتها ودورها ونحترم كيانها خصوصا بعد ما وصلنا إليه مما وصلنا من ثقافة وتعلم واحتكاك قريب ومستمر بالغرب، ولكنه استيعاب متفهم أيضا للاختلاف بين مكونات ثقافتنا وأعرافنا الأصلية وبين ثقافات الآخرين وهم أنفسهم يراجعونها ويعيدون ترتيبها، ولكنا لسنا أيضًا مع كل تلك المبالغة والتضخيم من بعض الجمعيات النسائية والأصوات التى تنادى بوجوب خروج المرأة المصرية وتحريرها، متناسين دورها الخطير الذى أهلت له وهو تربيتها لأولادها، وحمايتهم من تربية الفلبينيات والسيريلانكيات للمقتدرات، ونزوح الباقى للشوارع والحوارى والطرقات بلا رقابة أو متابعة ليقعوا بين براثن شياطين الإدمان والانحراف والإجرام.

نحن مع دور المرأة كى تتعلم وتتثقف فى كل المجالات حتى تستطيع رعاية أسرتها، والوقوف بجانب زوجها وتوثيق علاقتها بالمبادئ وحسن التربية، ونحن نشجع المرأة المبدعة والموهوبة والخلاقة والقادرة على عطاء متميز وموهوب ونوفر لها الظروف والإمكانات، وتتبنى الدولة هذه المواهب وترعاها أما أن تنافس لمجرد أنها امرأة ذلك الرجل الكادح والشباب العاطل والباحث عن وظيفة وتزاحمه فى الرزق والعمل تحت حجة مساعدته على تحمل أعباء الحياة، وتشغل مكانه حتى فى الأتوبيس وفى الشارع وفى المرور وفى الحياة التى ضاقت، فلا هى ستلاقى الشاب الذى يعمل ويتزوجها، ولن تجد الراحة ولا الوقت فى بيتها وعطائها المقدس فى تنشئة عيالها، وهو دور لو تعلمون عظيم فى كل الكتب والرسالات، والنتيجة أن الزواج سيتوقف أو يتعطل وستزداد أعداد العوانس العاملات والموظفات والمطلقات وستتوقف سنة الحياة وتتعطل وتتشابك، ولا ننس أن خروج المرأة عشوائيًا للعمل ومتطلباته له مصاريفه وتكاليفه التى فى النهاية تجهض المرتب وتجهد الماهية وتفكك الأسرة المحتاجة لرجل يعمل ولامرأة تساعد وتصون الأسرة وترعى الأطفال من الضياع.

أكرر ثانية أننا مع رفع أى ظلم أو اضطهاد على المرأة فى دول العالم الثالث ونحن مع إتاحة الفرصة كاملة لتعليمها وتثقيفها ووصولها لأى مكان أو مكانة إن كانت تستحقها ونحن مع اتجاه المساواة مع الرجل، لها ما له وعليها ما عليه، ونحن مع إبراز وتبنى الموهوبات والعبقريات فى العلوم والآداب، ونحن مع ما يكفله لها الدستور لحقوقها فى منح جنسيتها لأولادها وما شابه ذلك من حقوق ولكننا لسنا مع ثقافات مستوردة علينا وغريبة عن شرعنا وشريعتنا فمازالت لنا أعرافنا وتقاليدنا المحترمة والتى تختلف عنهم، ولا ولن نتوافق معهم، ونحن لسنا مع التهويل والمغالاة وتخويف الرجل وترويعه والتلويح له بالخلع والهجر والطرد إذا ما أصابته مصيبة، أو داهمه مرض.

## ٤ - العولمة والعلمانية من أوهى البيوت:

ولا تطولان أولى الطول من الأمم والشعوب العريقة .

لم ولن تنجح الحضارة الغربية كما يقول الباحثون فى استيعاب الحضارات الأخرى مادامت لكل أمة معطياتها الحضارية الثابتة، فالنيْل من خصوصياتنا الحضارية عن طريق الأمركة أو العولمة كَرَّةٌ خاسرة؛ لأن أصالتنا تجرى فى دمائنا وثوابتنا وفى عروقنا، ونحن مرتبطون بجذورنا برابطة لا انفصام لها.

والمستورد الثقافى من مخازنهم قد يصادم أعرافنا فلا يلتقيان والإسلام على وجه الخصوص دين قيم فيه من القوة الذاتية الدافقة ما يطرد كل دخيل.

والكنز الثقافى عندنا متخم بينابيع المد الإسلامى، وهو يحمل فى طياته مرتكزًا لصد كل تيار وافد لا يواكب ديننا، ومن هنا فنحن قادرون على تقليم أظافر العولمة، أو التعايش معها بندية كاملة تحول بيننا وبين الدخول فى دين الملك.

فلدينا ثغور متينة وجبهات متربصة مضادة للعولمة، منها بروز عدد من نماذج القوة بين الدول النامية، فضلاً عن المنافسة المشتعلة بين قوى العولمة ذاتها، كل أولئك كفيل بأن يجرها إلى مزبلة التاريخ ونهايتها المحتومة أسوة بشقيقتها النازية من قبل.

هل نخشى خوفًا أو دركًا من الثقافات الغازية نحن ـ المسلمين ـ؟ نعم هناك زحف من تلك الثقافات، سيما أنها مدعومة من طرف خفى بفعل اليهود، ولكن

ليس علينا بعزيز صدها ودحرها، ولكن لا يكون ذلك بالتقوقع على أنفسنا وبالخوف على ديننا، فللبيت رب يحميه، والإشكالية القائمة هى كيف نستفيد من النظام العالمى، من إيجابياته إن كانت له، مع الاحتفاظ بالعراقة والهوية، بل ولا مانع أن تكون ملامح العولمة القادمة هى العولمة المسلمة بمفهومها الإسلامى لا بمفهومها الغربى.

إن العولمة مهما قالوا عنها وأزبدوا، وقدموا وأخروا لا تطول على وجه الخصوص أولى الطَّوْلِ من الأمم، بل المتخلفين وحدهم، فهى تحاول أن تخترق مجال الثقافة والسلوكيات، وحينئذ فهى لا تصرع إلا الشعوب المستضعفة والأمم الهشة العارية عن المجد والتاريخ والحضارة، أما الأمم القوية ومثلها الأمة الإسلامية، والأمة الإسلامية وحدها، فعندها كنوز ثقافية هائلة وبحر زاخر من أهلها الصناديد صالحى المؤمنين، يكُون كلُّ أولئك حائطَ سدٍّ أو سدودًا منيعة وحصنًا حصينًا يصد كل ثقافة دخيلة.

وبالنسبة للعلمانية فإن الخبراء من شيعتها أو من عدوها يعون جيدًا أن الربط بين العلمانية والديمقراطية ليسَ سوى أكذوبة كبرى، فها هو الحال فى تركيا، فالعلمانية ليست مرتبطة بالديمقراطية التى يزعمون، أو قل هو استخدام خادع للديمقراطية لفرض ديكتاتورية العلمانيين (اللادينيين)، وإنفاذ سمومهم داخل الدولة متذرعين بالعلم المقول به، لينطوى ذلك على البسطاء والدهماء. فماذا قدم النظام العلمانى فى تركيا للأتراك كمثل قريب لنا.

وباختصار بالغ فإن التاريخ دائمًا إلى الأمام سيما بالنسبة للأمة الإسلامية التى تملك دينًا قيمًا تظهر بركاته بين حين وآخر.

## ٥- هيئات معنية لمواجهة استلاب الهوية أو الخصوصية الحضارية:

شرور العولمة وآثار التغريب المدمرة فى مسيس الحاجة إلى هيئات متخصصة حكومية أو غير حكومية، رسمية أو شعبية؛ لصد كل وافد دخيل أو ضيف ثقيل يقض مضجعنا ويهدم أعرافنا ويشوه سلوكياتنا، هيئات لا على مستوى محلى فقط، وإنما عربى ودولى يتحدث فيها جهابذة الفقهاء والراسخون فى العلم وأهل الرأى والشورى، لا يخترقها المستشرقون أو يتسرب إليها فئران الحضارة أو سد مأرب، وحينئذ يستبشر المؤمنون، فالعلمانية كما أسلفنا والعولمة أوهى من بيت

العنكبوت. وكذلك مؤمن أهل الغرب يستطيع بإسلامه وإيمانه الصادق أن يكون بعيدًا عن كل سلوك غربي مرذول، إذا كان ذا منهج محمود، زاده وطعامه الحصانة الفكرية فى مواجهة كل ما يهزأ بالأعراف والسلوكيات الإسلامية.

المهم ألا نقف مكتوفى الأيدى، ولا نكون فى حالة عجز أمام الوافد السلوكى ، وسلبيات البث المباشر، والفلسفات المعادية والتيارات الهدامة والأفكار الملحدة لترميم ما قد علق بالجيل الحاضر من وهن سلوكى، فلا تهنوا وأنتم الأعلون.

## ٦ - ثقافة مضارعة على مستوى العصر تواجه التبعية:

بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة كما أسلفنا، وبدايته بالثقافة الجيدة، وأى فراغ ثقافى يوجد فى شخصية المسلم فى عصرنا يعرضه للغرق فى مستنقع المخالفات عابرة القارات، والغريب أن لدينا مخزونًا ثقافيًا هائلاً ومتراكمًا ، فلماذا يضرب عنه الذكر صفحًا ، ويضرب عليه التعتيم أو التهميش!.

وإذا كان الغزو الثقافى قد زلزل عروشًا فلن يردعه إلا ثقافة مضارعة مثله، ثقافة تؤمن بالانفتاح والاستفادة من التجارب الإنسانية العالمية. وتتجنب الهامشية والاغتراب والاقتلاع الثقافى، ثقافة مرتبطة بتطلعات الشعب، ومعبرة عن توقه واشتياقه للتحرر والاستقلال الثقافى، وإذا كانت سلبيات الغرب قد نالت من أعرافنا فإن دحرها لا يتم إلا بثقافة مضادة، تلهب الحماسة الإسلامية والقومية، وتقى من انفصام الشخصية، وإلا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير وهى اقتلاعنا ثم ابتلاعنا، والأمل معقود على قادة شعوبنا والصالحين من عبادنا بترويج ثقافة تكسب الجسم الإسلامى مناعة والعقل حصانة، لأن الدعة والاتكال على الآخر ضعف يعقبه الموت، سيما إذا كان الدخيل رخيصًا، وينابيع الثقافة عندنا فياضة رقراقة تعصمنا من التيارات الهدامة التى تود التعتيم على خريطة الهوية الثقافية توطئة لسحقها ومحوها.

ومعلوم فى عرف التقدم أن المجتمع لا يستقيم أمره أو يسترد عافيته إذا خرج نموذجه من تربة غيره، ولكى تصبح الأرض مخضرة فلا مفر أن يترعرع النموذج فى الهواء الطلق منفتحًا على ما حوله ومستفيدًا من خبرات غيره، يبحث جاهدًا حول موجبات رحمة الله حتى يؤتى من الحكمة ما يرقى به إلى الرشد المأمول.

إن السيف لا يعمل إلا فى يد البطل، ولا ينفع الحسب الموروث إلا بالهمم.

وعلى ما يراه الناصحون فإن إتقاننا للعلوم الحديثة سيقضى على الانبهار بالغرب، بل ويخلق الاعتداد بالنفس، وتفتح أبواب الانطلاق والإبداع، ويضحى التغريب أو التحديث، سيما فى السلوكيات، شعارًا دخيلاً[1]، فأمتنا لا يعيبها نقائص سلوكية تستوجب التحديث.

## ٧ - نعم للتواصل الثقافى، لا للذوبان:

ذلك أن المحاكاة في الظاهر تؤدى إلى المحاكاة في الباطن ولو بعد حين، فالتقليد صلة روحية بين المقلد والمقلد، وواسطة انتقال لمعتقداته وأفكاره و«أيديولوجياته» إليه، إما بشكل مباشر وعنيف ودفعة واحدة، كما حدث فى تركيا على يد مصطفى كمال أتاتورك، وإما بشكل تدريجى سريع أو بطىء كما يحدث فى كل زمان ومكان بين كل مقلد ومقلد.

إن التواصل الثقافى بين الشعوب مطلوب، ولكن الانصهار فى بوتقة الآخرين عار ومذلة، حيث ينخلع الشىء من ذاته وينسلخ من سلوك دينه ليهبط من عليائه إلى دنيا السفالة الجميلة، التى تسلب حسهم وحماسهم وأول الضحايا هن طالبات الجامعات، سيما اللائى أدخلن الفضائيات الأجنبية، فدلت المقابلات الميدانية على أنهن قد أصبن بتأخير واجباتهم الدينية والأسرية والعلمية، كما زاد الشعور بالشتات، وصار الاهتمام أكثر بالمظهر دون الجوهر والديكورات وأنواع السيارات وصرن متأزمات سلوكيًا ونفسيًا، فلا مانع من الاقتداء بالعلاقات الاجتماعية التى شاهدنها فى هذه الأفلام، ويتمنى البعض أن يمارس حياته كما تمارس تلك المجتمعات الغربية حياتها، حيث تستحوذ على فكرهم ولبهم أوهام السينما، والأوضاع الإباحية الغربية، والخيانات الزوجية التى تقدم لهم كزاد فكرى، أو ثقافى فى ألوان من التطرف الخلاب، الذى يعرض الانحلال الغربى فى بهاء يأخذ بالألباب، ويلبس العهر أثواب العز، ويكسو الرذائل بهالات الزخرف، ويصبح هذا غذاءً يوميًا وشهوة لا تقاوم، اعتادها المشاهد العربى

(١) د. محمود حمدى زقزوق (وزير الأوقاف المصرى) الإيمان، فى ٢/١٢/٢٠٠١م.

للسلوك الأجنبى، وهو ما يستدرجهم للتطرف اللاديني نتيجة بريق النموذج الغربى، ووأسفاه فى جوانبه المستهجنة[1].

## ٨ - المبعوثون والحصانة :

المسلم فى الخارج يحيا حياة كريمة فى مناخ رقراق، والمبعوث المسلم صاحب رسالتين، رسالة فى الاغتراف من العلوم الراقية فى عصر التواصل الثقافى، ورسالة فى عرض دين القيمة، ودعوانا أيها المثقفون: اذهبوا إلى ديار الغرب غير خزايا ولا مفتونين، فأنتم أمل أمتنا فى إنقاذ واقعها المريض لتعود إلى مجدها التليد.

ولكن المشكلة فى أن المبعوث إلى الغرب غالبًا ما يذهب دون حصانة فكرية، بل يحمل فى طياته شعورًا بالدونية وركامًا من ثقافة هابطة، وهان عليه أن يعى أن العلم لا شأن له بالسلوك، أمامه كتاب الكون المفتوح بعجائبه وغرائبه، ولكل أمة سلوكياتها التى لا تتصادم مع العلم. تلك السلوكيات قوامها الاعتداد بالذات.

فالعلم ينظر فى الخمر مثلا فيكشف مدى إثمها ونفعها في الجسم، بينما يترك لرجال الدين والأخلاق كلمتهم في حلها وحرمتها، وهنا يرتكب خطأ كبيرا من يربط بين التقدم العلمى فى بلد وبين أخلاقها، فقد يجتمعان وقد ينفصلان، وقد يجتمعان كما كان فى صدر العصر العباسى، وقد ينفصلان كما هو الشأن فى المدنية الغربية المعاصرة، فقد خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا فى ميْدان السلوكيات، إن الدين يجمع محاصيل القرون الأولى والسلف الصالح من الأخلاق والسلوكيات ليقدمها لطالبيه سائغ شرابها، فيعصمهم من اضطراب الفكر وعثرات السلوك وهناك ثلاث قواعد ذهبية على المبعوث انتهاجها، وهى : علّم أبناءك اللغة العربية، ثم مبادئ الدين بعيدًا عن الخرافة، ووسع من علاقاتك وأصدقائك. فالله خلق شعوبًا وقبائل ليتعارفوا.

واندماج المبعوثينَ فى المجتمع الغربى حتمًا مقضيًا وإلا عُدَّ سلبيًا وانسحابيًا فى مجتمع يموج بالحيوية، ولكن بإيجابيات الإسلام أو محاسن الغرب، فكلاهما يلتقيان، وباختصار شديد فإن المبعوث الحصين هو من رُسُلِ

(١) د. مصطفى محمود ، الأهرام فى ١١/٤/١٩٩٢م.

رسول الله ﷺ، في عصرنا، هو حامل رسالة يشعها وينثرها وينشرها بذكاء مبين في تربة خصيبة تؤسس بنيانها على عدل الحكام وعلم العلماء، وأنت أيها المبعوث فيهم حين تعود أدراجك إلى ديارك يطوق عنقك أمران؛ **أولهما:** ألا تعود لنا بسلبيات الغرب، ومن هنا تكون المناعة السلوكية، **وثانيهما:** عاشر عشيرتك بلغتهم وأعرافهم يعل شأنك وشأنهم ، فتلك الأصالة مع المعاصرة.

على أنه مما يبشر المؤمنين أن هناك اليوم صحوة إسلامية ومراكز إسلامية، وإن كان دورها محدودًا، أو مفتقدًا إلا أن هناك مبعوثين من صالح المؤمنين، منَّ الله عليهم بالحصانة الفكرية، فهم بمفازة من كل تيار معاد، لا بل هم منارة لنا في الغرب، معقود عليهم الأمل، إن خالطوا أبناء المجتمع الغربي في أن يدخل عاقلهم في الدين، فالمناخ ملائم والتربة خصبة كما أسلفنا لما يتميز به هؤلاء من سعة في الصدر ورحابة الأفق وترحيب بثقافة الإسلام، وهنا تكون الرحلة قد آتت أكلها ضعفين مرة في الصمود أمام رخيص التقاليد، ومرة في كسب مسلمين جدد سيما أنهم من محاسنهم يأخذون الكتاب بقوة لا مثل الكثيرين منا الذين أصبح الإسلام عندهم حسناء عند أعمى.

# الفرع الثالث

## المحاسن السلوكية هى القطب الأعظم فى الحضارة

### ١ - الحضارة تعنى التوازن فى السلوكيات:

الحضارة هى الرقى بالإنسان فى منهجه وأسلوب معيشته وعلاقته بغيره، وهنا فنون وعلوم فيها يتنافس المتنافسون، وهى تعنى التوازن بين الجانب المادى الذى خلق منه الإنسان (الطين) وبين الجانب الروحى (العاطفى).

أما أن نظن بالحضارة الظنون، وأنها تعنى الترفيه والطرب ونشدان المتعة والراحة فذلك ظننا الذى أردانا.

إن معنى الحضارة الحق هو: الارتقاء بالإنسانية فى الكمالات الخلقية وفى العلوم والسلوك، فالإسلام أقام حضارته على دعامتين: العلم والأخلاق، فإذا كان التقدم العلمى ممزوجًا بالترف الممقوت وكان الفجور ميسورًا ، فحينئذ تخيب الظنون فى هذه الحضارة، لأن هذه الثغرات تهدد بفنائها، ولكن بعد حين من الدهر، والدليل على ذلك أن أعدادًا هائلة من الأوروبيين يقبلون اليوم على الانتحار بشراهة، ناهيك عن أولاد الزنا وذيوع الخنا، ولذلك يقال: إن الحضارة الأوربية تعيش فى مأزق حقيقى، وإن لم تصل بعد إلى مرحلة الاندحار والانتحار. إن المسلم إذا استيقن الحضارة بمعناها الحقيقى ودع المساوئ السلوكية التى أفرزتها سلبيات المدنية الغربية، والتى أعلت الجانب المادى وهو العلم والتكنولوجيا، وأغفلت الجانب الروحى دون مبرر معقول!.

### ٢ - السلوكيات والتطـــور :

الإسلام ليس صخرة كما يعرضه المبطلون، فأى حكم فى الإسلام يمنع التقدم؟ وهنا نفرق بين مبادئ الدين وواقع المسلمين.

فالإسلام فيه من المبادئ، ما يواكب كل عصر ومصر، فيه ثوابت فى العقيدة والشريعة والأخلاق، ولكنه فى أمور حياتنا يحض على التغيير والتطور والتقدم والعصرية، وإلا ما استطاع أن يطوى أربعة عشر قرنًا من عمر الزمان، وأن يصل أتباع محمد ﷺ إلى ما يزيد على المليار ولا يجحد ذلك إلا من سفه نفسه.

والتطور الحقيقى هو التطور فى العلوم والمنجزات، أما الأخلاقيات والسلوكيات فلا يرد عليها التطور، فهناك فرق شاسع بين العلم والثقافة، فالعلم أمر ذائع بين الشعوب كلها، كما أسلفنا، أما الثقافة فهى مجموعة المعارف التى تشكل السلوك الإنسانى، ومن ثم فكل أمة لها ثقافتها التى تشكل سلوكها، فالقيم هى الرواسى الشامخات، وهى دعامة المجتمع الفاضل، كصدق الوعد ووفاء العهد والبذل والكرم والشهامة والشجاعة والاستقامة والحياء والتضحية، فما شأن التطور بها؟ ويوم أن تتسرب من المجتمع يكون قد أذن مؤذن بإشهار إفلاسه.

والإسلام هو دين الاغتراف من المعارف والعلوم، ولكن دون اقتباس سلوكياته من أصحاب الملة الأخرى النابعة من ثقافتهم وعقيدتهم وفكرهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وهو اليوم يقدم للعالم المترامى الأطراف منظومة القيم الإنسانية مهما ران على أهله من السلبيات، فكم نحن محسودون على الرشد الأخلاقى وخلو ساحتنا من الأمراض الخبيثة التى جلبتها السلوكيات الهدامة باسم التطور والعصرية؟

وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

## ٣ - السلوكيات والتقدم : مادى وأدبى:

التقدم والتحضر نوعان: مادى وأدبى، فالتقدم المادى اختراعات وابتكارات وإنجازات، والتقدم الأدبى رقى فى السلوكيات، فتجرى حركة التقدم فى إطار أخلاقى، ومفهوم الغرب للحضارة مرتبط بالعلوم والمعطيات المادية، وهو موجه لرفاهية الإنسان دون تقدير لإطار الدين، ولذلك تظهر عورات المنهج الغربى الوافد، لعجزه عن تفسير الحضارة الإسلامية فى نطاق معنوياتها التى يعجز عن تصورها. إن كل المظاهر المادية للتحضر لا يرفضها الإسلام، وإنما يرفض إخراج المسلمين عن نمط حياتهم ومنهج فكرهم للإقبال على الترف والتحلل، ومن هنا تكون يقظة الفكر الإسلامى لرصد التسلل الذى يختفى وراء المنهج الثقافى الوافد فى محاولة صياغة عقلية الشعوب الإسلامية وفقًا للقوالب الغربية، فالحضارة الغربية بالرغم من عطائها الموصول فى العلوم والمعارف مقعدة وعاجزة أن تعطى اليوم شيئًا للنفس البشرية، لأنهم لا يسمحون للدين أن

يؤثر فى الحياة العملية، وحينئذ يكون الإنسان مرشحًا لأن يتبع هواه فيردى، والخلاصة أن الإسلام يحض على الأخذ بكل علوم العصر التى تجلب التقدم المادى، وفى الوقت نفسه يضمن السعادة للإنسان دون أن يتبع هواه فيردى، فيكون التقدم الروحى.

## ٤ - الأصالة والمعاصرة فى السلوكيات:

سلوكيات الفطرة هى أساس الحضارة، وتجاهلها هو أحد الأسباب فى أزماتها وتعثرها، والنموذج الذى لا يلبى مطالب الفطرة يتأزم بعد حين، كما حدث بالنسبة للاتحاد السوفيتى، وهكذا فالحضارة الغربية بما حوت من تقدم وازدهار فى العلوم والابتكارات تتجه إلى التأزم والانفجار نتيجة تغييب المقدس وإنكار فكرة التدين وفصل الإنسان عن أحمد السلوك[1]، فهل تعنى المعاصرة أن تنقلب موازين السلوكيات؟ هل تعنى أن تنقلب أفراح المسلمين إلى مراقص أو تتحلى المرأة الريفية والبدوية العربية بزى الأوروبية، أو أن يتحدث العربى بلغة أجنبية مع العرب، وأن يحيا البيت العربى بمناخ غربى؟ إننا إذن أمة ضحكت من جهلها الأمم، إن السلوكيات المنبثقة من القيم لا يرد عليها التطور، فمحل ذلك هو الاختراعات والمكنات والأدوات، فالقيم لا تهتز أو تبلى على مر الزمان.

والراصد لأوضاعنا الثقافية يلمح أننا نتعامل مع كل وافد من الغرب على أنه معاصر، ومع كل إسلامى على أنه رث وقديم، وهذا ليس بصحيح، فهناك اجتهادات إسلامية عصرية منذ لاح فجر الإسلام وسناه، فى كل فروع الثقافة الإنسانية التى تشكل العقد الفريد لسلوكيات السوى المهتدى.

ولم ترفض الحضارة الإسلامية فى أى مرحلة التعامل مع العلم أو التفاعل معه مطلقًا، فبعد الفتوحات الإسلامية التى أدخلت أهم الحضارات القديمة (الفارسية والهندية واليونانية) فى إطار الدولة الإسلامية حدث أعظم ألوان الانفتاح الحضارى وأوسعه من العرب المسلمين على تلك الحضارات القديمة، لكنهم ميزوا بين المشترك الإنسانى العام فاستلهموه ووظفوه محكومًا بأخلاقيات الإسلام، وبين الخصوصيات الحضارية فرفضوها، بل شنوا عليها ـ عندما تعرضوا لغزوها ـ حربًا ضروسًا.

---

(١) انظر: الإيمان، ملحق الأنباء الكويتية، غازى التوبة، فى ٢١/١/٢٠٠١م.

وبهذا المعنى تتعزز أواصر الاتصال والانفتاح بين المجتمع المسلم مع حضارات الآخرين، دون الإخلال بموازين الأصالة وجوهرها[1].

لنعلم جيدًا أن السلوك الأوروبى ليس معاصرًا، بل هو وافد عليهم من الإغريق والرومان، ممزوجًا بما ران عليهما من بقايا الوثنية والمسيحية، فالقيم الغربية هى قيم إغريقية ذات قشرة تنسب فى شقها السلوكى السلبى للمسيحية مع أنها شريعة عيسى ابن مريم رسول الله وهو منها براء.

والإعراض عن تقليد الأجانب ليس معناه أن توصد الأبواب أمام الانفتاح الفكرى على العالم المتقدم، فنحن مأمورون بالتقليد من فورنا فى مجال العلوم والتكنولوجيا وإلا صرنا مع الخوالف.

فقضية التقنية هى قاسم مشترك بين أهل الأرض، فمن وجدها فى كون الله الفسيح فهو أحق بها وأهلها، ولا يقف هنا حائل سوى ما تفرضه أصول التلاقح الفكرى، فقومنا محاطون بسياج من عقيدة وشريعة غراء تحظر استخدام الناتج العلمى فى غير الأغراض النبيلة، فلا تستخدم الكيمياء مثلاً فى إبادة البشر.

هل طَرأَ طارئٌ لإحداث تعديلات فى منظومة القيم التى أتى بها النبيون من ربهم، والتى بها يحمل كل مجتمع شهادة صحية بالخلو من الأمراض السلوكية التى تفتك بأهله؟

هل تعنى المعاصرة أن يتخلى «محمد» أستاذ الجامعة وموجه الأجيال عن الاعتداد بذاته الإسلامية وقيمه فى محاضراته وندواته، وما يتبع ذلك من قول أو فعل، فإنه إن فعل ذلك سيما فى حضرة الأجانب أو أصحاب الملة الأخرى فقد ضل سعيه، وسيرمونه بالتبعية والدونية والهزيمة النفسية، لتجاهله ذاته العربية ودينه الذى ارتقى به إلى العالمية، ولن تنجح الحضارة الغربية فى استيعاب الحضارات الأخرى وأهلها، مادامت لكل أمة معطياتها الثقافية الثابتة.

(١) محمد صالح العجيلى، (مرجع سابق).

## الفرع الرابع

## تقليد الأوربيين فى أحمد سلوكهم

### ١ - نحن لا نعادى الغرب فلسنا دعاة حرب:

كيف لنا أن نعادى الغرب، وديننا عالمى الرسالة، ورسولنا رحمة للعالمين، وجاء للناس كافة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[1] [الأنبياء: ١٠٧] . وإن كان الغرب الجديد ينظر إليه من طرف خفى على أنه العدو الأخضر بعد تشييع عدوه الأحمر – الشيوعية – إلى مثواه الأخير.

إن من الأمور التى ذكرها فى الأرض سار أن الإسلام هو دين السماحة وأتباعه رسل فى الرشد الأخلاقى، والغرب صاحب حضارة زاهرة ونحن مدعوون إلى الاقتباس منها، وأهل الشرق والغرب أصحاب رسالة سماوية لا فلسفة بشرية. ومن ثم فهم جميعًا فى سرادق واحد ينهلون مما أوتى النبيون من ربهم، فنحن أبناء عمومة فى سرادق الأديان والإيمان.

نعم هناك حقد متجذر لرواسب تاريخية من مفكرى الغرب وهم يعملون على إيجاد صورة مزيفة لا صلة لها بالحقيقة أو الواقع، صورة غريبة بشعة كالحة عن الإسلام، بهدف تسويقها للمواطن الغربى بغية تحصينه ضد الإسلام، وجعله خائفًا أو كارهًا له، فأساء هؤلاء إلى الدين الإسلامى وإلى المواطن الغربى معًا، ولقد مارس هؤلاء الكُتَّاب الغربيون أكبر وأوسع عملية تزييفٍ وَعْيٍ فى التاريخ كله، كما أساءوا إلى العلاقات بين الغرب والشرق، وإلى السلم العالمى وإلى الموضوعية والحياد، ولا يزال بعضهم يعمل على تكريس صورة باطلة مضللة عن الإسلام والمسلمين مستفيدين من ثورة الاتصالات ونقل المعلومات، معدلون قليلاً أو كثيرًا فى السيناريوهات القديمة بهدف ما يسمى «أسلمة الإرهاب» على حد وصف أحد كُتَّاب «الأهرام»، كل ذلك من أجل تهيئة أجواء الخصومة، وتعبئة النفوس لإشعال فتيل صراع الحضارات والديانات، وفى مقدمتها الإسلام، العدو الأخضر كما يطلقون عليه[2].

---

(١) دكتور محمود عكام: الأنباء الكويتية ٣١ / ٣ / ٢٠٠٠ م ، ولقد قال علماؤنا سابقًا إن هناك أمتين، أمة الإجابة، وهؤلاء من آمنوا، وأمة الدعوة، وهؤلاء من تجب دعوتهم إلى الإسلام بالتى هى أحسن، وعلاقتنا بالغرب محسومة لصالح الدعوة الإسلامية.

(٢) د. محمد الشرقاوى، مقال فى الأهرام عنوانه: الإسلام كيف يراه الغرب؟

نعم هناك مرارة فى النفس كامنة عند كثير من أهل الغرب منذ الحروب الصليبية، والتى انتهت بانتصار المسلمين على جحافل الروم الغازية، وهو ما يدفع إلى هجمات شرسة أحيانًا من ثلة الحاقدين على الإسلام، ولكن المسلمين لا يبسطون أيديهم بالسوء ماداموا كفوا أيديهم عنا. فنحن مأمورون بالقسط إليهم ماداموا لا يقاتلوننا فى الدين.

ومن هنا فإن سلوكيات الأجانب ليس لها علينا من فضل إلا إذا كانت فى المحاسن، ونحن نمد أيدينا إلى الغرب لنقتبس منهم أحسن ما عملوا، وباختصار شديد فإن الإسلام ليس له عدو بالفطرة.

## ٢ - تقليدهم فى النفيس دون الرخيص:

نحن أول الداعين لتقليد الغرب، ولكن فى المحاسن ما ظهر منها وما بطن، عن أسرار النهضة والمعارف الراقية والعصرية فهى قصة نجاح.

ومن تلك السلوكيات المحمودة والتى يجب أن ننكب عليها لأنها مواكبة لديننا. تقليد الشعوب الأجنبية فى الحفاظ على قوميتها[١].

يقف الإنسان حائرًا مشدوهًا أمام شعب مثل الشعب الإنجليزى الذى اشتهر بأنه شعب تقليدى يحافظ على قيمه وأعرافه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ولا يرضى بالاقتباس من أمم أخرى ولو كانت تلك الأمم أممًا أمثالهم.

وهناك آية أخرى رائعة على تمسك الشعوب الأجنبية بتقاليدها هى أنك تجد الأيرلنديين بدورهم مع كونهم أمة صغيرة تجاور بلاد الإنجلين، وقد حاول الأخيرون جاهدين استمالتهم وإدماجهم فى مجتمعهم وصهرهم فى شعبهم مدة بلغت سبعة قرون، ولكن الأيرلنديين صدوهم عن ذلك، ولبثوا على عقيدتهم، وتمسكوا بأذواقهم وعاداتهم التى شبوا عليها، وأصروا على ذلك، واستكبروا استكبارًا، عارفين الفضل لأمتهم معترفين لها بالجميل.

إن الجاحد لفضل المجتمع الذى يعيش فيه هو الذى يرضى أن يتنازل شعبه عن قوميته وذاتيته، والجاحد فى البلاد الإسلامية هو الذى يود أن يتنصل المسلمون فى بلادهم من مقومات شخصيتهم، ويجرهم إلى إنكار ماضيهم

(١) انظر مؤلفنا: ترشيد الواقع الإسلامى ص ١٣٧ .

ومجدهم، ومثل هذا الخذلان لا يصدر إلا عن ضعيف النفس «دنيء الأصل»، فالسلوك الطبيعي والأمثل هو أن تميل كل أمة إلى الاستمساك بمقوماتها من لغة وعادات وعقيدة[1]، ونحن لا نصر على التمسك بأى شيء، وإنما على أن تحافظ الأمة الإسلامية على شخصيتها من الذوبان، وألا تكون مزيجًا من شخصيات من أمم شتى.

نعم لِنَقْلِ الحضارة العلمية، لا للخصوصية الثقافية الغربية، نعم لنقل العلم الذى اصطلح على تسميته باسم الحضارة، دون الخاص وهو الثقافة التى تشكل سلوك كل شعب، وهي الفريد غير المشترك، والذى يميز شعبًا من شعب[2].

## ٣ - بصائر إلى المفتونين بتقليد الأجانب:

### ( أ ) محاسن الغرب هى بضاعة الشرق:

كل النفائس التى بهرت أعين الناس الوافدة من الغرب هى أبجديات في ديننا، ولكن غفل عن ذلك الغافلون.

نعم الغرب له شرعة ومنهاج أوصلاه إلى مدارج الكمال، ولكن إيجابياتهم كلها مفصلة على علم عندنا، ثم ضربنا عنها الذكر صفحًا بفعل الانهزام الثقافى، ودأبنا فى التفريط فى كل عزيز لدينا، يضاف إلى ذلك ما يحدث من تعتيم أو تهميش لتراثنا، لمحاولة محوه من الخريطة العالمية الثقافية أو التاريخية.

كل سلوك غربى محمود تجده عندنا فى الكتاب مسطورًا أو فى الروض النضير من كلام سيد المرسلين.

فالحفاوة بالعلم أول آية أنزلت فى القرآن حضًّا عليه والتزاحم حوله بالمناكب قال تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق:١]. وفى المأثور: «**اطلبوا العلم ولو فى الصين**».

وتكريم أهل العلم ورفعتهم فى قوله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر: ٩]، وفى قوله: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: ١١].

فالإسلام دين التقدم، الذى صنع الحضارة التى تجمع بين المادة والروح فى

(١) شكيب أرسلان، مرجع سابق، ص ٨٩ .
(٢) انظر د. أمان عبد المؤمن، إشكالية التقدم فى العالم الإسلامى. دار النهضة العربية ص ٥٨ .

تناغم خلاب؛ العقل مع القلب، والمثالية مع الواقعية، وهو ما جنحت فيه حضارة الغرب اليوم بسبب الفراغ العقائدى والعطش الروحى رغم التقدم العلمى.

وإذا سأل سائل عن إتقان العمل وجودته فيقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠] وجاء فى الأثر: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

وبقية السلوكيات الممدوحة عندهم، ينابيعها فياضة عندنا، مفصلة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان، فالنظافة عنوان المسلم الحق، يقول تعالى فى القرآن الكريم: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وشريعتنا وأخلاقنا غنية وثرية بسلوكيات نفاخر بها لم تنضم إلى إيجابياتهم بعد. يكفينا فى هذا الصدد أن أكبر كابر من أهل الطب من أهل الغرب لا يعرف التطهر من الخبث - التغوط أو الجنابة - وهيهات أن يستوى الورق الذى يستخدم فى التنظيف والتشطيف بالماء الطهور الذى يستأصل الخبث والأدران، من منهم يعتزل النساء فى المحيض؟ أو يتجنب لحم الخنزير، وأقل أضراره أن تضعف الغيرة الجنسية عند الجنسين، ويصاب بالدودة الشريطية، فضلاً عن انتشار قمل العانة عند الكثير منهم مع توافر الوجاهة الفطرية.

وعن الحرية والإخاء والمساواة، فكل أولئك أوليات عندنا، فالديمقراطية الغربية ولو أعجبك حسنها من وضع البشرية، ولا عصمة لفكر بشرى، ومن ثم تنكشف عوراتها حينًا بعد حين، فنوادى العراة من مباهج الديمقراطية، أما الإسلام فهو نظام شامل وكامل يستوعب الديمقراطية الغربية بكل ما حوت فى إيجابياتها، ويرتفع عن سلبياتها ليبلغ درجة السمو، فهو ليس مقصورا على السياسة وإنما يتسم بمبادئ الأخلاق التى لا يمكن للديمقراطية أن تصل إليها، جمع فأوعى، ولا غرو حينئذ أن يدلى الكاتب البريطانى الشهير (ديفيد ماكداول) فيقول فى مؤلفه (أوروبا والغرب): إن الديمقراطية ليست ملكية أوروبية، بل الإسلام هو الأكثر ديمقراطية سيما فى مطالعه[1].

وإذا كان هناك خلل بين مبادئ الدين وواقع المسلمين فى أى عصر ومصر فلا يحسب ذلك على الإسلام، وإنما على من فرط فى الكتاب من المسلمين.

(١) الأهرام ١٣ / ٩ / ١٩٩٣ م.

يضاف إلى ذلك أن الغرب لم يجتمع سادته وكبراؤه على كلمة سواء فى شأن الديمقراطية، فها هى الديمقراطية الماركسية التى ذلت لها الرقاب، وهناك ديمقراطية رأس المال التى حولت الغرب إلى طائفتين: فجعلت أهله شيعًا، ونبت فى ظلها تشريعات الإباحية وشاع فى سرادقها التفكك الأسرى والأحزاب.

والتخطيط النابه الذى تفوق به الغرب وارتقى، نجد أن القرآن الكريم قد قننه منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وفى سورة يوسف درس مجيد لأساتذة التخطيط: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تَأْكُلُونَ (٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِمَّا تُحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩].

ومبادئ الاقتصاد فى الإسلام رواسٍ شامخات، تحول الجبال إلى جنات معروشات، علم هائل يفتقر إلى التطبيق، ولو طبقت مبادئه كما هى مفصلة على علم عندنا لأصبح المسلمون فى رفاه دائم، ولو أن أوروبا استوعبت نظام الزكاة فى الإسلام لامتنع صراع الأحزاب أو الطبقات وشاع التكافل، ولما ظهر كارل ماركس بأبخس النظريات التى أضلت العالم سبعين عامًا وأردت دولاً مواطن الردى.

والخلاصة أن كل سلوك ممدوح فى الغرب هو فى الأصل بضاعتنا مهما ضربت علينا الذلة أو التعتيم الثقافى.

## ٤ - الإسلام سبق الغرب فى (الإتيكيت)(١):

منذ ألف وأربعمائة عام من الزمان دعا الإسلام الناس إلى كل سلوك حسن محمود ممدوح بهدف الارتقاء بالإنسانية، ورسم صورة طيبة لشخصية المسلم وآدابه تتناسب مع كل عصر ومصر، وإذا كنا الآن نطلق على فن التعامل الراقى مع الآخرين كلمة «إتيكيت» فإن الإسلام قد بلغ فى ذلك شأنه وشأوه قبل أن يعرفه الغرب، فلم يترك صغيرة ولا كبيرة دون الإلمام بها.

(١) انظر: محمد عبد القدوس، تعاليم الإسلام قمة الإتيكيت، مجلة كلام الناس العدد ٤١٥، ٢٧ إبريل ٢٠٠١م وانظر الأهرام فى ٢٠٠٢/١٢/١٣م.

وقواعد الإتيكيت على هذا النحو مبسوطة فى كتب الفقه والأخلاق والسلوك تهتم باللباب دون القشور، ومن ثم كانت هناك آداب المائدة وآداب المجالس وآداب التحية والاستئذان، ومن ذلك مثلاً أصول التعامل مع المرأة، ومعاملة الأولاد والجيرة والعشرة، فمن آداب المائدة مثلاً أن الدعوة سنة مستحبة وإجابتها فرض على المدعو وبذلك ينتشر الترابط والتراحم والمودة، ومن ذلك أن يأكل المرء من أمامه ولا يغوص بيده فى كل الوعاء، وأن لا يضع فى فمه طعامًا كثيرًا، ويشرب من كوب الماء على ثلاث مرات، وشرع التسمية قبل الأكل والحمد بعده، كما نهى عن التنفس فى الإناء، وعن الذهاب إلى المسجد لمن أكل ثومًا أو بصلاً، وهذه الآداب قمة فى الإتيكيت، لأن فى الغرب تفوح رائحة الخمر من كل الحضور دون أن يتأذى كبير أو صغير فى ناديهم، وهناك قمة الإتيكيت أيضًا فى علاقة الرجل بالمرأة الأجنبية بما يحفظ عليها كرامتها ويصون عرضها، وإذا كان هناك فى الغرب تقليد يقول «ليدز فيرست» أى (النساء قبل الرجال) فإن الإسلام قد سبق فى تقعيد هذه القاعدة وكان دأب الرسول ﷺ لو كنت مفضلاً أحدًا فى العطية لفضلت النساء أولاً.

والتحية الغربية هى تلك الابتسامة المصطنعة، أما فى الإسلام فهى إدخال السرور على الغير بما يبعث الطمأنينة فى النفس، وأن نتجمل بمكارم الأخلاق مع من نلتقى بهم بصرف النظر عن اختلاف دينهم أو جنسهم.

**أما عن فن المجاملة:** ومنها «مجاملة الجيران والضيوف وزيارة المرضى وتقديم التعازى فقد أوصى رسول الله ﷺ بضرورة مراعاة حق الجار وإكرام الضيف بقوله: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، وكان رسول الله ﷺ يزور المرضى ويشهد جنائز المسلمين ويلبى الدعوات.

**أما عن صدق الوعد واحترام العهد:** قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ**﴾ [النحل: ٩١] ولقد أكد الإسلام ضرورة المحافظة على المواعيد وعدم التخلف عنها إلا لعذر قاهر خارج عن الإرادة، وفى حالة التخلف عن الموعد يجب الاعتذار.

**أما عن مراعاة الأولوية:** «العطف على الصغير ومراعاة حق الكبير» فقال رسول الله ﷺ: «**ومن لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعرف لعالمنا حقه فليس منا**».

أما عن آداب الزيارة وضرورة الاستئذان، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلاَ تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)﴾ [النور: ٢٧ – ٢٨].

فمن آداب الزيارة ضرورة الاستئذان واختيار الوقت المناسب وتحية صاحب البيت.

**أما عن المصافحة:** فكان من أفعال الرسول ﷺ إذا لقى أحدًا من أصحابه بدأه بالمصافحة ثم أخذ بيده فشابكه ثم شد قبضته عليها.

**أما عن آداب الجلوس:** فلم ير أحد الرسول ﷺ قط مادًّا رجليه بين أصحابه.

**أما عن آداب الطريق:** فقال رسول الله ﷺ: **«ليسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير».**

**أما عن عدم رفع الصوت عند التحدث:** فقد قال الله تعالى: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٩].

وباختصار شديد فإن الإتيكيت الغربى ليس له هذا التأثير النفسى القوى مثل قواعد الذوق الإسلامى، لأن الإنسان قد يلتزم به مرة ويتركه مرات، أما التعاليم الدينية فلا تفوت المؤمن الصادق والمؤمنة، وعندنا فى هذا كتب المحاسن والمساوئ، وهى بحور بلا شطآن لمن شاء أن ينهل من فيض الرحمن.

# الفرع الخامس

## القدوة السلوكية والاعتداد بالذات الإسلامية
## (وصالح المؤمنين بعد ذلك ظهير)

وجوههم دائمًا شطر المسجد الحرام، مرادهم تحسين الحسن وتقبيح القبيح.

هم رواد فى كل سلوك حسن محمود ممدوح، يعلمون أن سلعة الله غالية؛ ومن ثم يجاهدون فى الله حق جهاده بالثقافة البناءة والعمل الصالح، فما دورهم ونهجهم فى المجتمع الإسلامى؟ إليك البيان:

### أولاً: دورهم المنشود:

﴿فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ﴾ [هود: ١١٦].
إن إلف المعصية لا يعنى الرضا عنها، والرجوع إلى أعرافنا الطيبة لا يكون إلا على يد كل طبيب ماهر بأمراض واقعنا، وتلك مهمة صالح المؤمنين قبل الدعاة الرسميين.

نعم دور الأسرة قد تراجع، فلم يعد هناك تربية حقيقة، سيما بعد أن أصبحت المدرسة معهدًا للتلقين وموردًا للدروس الخصوصية، ولكن لا يزال الأمل معقودًا عليها؛ لأن الأسرة مؤسسة تربوية، ودورها مرتقب ومأمول فى تنشئة أجيال فتية قوية فى دينها، قادرة على امتصاص سلبيات العصر، والكتاب يراهن اليوم على أنه سيكسب الجولة القادمة لو غمر وعمر بيوتنا، وهذه أولى مسئوليات الأسرة باعتبارها حائط الصد الأول ودرع الوقاية من الرذائل السلوكية.

وصالح المؤمنين دأبهم نشر السلوك الإسلامى المحمود وإشاعته من غير تشنج أو انفعال، فهم الحصن الحصين الذى يمنع زحف الخسيس إلى النفيس.

إن الكتب وحدها على أهميتها لا تربى، فكم نأمل أن يكون فى كل مدينة أو قرية واحد من هؤلاء الربانيين الذين يقومون على الثغور التى ينفذ منها الشيطان وأعوانه لعرقلة السير وتأخير النصر، فالأمة الإسلامية تواجه الآن أزمة مصير، وأزمة نخبة لا أزمة أمة، هم الصفوة من الرجال والنساء الذين تزدان بهم مجتمعات المسلمين، فهم لأماناتهم، وعهدهم راعون، فهم من جنود ربك الذين يبتغون أن يكتب لهم عمل صالح.

فعلى سبيل المثال، بعد انقلاب أتاتورك لجأت عائلات كثيرة إلى الريف بعيدًا عن أعين السلطات؛ تعلم أبناءها الإسلام وتحفظهم القرآن الكريم، فأصبحوا الرصيد الذى أعاد للقضية الإسلامية وجودها وفاعليتها فى أنحاء تركيا لتقاوم التغريب.

وهكذا يكونون من البقية التى تنهى عن الفساد فى الأرض، كما بين الله تعالى فى كتابه، فليس من دأبهم أن يفرطوا فى الكتاب، وإنما يعتبرون بهديه ونهجه، ولا ينال ذلك الشرف إلا كل جواد أصيل صادق الوعد مع الله.

والهموم التى تعانى منها الأمة نوع من المعاناة الطبيعية التى تعترى مسيرة الأمم الكبرى، وعلاجها مرهون بأولى العزم، ورصيدنا منهم كثير؛ رجالاً كثيرًا ونساءً، صدقوا ما عاهدوا الله عليه، من أفاء الله عليهم بالفقه الجيد أو الإبداع فى مواطن الابتداع البناء.

فحراسة القضية الإسلامية وبناء بنيان الإسلام والحرص على أجياله الشجعان، إنما كانت ترتكز على التقويم والتبصير المستمر بالأخطاء، فإدراكها أولى درجات علاجها، وبعدها مارس جيلُ القدوة الأول، وقرنُ الأسوةِ الأفضَلُ فى العصر الأنور، النصح معنى وحقيقة؛ فأتى ذلك بأنضج الأثمار.

إن مشكلتنا هى فى حضورنا وليست فى حضارتنا، أين الحملة الوارثون؟ هل هم غائبون؟ إن وعد الله لا يطال من ادَّعى، وإنما من وعى، والتمكين فى الأرض حق لا يناله الخامل، وإنما الفاعلون[1] ومن هنا كان الدور على صالح المؤمنين إزاء تقاليد المُنصِّرين.

إن كثيرًا من شرائح المقلدين ـ من قبل أن يكونوا من الخوالف ـ هم مجنى عليهم؛ لأن عوامل الجذب إلى الردىء كانت أقوى، ومن ثم فلا نتركهم يتخذون رؤساء جهالاً.

فافتقاد العمل الإسلامى للقدوة المؤثرة أتاح الفرصة للكثيرين أن يكونوا فى قيادة العمل وهم يفتقدون كثيرًا من الشروط التى تؤهلهم لحمل أمانة القدوة والقيادة.

ولكن مَن الذى يهدى الحيارى فى عصر تختلط فيه الرؤى بالضياع الدينى؟ هم صالح المؤمنين دائمًا، فشعارهم: كن داعيًا بسلوكك، فالدعوة بالأفعال لا بالأقوال، فهى الدعوة الحقيقية الفعالة، فمحياه ومماته لله رب العالمين.

(١) د. محمود عصام ، ملحق الإيمان، الأنباء الكويتية فى ٣١ / ٣ / ٢٠٠٠ م.

ومن ثم فإن سلوكياتهم تفرز لنا عسلاً مصفى، لا تفتر هممهم فى أن يأخذوا الكتاب بقوة، فسرعان ما تتولى إلى الظل تلك التقاليد الوافدة بفضل رواد السلوك الأحمد؛ لأن النفس بطبيعتها تقبل على التقاليد، فالصاحبُ ساحبُ الطبع مكتسب من كل مصحوب، فكم نتعلم من أهل القدوة أمورًا كثارًا، كالصلاة فى المساجد لا فى البيوت مع النسوان، وتعظيم حرمات الله فى نادينا سيما فى حضرة المترفين والمأزومين والمثقفين المتفرنجين باحترام الحواجز بين الحلال والحرام، وتغليب المودة على المادة، والحفاوة البالغة بأعرافنا، كالاحتفال برأس السنة الهجرية قبل الميلادية، وكم تحولت امرأة متيمة بالغرب إلى مسلمة جيدة فى مظهرها وجوهرها، وكم من أعراس إسلامية خلت من منكرات الزفاف الغربية، وكما يرى حجة الإسلام الإمام الغزالى، الاهتمام بالجانب العاطفى لدى المسلم بالترهيب من المساوئ والترغيب فى المحاسن؛ وإزاء ذلك أفلست فلسفات الغرب، التى تصر على استحالة تبديل الإنسان لأخلاقه من الخبيث إلى الطيب، فأشهروا إفلاسهم فى بلوغ التكامل الأخلاقى أو التوازن النفسى رغم التقدم العلمى!!

صالح المؤمنين قادرون بنعمة الله على تحويل المحنة إلى منحة، بتوجيه ذويهم إلى إعادة اكتشاف الذات المسلمة، لا ينتابهم التثاؤب فى عملهم، فهم أيقاظ وليسوا ركودًا، لا يتصادمون أبدًا، فكل منهم له موهبة فى الجذب السلوكى، خذ مثلاً لذلك فى مصر، فلقد أنشأت بعض البنوك التجارية فروعًا لها للمعاملات الإسلامية تجذب إليها المودعين المستثمرين الذين يودون أن تكون كل معاملاتهم على النهج الإسلامى الذى لا يشترط فائدة سلفًا عند إيداع الأموال، وهذه الفروع الإسلامية كم جذبت إليها آلافًا مؤلفة من أصحاب رءوس الأموال، وذلك بفضل الصالحين من القائمين على إدارة تلك البنوك.

وكذلك فى قطارات المترو بالقاهرة عربات مخصصة فى كل قطار للنساء فقط فى أوقات الذروة والازدحام حيث تعانى النساء كثيرًا من مزاحمة الرجال، فكان هذا علاجًا شافيًا وكافيًا لاجتياز مواقف ترهق المرأة، ولا ريب أن من اتخذ مثل هذا القرار هو من صالح المؤمنين وهلمَّ جرًا.

وفى (أبو ظبى) مثلاً جائزة البر، مثل يحتذى به، يكتب لصالح المؤمنين فى صحائف أعمالهم، قصد بها تحفيز الأبناء الأوفياء بأهلهم برصد جوائز تشجيعية لهم، ردًا على بيوت المسنين والتى هى عرض لمرضى الجحود ونكران الجميل.

### مثال رائع : إمام القانونيين ينصح أتباعه: احذروا التقليد:

السنهورى هو إمام القانونيين بلا منازع، جمع بين الثقافتين العربية والغربية، وقد خلص إلى القول بأن الغرب «تشرق عليه شمس ساطعة حدقت فيها طويلاً، ثم أدرتُ وجهى إلى الشرق فخيل إلى أننى أنقل شمسًا أوسع مدى وأسطع نورًا إلى أرجاء الشرق الواسعة، ولا أزال أرى الشمسين شمس الغرب الساطعة وشمس الشرق أبهى وأسطع، وقد تضاءلت أمامها شمس الغرب».

ثم يقول: «أريد أن يعرف العالم أن الإسلام دين ومدنية، وأن تلك المدنية أكثر تهذيبًا من مدنية الجيل الحاضر، وقد فسدت قواعد الاجتماع التى يسير عليها أن يسعى إلى مدنية نمت وازدهرت فى عصور كان الجهل مخيمًا على ربوع العالم الغربى» ثم يقرر أيضًا أن الغرب لا يحسن تقليده إلا فى الأشياء المادية ولا ينازع فيها، أما الأشياء المعنوية فيحسن بالشرق أن يواصل تاريخه المجيد دون أن يقلد الغرب.

الإسلام أقوى، لا تهضمه الجيوش، ولا الاستعمار ، ويحاول الغربيون أن يحولوا الإسلام إلى مجرد عقيدة لا شأن لها بالقومية حتى يسهل عليهم تمزيق الأمم الإسلامية كل ممزق[1].

## ثانيًا : منهاجهم الرشيد:

### ١ - تجاور التعبير إلى التغيير:

البداية والنهاية هى الانتقال إلى مرحلة الخيرية التى نعتنا بها القرآن الكريم، فنعى جيدًا أن المحاكاة من جانب الناشئ أهم له من النصح المباشر، وهنا يقول ابن خلدون بالحرف الواحد: «فليكن إصلاحك لتلاميذك إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيكرهوه، وارو لهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعظمه[2]».

والمقلدون وإن كان كبر علينا إعراضهم، فإننا حين نعى عملية الاتصال والإرسال والاستقبال بشكل جيد، تولد لديهم شوق ولهفة تنزع بهم إلى أصولهم

(١) انظر المستشار .د. على فاضل ، الأهرام ٢٨ / ٧ / ٢٠٠٣م. شهادة حق.
(٢) ابن خلدون ، ص ٥٤٠ وما بعدها.

وقيمهم بدلاً من اتهامهم، وحينئذ فلن يدخلوا مع الداخلين فى سرادق الإمعات، إنهم شجيرات طيبة فى بستاننا، فبركاتهم تحل أينما كانوا، تدرأ عن أمتنا غوائل سوء المنقلب والتحول إلى أمة تابعة مع الخوالف.

## ٢ - القدوة السلوكية رسمت نصف خريطة العالم الإسلامى:

«كُلٌّ فى موقعه أو محرابه» أخطر أنواع القدوة، فهى لا تحتاج إلى منبر أو انفعال أو تشيخ كدأب مؤمن آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ..﴾ [غافر: ٢٨].

فهذه صفة الداعية الداهية، سلوك محمود مرئى يشهده المقربون فيقتنعون ، وهذا كان دأب السلف الصالح: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وهذا مثلاً أستاذ الجامعة حين يبدأ محاضراته وندواته مبتسمًا مفتتحًا بسم الله الرحمن الرحيم، فكم يترك هذا أثرًا طيبًا ممدوحًا عند طلابه لا يفارقهم إلا عند أرذل العمر. وكذلك عند مفارقتهم يحييهم بتحية الإسلام، وليس باى باى، وكذلك هو يجنبهم شر الاختلاط فى الرحلات.

وأخطر من الأستاذ أستاذة وعت قيمها وسلوكيات دينها حين تكون فى دار الندوة تؤثر فى أجيال تلو أجيال، حين يغمرها السلوك الإسلامى فى المظهر والجوهر، زى إسلامى متناسق، أو كلم طيب تتحدث بلسان قومها فلا تختلط لديها اللغات دون مبرر كما يفعل المهزومون، وهلمَّ جرًّا، أصحاب المهن، كل فى عرينه وكهفه كيف يشع سلوكيات محمودة تتأبى على أى مظهر للتقليد وهكذا يطئون موطئًا فى كل حين يكتب لهم به عمل صالح. وهكذا رسم لنا السلف الصالح نصف خريطة العالم الإسلامى.

## ٣ - مشروع الولد الصالح واستزراع القدوة السلوكية:

فأجيالنا فى المقام الأول نتاج نسل طاهر، وثقافة بناءة، وقرآن يهدى إلى الرشد، وناشئنا بيته يذكر فيه اسم الله كثيرًا، أمه ترعرعت فى بيت تتلى فيه آيات الله والحكمة، مظهره وجوهره التطابق بين مبادئ الدين وواقع المسلمين، التقاليد الوافدة يصارعها فيصرعها، وليست هذه مثالية ترتجى، وإنما هو واقع

ملموس نتاج البيت المسلم وحينئذ ينشأ ناشئهم على ما كان عوده أبوه، محصنًا من كل تيار هادم.

وإن الشغل الشاغل لرب الأسرة يجب أن يكون هو الحفاظ على الهوية الإسلامية، ومن هنا يكون الولد الصالح عنوانًا لها؛ لأنه نتاج أسرة وقودها الثقافة الإيمانية، فهى حصن حصين للدين تقدم لنا المسلم المتين، ومن ثم فهو بمنجاة من المزالق السلوكية التى تخلق جيلاً مائع الهوية.

ونود الإشارة إلى أن المرأة أكثر ميلاً بطبيعتها إلى أساليب التربية النفسية والعاطفية منها إلى التربية الفكرية البحتة.

## تحذيرات للشباب المتيم بالتقليد:

### الانسلاخ المبكر من ثلة مسلوخى الهوية.

النقود الرديئة تطرد النقود الجيدة من السوق هذا هو قانون جريشام المعروف فى علم الاقتصاد الدولى. فلنحصن عدة المستقبل وعتاده أبناءنا وفلذات أكبادنا من الهزيمة السلوكية المبكرة؛ حتى لا يقعوا فريسة تقليد المقلدين ويقول أحدهم بعد: ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلاً؛ لأن التقليد حين يستفحل داؤه يكون هدمًا لأعراف الأمة يأتى بنيانها من القواعد فيسلخها من هويتها وذلك ليس دأب من ترعرع فى كنف بيت شريف ماجد يعترف بالفضل لأهله.

ولا شك أن أدب الحوار لا الشجار يقدم لنا أجيالاً فى السلوك سوية، أجيالاً فتية قوية لا قطعانًا تساق أو تنساق.

ولا ريب أن العناية بالولد تبدأ إذا بلغ الأطفال منكم الحلم، لا بل قبل ذلك، منذ النشأة الأولى، حين ينهل من صحف مطهرة، وحدائق ذات بهجة من كلام سيد المرسلين ، وحينئذ فهو إلى جيل النصر لا إلى جيل الهزيمة.

ولا ريب أن الدعاء لهم يصلح بالهم: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥].

## ٤ - الداعية الداهية والمنهج الأحمد:

هو حامى الدين من انتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كمركسة الإسلام ورسملة الإسلام، موهوب على العطاء الفكرى، واسع الصدر، دقيق ينفذ إلى أوضاع عصره،

يدرك إيجابياته فيستغلها وسلبياته فيخترقها، ولكن بأسلوب أخاذ، فالداعية الحصيف يعرف الصفح الجميل لا يضيق صدره بما يقولون أو يراهم يفعلون، يحمل عنهم أثقالهم الفكرية، على يقين من أن الباطل زهوق لا يصمد أمام دعوة الحق.

والداعية الداهية ليس خصيمًا مبينًا للمتيمين بالتقاليد فذلك منهاج الضعيف، وإنما يقرع ثقافتهم بثقافته وفكرهم بفكره، فهؤلاء قد لا يجدى معهم الاستدلال بالآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة، فقلوبهم غلف، ومن ثم فهم يحتاجون إلى السلوك السوى والحجة البالغة والكتب القيمة، وفى ذلك فليتنافس المنافسون، صدق الله العظيم: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

فالوثبة الحضارية المرتقبة لن تكون على أنغام بتهوفن كما يغرر بهم سماسرة الغرب وعشاق فنونه ولذائذه، الذين عموا وصموا عن التفرقة بين معجزات الغرب وموبقاته، نقول لأجيالنا الصاعدة: لا ترجعوا من منتصف الطريق فالله غالب على أمره، سواء بكم أو بغيركم.

وأعناق المفكرين يطوقها التزام بصياغة الجيل وحمايته من نفسه، حتى لا يتآكل من الداخل بفعل كيد الكائدين، فالشباب تربة خصبة لأى سلوك حتى لا يتحولوا إلى أذيال تجر.

ولن ينفع اليوم ما يذهب إليه كتابنا وهم يشرحون لنا عملية اصطدام الغرب بالعالم الإسلامى، فيقدمون لنا فهرسًا طويلاً من مؤامرات الغرب علينا، فهزائمنا فى ميدان السلوكيات كانت أيضًا مما عملت أيدينا كما أسلفنا.

على أنه يجب أن يكون مفهومًا أن التغيير المنشود فى السلوك ليس وقفًا على الأئمة المحترفين، وإنما هو واجب إسلامى يطوق أعناق الجميع، كل مسلم يجمع بين الكياسة والسياسة والثقافة، بعيدًا عن التشنجات والانفعالات، وعلى كل من أنعم الله عليه بالحكمة والموعظة الحسنة، وباختصار شديد فإن أرباب القدوة فى المجتمع الإسلامى بيدهم مفاتيح التغيير دون تعيير أبنائنا، وحينئذ نترقب فتحًا قريبًا، تحول أجيالنا من مقعد الخوالف إلى مكان الصدارة، ومن التبعية إلى القيادة نتيجة تخلصهم من عقدة الخواجة: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

واليسر الذى عرف به الإسلام كفيل بأن يغرى السالكين فى التيه بأن يعودوا

أدراجهم إلى ديارهم، والداعية الداهية يستخدم الدهاء مع الأصدقاء، إذا دخل بيتًا مسلمًا ورأى فيه مثلاً صورة شبه عارية أو تمثالاً لبابا نويل على النمط الغربى يُجسِّد الإله بزعمهم ـ وهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ـ فإن سبيل الرشد ألا يحطم التمثال أو ينزل الصورة فذلك أسلوب مدمر يدعو للتذمر، سيما وأن الحمق لا يجذب الحيارى بل يغرس العداوة.

وبالجملة فهو لا يضيق صدره بما يقوله أدعياء التطور الموهوم فى القشور، فالأمر يحتاج إلى طبيب حاذق، وحينئذ يُتبِّرون بأنفسهم ما علوا تتبيرًا.

والغيرة المحمودة هى أولى المحاسن، فهى تشحذ الهمم وتربى القيم، وعند أهلها يتوسم الخير عاجله وآجله، والمسلم الغيور على قيمه وأعرافه من التحلل والاندثار، ولا ريب أنها مسئولية الأخيار، فالزوج الغيور لا يطيق أن يرى زوجته الشابة عارية الأكمام والصدور والظهور ومتبرجة بزينتها لغيره وكذلك الأب الغيور فهو السراج المنير.

### ٥ - اختراق المنتديات:

نوادى المثقفين والمترفين، مواطن الداء بل أثخن الميادين بالجراح التى تعج بالمراهقين والمراقهات وأولاد الذوات، والمولعين بالتقليد والعاشقين للتجديد، الفقراء فى الثقافة الإسلامية، شعور متدلية وتسريحات غريبة، وأفخاذ عارية، وصدور مكشوفة، وهم كالسيل الجارف أو الجواد الجامح، فى حاجة نفسية ملحة إلى من يضبط شاردهم حتى لا تستسلم عقولهم لعواطفهم، وتلك مسئولية النابهين الصالحين ممن يؤسسون أو يحاضرون من سدنة الدين المخلصين، كل منهم بطريقته المثلى، حسن البيان أو فصاحة اللسان أو لسان الحال، وحسن الظن بأجيالنا يتطلب علاجهم لا تركهم، لأن هؤلاء المتيمين نسوا حظًا ممًا ذكروا به أو غاب عنهم وليهم، ومن ثم فعلى الأئمة أن يكونوا لهم منارًا يجذب الحيارى، وحينئذ نسدد ضربة قاضية إلى التقاليد فى عقر دارها.

### ٦ - التفاؤل وفقه المرحلة:

الدعوة إلى رحابنا لا يدخل فيها العَجول أو الملول؛ لأن المعركة مع وافد التقاليد قد تطول.

إن للتقاليد قوتها كما يقول شيوخنا، والناس تحكمهم تقاليد شديدة ويتوارثون أفكارًا يحتاج نقدها إلى زمان غير مقيد، فهى كالأهواء لها سلطانها والخلاص منها لا يتم بين عشية وضحاها[1].

فتغيير السلوكيات من الطالح إلى الصالح أمر قريب المنال، ولكن بخطة مُحكَمة، واستعجال الحل ليس فى صالحنا، فالزمن عندنا جزء من العلاج، ورحلة الدعوة كرحلة القطار، ولكنه قطار يجرى على مهل فهناك ما يسمى «فقه المرحلة» أول فصوله أن بناء الإنسان يبدأ قبل بناء الدولة، والمقدمات تبدأ فى جيل والنتائج تظهر فى جيل آخر. فلابد من التريث حتى تؤتى الدعوة أُكُلها كل حين بإذن ربها: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصافات: ٧٥]، ولنا فى رسول الله (ﷺ) أسوة حسنة فالرسول (ﷺ) مكث فى مكة المكرمة ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى الله على بصيرة، لم يكسر صنمًا أو يحطم حجرًا وقد كان مؤيدًا بالنصر الإلهى.

ويحتاج الأمر لفترة نتواصى فيها أو نتلاوم، ولكن دون تنازع تذهب معه ريحنا، فاستعجال الثمرة قبل نضجها يأتى بثمار فجة، والتخلص من شؤم التقاليد يحتاج أمدًا قد يقصر أو يطول، ولطرح البدائل الإسلامية والواقعية الجذابة والتى تنزع المأزوم من إغراءاته، وإن كثيرًا من الحركات الإسلامية التى تساقطت فى وسط الطريق قبل بلوغ الهدف كانت تفتقر إلى دعامة التدرج، وكانت تتحرك بمنطق الطفرة أو اختزال المراحل، فعزّ عليهم النصر وكان قريب المنال.

## ٧ - الحذر من الوقوع فى مغبة اليأس:

كما يجب الحذر من تفشى الشعور بالعجز، وانتشار روح السلبية التى تؤدى إلى تهاون الناس وترك الآخرين يُشكِّلون مستقبل أوطانهم، وعلى المثقفين مسئولية تخفيف ضغوط اللحظة الراهنة، مستعينين فى ذلك بمخزون الثقافة العربية الإسلامية، من قيم الحق والعدل والتعاون والصبر والأمل، فالخير لا ينهزم والشر لا ينتصر، وفى ذلك سياج منيع يؤمن الحماية الكافية لقيمنا العربية الإسلامية.

إن الغرض هو بناء إطار نفسى مشبع بروح الثقة وتهيئة البناء الذاتى وتعزيز قدرته لمقاومة الغزو السلوكى، ولابد من الاتجاه نحو تشخيص بعض الأغراض المؤثرة فى المجتمع وتكاد تمنعه من التقبل والاستيعاب والقدوة متمثلةً فى

(١) د. محمود عمارة ، أصول الدعوة ، ص ٩٦ .

تأمين الغذاء والمسكن للسكان، وخلق فرص العمل، ومعالجة المعضلات الاجتماعية المتزايدة، وتهيئة مستلزمات التعليم والخدمات الصحية والتوظيف، إضافة إلى مواطن الحرمان الأخرى.

إن توفير الحدود المأمونة لهذه المآخذ فى المجتمع الحضرى العربى يُرسِّخ الإطار الذاتى لشخصية الفرد العربى بما يمكنه من مواجهة أى تحد خارجى[1].

**٨ - الثوابت الإسلامية تجرى فى عروقنا:**

مهما غفل عن ذلك الغافلون فإن العالم الإسلامى يمتلك ثروات طائلةً وكنوزًا ثقافية هائلة، وذلك بفضل الثوابت الإسلامية التى تنتقل من جيل إلى جيل، وقد أفشلت الفكر القومى رغم سيطرته وهيمنته فى السنين الأخيرة، والذى كان يرنو إلى إبعاد الإسلام عن أهله فأبعده الإسلام، فالثوابت الإسلامية تهب الديمومة لهذه الأمة، وقد أفلحت أيضًا فى إجهاض الاجتهادات المغرضة والتى تزعم بنسبية الحقيقة فى تأويل النصوص ومعطيات الدين لصالح السلوكيات الوافدة، فدستها فى التراب، وأجهزت على زمرة السماسرة والأتباع الذين كانوا يحملون معاول الهدم مرتكزين على بعض سلبيات العصور الإسلامية فهدمتهم وهزمتهم الثوابت وأسكنتهم حظائر السوس، ومما يُحسَب لحكام المسلمين أنهم حافظوا على الثوابت الإسلامية من الهدم رغم ما قد يبدو منهم غير ذلك.

إن التحدى الحضارى والسلوكى يقوم على الاعتصام بثوابت الإسلام عقيدةً وشريعة وأخلاقًا ، وتقديمها للإنسانية على أنها حل لمشكلات البشرية بعد أن أفلست الحلول الوضعية.

## ثالثًا: وصالح المؤمنين فى ديار الغرب:

ماذا قدموا وأخروا وهم منبثون فى أرجاء واسعة من المعمورة، إيجابيتهم بغير حساب، رحابة فى الصدر، وسعة الأفق، وحب التعلم، والإقبال على الجديد النافع، وفى حوزتهم وسائل التقنية العصرية لعرض بضاعتنا بعيدًا عن التعتيم الذى فرِض على ديننا.

فالمسلم المغترب هو سفير فوق العادة، عتاده جملة المحاسن التى حفظت

(١) محمد صالح العجيلى ( مرجع سابق).

للإسلام سيرته ومسيرته، والمنصفون من أهل الغرب يودون التعرف على أعرافنا وقيمنا بعدما يئسوا من دينهم.

وهذه الأعراف فى حوزتكم والله رقيب عليكم، فكونوا مُعتَدِّين فرحين فخورين بما أنعم الله علينا من أعراف طيبة.

لقد رسم لنا التجار العرب نصف خريطة العالم الإسلامى من قبل بسلوكهم الوضاء وخلقهم النبيل دون تكلف، وهو ما يغرى الآخرين بالدخول فى دين الله أفواجًا.

لماذا لا يكون النظام العالمى الجديد هو دين القيمة؛ ليواجه الإفلاس المضاعف الذى منى به النموذج الغربى فى قيمه وشيمه.

وباختصار هم سفرة كرام بررة نربأ بهم أن يتحولوا إلى مأزومين أو منهزمين، فليعلموا علم اليقين أن ديننا قد أفرز عسلاً مصفى. وعليهم أن يميزوا بفطنتهم بين المحاسن والمساوئ على نحو ما أسلفنا، والأوروبيات المسلمات وهن مفخرة لديننا وديننا مفخرة لهن، على الرغم من نشأتهن فى كنف أصحاب الملة الأخرى إلا أنهن يأخذن الكتاب بقوة أكثر ممن يقترن بهن من أزواج مسلمين، فكم ننتظر الكثير على أيديهن من تعظيم أعرافنا، سيما وأنهن ممن أكرمهن الله برجاحة فى العقل، وزادهن من زاد العقول، فأضحين منارة لديننا، وصدق الله العظيم القائل: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

## رابعًا: سلوكياتنا الإسلامية لن تتولى إلى الظل:

إن الشعوب عندما تشعر بالخطر تبحث عن كيانها وذاتها، فالمجتمع لا يستقيم عوده أبدًا إذا استورد نموذجًا من خارج تربته، وبالنسبة لأبناء خير أمة، فمهما اتسع نطاق المؤامرة أو تراخى الرماة فى الدفاع، فإن لنا من ديننا دروعًا تعيننا على صد كل غزو سلوكى، فالمسلمون أمة لا تقبل الانصهار أو الاحتواء، ولكن زحزحة العدو لا تتم بين عشية وضحاها، بل يحتاج الأمر إلى تخطيط نابه سدنته هم الصالحون من عبادنا، وقد بث الله منهم رجالاً كثيرًا ونساءً، وهاكم آيةً بينة فلقد هزم أبناء الإسلام دولة الماركسية وأشياعها من الاتحاد السوفيتى فى أفغانستان بإذن الله؛ فزلزلت دولتهم التى أسست على بنيان من أنجاس الفكر سبعين عامًا.

فكم من خطوب جسام اعترت مسيرتنا بسوء فكشف الله الغُمَّة على أيدى نوابغ

الأمة، فالأرض الطيبة يخرج نباتها طيبًا بإذن الله، وإن ضلت الأمم طريقها فالمسلمون لن يضلوا أبدًا.

## خامسًا: ونساء المؤمنين :

عن طريق المرأة تم اختراق المجتمع الإسلامى، وعن طريقها أيضًا تصد التقاليد الغربية الوافدة، نعم فهى أقوى الفرسان فى هذا الميدان، بل تستطيع أن تتسابق بجوادين، والنصر معقود لها، وعلى قدر زادها من ثقافة دينها يتعاظم دورها أو يتضاءل.

ومما نبشر به المؤمنين أن مظاهر الصحوة الإسلامية عمت الفتاة المسلمة عن اقتناع واختيار للباس الشرعى والمسلك الإسلامى فى البلاد التى اكتوت بنار الغزو الفكرى، بل وأصبح لها شأن وشأو فى نصرة الدعوة، بل وأصبح للنساء دور مشهور، فصرن داعيات للسلوك الأحمد بلا منابر.

هؤلاء النسوة ترتفع بقدرهن مجتمعاتهن فهن دائمًا صاعدات فى مدارج الكمال ترقى بهن الأمة.

هى بيدها الحل والعقد، ودور البطولة هنا معقود لها، فهى تستطيع أن تقوم بكل الأدوار فى معركة التقاليد، سيما إن كان عندها الزاد الثقافى البناء الذى يمحو الشعور بالدونية، ففى الأندلس بعد ثمانية قرون من الزمان غاب دور المرأة المسلمة عن الميدان، فهزم العرب فى سان تولون، بعد أن كانت راية الإسلام خفاقة هناك، ويعللون ذلك أن الفاتحين والأبطال ذابوا تدريجيًا بالزواج من نساء الشمال الإفريقى ثم نساء الإسبان فذابت الشخصية المسلمة رويدًا رويدًا وفترت عزائم الرجال، وهكذا يظل للمرأة المسلمة دورها الرائد المنشود فى التغيير المأمول إلى الأمام لبنى جنسها ابتداء، ثم للرجال انتهاء فهى دائمًا أقرب الناس إلى الرجل، وتستطيع بمنهاج أمثل تطوير السلوك الطالح إلى الصالح، فهى غيور على دينها كما تغار على زوجها، ودورها لا يزال شاغرًا فى مواقع التأثير السلوكى، سيما فى المنتديات التى يغشاها أبناء المترفين المولعون بالقشور من التقاليد.

والمرأة عندنا نصف المجتمع لا بل هى كل المجتمع، فهى الأم الحانية والابنة الكريمة والأخت الودود والزوجة الصالحة، والحفيدة المأمول على يديها الخير، ومع المتفقه فى الدين تكون التقاليد مدحورة، وذلك بتحصين أبنائها وإعداد فتاتها حتى

لا يتاجر بها مع صديقاتها، ورصد الأشرار فهم مرتع الخبث، وغربلة الأصدقاء، فالدعوة للسلوكيات فن وأسلوب واحتواء وحب، والكلام اللين يخرج الحية من جحورها، والإسلام كرمها فاليوم هى تكرمه، وهنا تقدم لنا أجزل عطية أو هدية بالقدوة السلوكية والهيمنة الفكرية على الأخريات سيما المأزومات، وحينئذ تفوز بمرتبة الشرف فى الدنيا ومنازل الشهداء فى الدار الآخرة، وحقًا ما يقولون: أعطنى أمًّا مسلمة فى كل بيت لا أعدكم فقط أن تكسر الأقلام التى ترنو إلى الغير بإعجاب، بل أعدكم ألا توجد تلك الأقلام أصلاً، وتلك نصيحة داعى الدعاة الشيخ محمد الغزالى.

لتعلم علم اليقين أن الأجانب الوافدين لديار الإسلام ينظرون إليها بإعجاب ولكن من طرف خفى، فاعملوا على مكانتكم.

## ١ - ومصممو الأزياء أين رداؤكم العصرى الشرعى؟!

أين العباءة الأنيقة العصرية فى المدائن العربية؟ أين الجلباب الذى لا يصف ولا يشف، محلات الأزياء الإسلامية نادرة فى البلاد العربية، وتعثر المسلمة عليها بصعوبة، إن أزياء الشرفاء لا تخضع للموضة، هذا ما يقوله المفكر الأديب أنيس منصور[1]، نعم إنه رأى موحد فى كل العصور، لأنه تعبير عن القيم والفضائل وهى بدورها لا تخضع للموضة، فهل يتغير الكرم أو يتبدل الوفاء بدعوى التجديد؟ كذلك لباس المرأة الفاضلة، وأبلغ دليل على ذلك زى الراهبة ما أصابه التطوير أو التبديل، لأنه يعكس بعض ما أوتى النبيون من ربهم، وأولى لنا ثم أولى نحن المسلمين، فنحن نعظم حرمات الله الذى استضافنا فى كونه الفسيح، فمن السفاهة ألا نعترف بالجميل، الرداء الإسلامى دوره خطير فى انحسار التعرى وجذب الحيارى السالكين فى مسالك التيه.

وهذه «حايقة خان» الأوروبية التى اعتنقت الإسلام وارتدت زيه وتزوجت لاعب الكريكيت الشهير «عمران خان» تقول فى عبارة وجيزة: «إن الإسلام لا يحط من قدر المرأة، بل يحبذ وحدة العائلة ويشجع الترابط، وارتداء الزى الإسلامى أكثر أناقة من غيره، وسعادة المرأة الغربية رهينة بدخولها فى النوادى الليلية وتناول ما طاب لها من المشروبات الكحولية وارتداء الثياب الشفافة التى تظهر أكثر مما تخفى».

وتحرير المرأة لا يعنى التحرر من زيها، فليس فى العالم كله نظام واحد يحبذ

(١) الأهرام فى ٢٢/١٢/٢٠٠٠م.

المرأة عارية أو شبه عارية فى الطريق العام، حتى فى النظم العلمانية الغربية فهى تخشى أن تتحول إلى فريسة ضعيفة أمام ذئاب البشر.

ومن ناحية أخرى فإن النساء يرفضن هذا التعرى، فالمرأة التى تكشف عن مفاتنها لأزواج الأخريات، لا ترضاه الأخريات.

والغرب المتحضر لم يتقدم يوم تبرجت النساء، وإنما لأنه أخذ الكتاب بقوة وطبق كل إيجابياتنا سيما أول كلمة نزلت فى قرآننا «اقرأ» وما تلاها، ولم يقل فلاسفة الغرب من ناحية أخرى: إن احتشام الراهبات معادٍ للتقدم.

هؤلاء وهؤلاء مدعوون إلى قول ربهم: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج:٣٠].

## ٢ - التبرج والشخصية[(١)]:

هل التبرج علامة على رقى أو تقدم أو قوة فى الشخصية؟

وحين تكشف عورات النساء هل ذلك يحرز نصرًا ويجلب سبقًا أو ينفع مجتمعًا؟ هل كان التبرج سببًا للنهضة الصناعية فى أوروبا شرقها وغربها؟

هاكم أوروبا نفسها فى عزها ومجدها إلى عهد ليس ببعيد كانت تنكر المنكر وتعرف المعروف، فلقد باركت محكمة النقض الفرنسية حكمًا صادرًا من المحاكم الفرنسية قضى بتأييد قرار إدارى أصدره مدير البلدية فى إحدى المدن، حظر ارتداء النساء ملابس الرجال والظهور بها فى المجتمع أمام أعين الناس[(٢)].

ولكن المجتمع الغربى تردى بعد ذلك فيما تردى فيه. إن سر تقدم المجتمع الأوروبى هو العلم وليس التقليد فى السلوكيات، هو العلم الذى دعا إليه القرآن الكريم واستهل الله قرآنه به.

لقد تناست المسلمة أن التبرج غريب على المجتمعات الإسلامية، فلكل مجتمع خصائص تميزه وأولاها الزى سيما زى النساء. إن القرآن الكريم يأمر نساء المسلمين جميعًا أن: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فالزى الإسلامى للمرأة وجاهة ووضاءة وحماية فى آن واحد، وكم جر التبرج على المتبرجات من جرائم الاغتصاب!

(١) راجع مؤلفنا: حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامى ص ١٠٨.
(٢) راجع مؤلفنا : القانون الإدارى بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور محمد رفعت عبد الوهاب ص ١٤١.

ومن عجيب الأمور أننا نرى الراهبة فى أوروبا ترتدى زيًّا متأنقًا يستر البدن ولا يكشف إلا عن الوجه والكفين ولا تكشف عن ساقيها، رداؤها يحجب كل نظرة خبيثة؛ وهى لذلك موضع احترام وتبجيل، ولم يستنكر أحد زيها أو يطلب منها التحرر خشية الاتهام بالرجعية.

لماذا أضحى الفكر عندنا كليلاً بعدما أثخنه الغزو الفكرى بجراحه؟ فكثير من ضعاف الحاسة الإسلامية لا ينظرون إلى الزى الإسلامى إلا نظرة جحود، وكأن أجدادهم من أصل أوروبى.

إن المعاصرة لا تعنى الحرية فى الانفلات، الحرية التى تدفع بها إلى المكروه، فحضارتنا الشامخة على خلاف المدنية الغربية لا تقف عند الجوانب المادية وحدها وإنما هى تعنى بالجوهر والمظهر معًا دون إهدار لأحدهما[1].

ليكن معلومًا أن تطور الغرب صادف منهج الإسلام فى جملته، وإن كانوا الآن قد خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فصارت حضارتهم تتعرض لزلات وهزات بعد تراجع القيم عندهم رويدًا رويدًا.

### ٣ - ناصحة أمينة أوروبية لامرأتنا العربية:

أين خصوصياتكم؟ «امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية المرأة»[2] قالت الصحفية هيلسيان وهى صحفية تراسل أكثر من (٢٥٠) صحيفة أمريكية، ولها مقال يومى يقرؤه الملايين، ويتناول مشاكل الشباب تحت سن العشرين، وعملت فى الإذاعة والتليفزيون والصحافة أكثر من عشرين عامًا، وزارت جميع بلاد العالم وهى فى الخامسة والخمسين من عمرها، تقول الصحفية الأمريكية بعد أن أمضت شهرًا فى مصر، الجمهورية العربية: إن المجتمع العربى مجتمع كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشاب فى حدود المعقول، وهذا المجتمع مختلف عن المجتمع الأوروبى والأمريكى، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع الغربى، على الفتاة الصغيرة - وأقصد ما تحت العشرين - هذه القيود صالحة ونافعة - لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق

(١) عبلة الكحلاوى - الأهرام ٢٥/٦/٢٠٠٢م.

(٢) مكانك تحمدى، لأحمد جمال ص١٢٩ مشار إليه فى عبد الله الشبانة (مرجع سابق) ص١٦٥.

ومجون أوروبا وأمريكا، امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين، فلقد عانينا فى أمريكا الكثير حتى أصبح مجتمعنا معقدًا مليئًا بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملأون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية، فهل من مدكر؟ لقد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات «جيمس دين».

نعم لقد كان دين القيمة أحرص على شرف الفتاة ذات الطباع السليمة، وجعل لها كرامة لا تنال من حريتها وعزتها بل تعززها؛ فلها الحق كل الحق فى أن تخرج إلى أى مكان تشاء للسياحة والسفر لترتاد المجهول ولكن مع عاصم لها، يدرأ عنها ذئاب البشر، فيحفظ عليها كبرياءها سر قوتها وسعادتها، لا يمسها سوء من جراء ما يحدث عادة عند البعد عن الأهل من تآلف وتقارب وتجاذب من عمل الشيطان، ويكفينا هنا أن نقول للقائلين بالتطور والتحرر ألا يجرئها هذا الاختلاط على زوج المستقبل وشريك الحياة، ذلك الذى يحلم بعفيفة شريفة مصونة لم تمس كأنها بيض مكنون.

مارلين مونرو تأسى على ما فاتها من القيم السلوكية: «مارلين مونرو» الممثلة الأمريكية التى طافت شهرتها الآفاق والتى انتحرت فجأة فى لحظة إحساس مرير بالتعاسة كأنثى طبيعية ـ ألم تقل فى الرسالة التى وجهتها إلى فتاة تطلب نصيحتها «احذرى المجد احذرى كل من يخدعك بالأضواء، إنى أتعس امرأة على هذه الأرض، لم أستطع أن أكون أمًّا، لقد كنت أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة على كل شىء، إن سعادة المرأة الحقيقة فى الحياة الزوجية الطاهرة التى هى رمز سعادة الأنثى بل الإنسانية، لقد ظلمنى كل الناس وجعل العمل فى السينما منى سلعة رخيصة مهما نلت من السمعة والشهرة الزائفة».

## ٤ - غربيات ممتعضات من تقليدنا:

فى جريدة الأهرام فى ٢٧ مارس ١٩٦٢ جاء فى باب: مع المرأة هذا العنوان: «المرأة الغربية غير راضية عن تقليد المرأة الشرقية لها» وجاء تحت هذا العنوان: اهتمام المرأة العربية بالمرأة الغربية وحرصها على تقليدها فى تصرفاتها وفى طباعها لا تستسيغه السائحات الغربيات اللاتى يحضرن لزيارة القاهرة، ولا يرفع من سمعتها فى الخارج كما تظن، أفصحت عن ذلك صحفية إنجليزية زارت القاهرة أخيرًا وكتبت مقالاً فى مجلتها تقول فيه[1]:

(١) الأهرام فى ٢٧ مارس ١٩٦٢ م، راجع فقه السنة لسيد سابق ٢/ ١٣٩ . مرجع سابق.

«لقد صدمت جدًا بنزولى أرض المطار فقد كنت أتصور أننى سأقابل المرأة الشرقية بمعنى الكلمة.. ولكننى لم أجد شيئًا من هذا فالمرأة هنا هى نفسها المرأة التى تجدها عندما تنزل أى مطار أوروبى، فالأزياء هى نفسها بالحرف الواحد وتسريحات الشعر هى نفسها والمكياج هو نفسه حتى طريقة الكلام والمشى وبعض الأحيان اللغة إما الفرنسية أو الإنجليزية، وقد صدمنى من المرأة الشرقية أنها تصورت أن التمدن والتحضر هو تقليد المرأة الغربية».

وتقول فابيان عارضة الأزياء المشهورة: «لولا فضل الله على ورحمته بى لضاعت حياتى فى عالم ينحدر فيه الإنسان ليصبح مجرد حيوان، كل همه إشباع رغباته وغرائزه بلا قيم ولا مبادئ».

وصحفية فرنسية تقول: «وجدت المرأة العربية المسلمة محترمة ومعززة داخل بيتها أكثر من الأوروبية، وأعتقد أن الزوجة والأم تعيشان بسعادة تفوق سعادتنا، وتقول للمرأة المسلمة ناصحة لها: لا تأخذى من العائلة الأوروبية مثلها لأن عائلتها هى نموذج ردىء لا يصلح مثالاً يحتذى به[1]».

## ٥ - خذوا حذركم فى الدواوين وغرام الموظفين:

هذه رسالة بعث بها زوج غيور إلى أطباء النفس حملتها جريدة الأهرام فى ٢٠٠٢/٧/٥ يقول فيها: «تثور زوجتى بحدة وتنقلب حياتها جحيمًا إذا اعترضت على اتصال زملائها فى العمل بها فى البيت فى أى وقت لأمور تتعلق بالعمل فما هو قولكم دام فضلكم؟» وكانت الإجابة للدكتور عادل صادق: «إن البيت له حرمة، ولكن لا داعى لاستخدام العنف فى حل المشكلات الزوجية».

الاختلاط بين الجنسين أمر واقع وليس له دافع، فهو من ضغوط العصر، والمرأة المسلمة كانت حاضرة فى كل مجالات العمل العام فى العهد النبوى، من المساجد ومجالس العلم إلى الغزو والجهاد مرورًا بالأسواق والأعمال المهنية، كانت تتحرك فى تلك الدوائر كلها بمحاذاة الرجل، ولكن دون اختلاط يحيف بها أو يجنى عليها، فمجتمع المسلمين ليس مجتمعًا تقوم فيه الحواجز بين النساء والرجال، ولكنه مختلط ملتزم بأحكام الفضيلة سلفًا، فاللقاء بين الرجال والنساء

(١) من وحى الواقع، محمد ناصر العرينى ص ٤٤ .

جائز إذا كان لهدف نبيل كعلم نافع أو عمل صالح أو جهاد لازم، وعمل المرأة ليس محرمًا كمبدأ عام.

ولكن الاختلاط فى الدواوين على النهج الغربى إثمه أكبر من نفعه؛ لأنه ينشئ علاقات ثانوية ثنائية بين الموظف وزميلته خارج الحدود المرسومة، ويستمتع بعضهم ببعض فى الحديث الأخاذ والود الكذاب، وتكون الفتنة فى أحيان كثيرة غير مأمونة العواقب، سيما حين تتحول الزمالة إلى صداقات وزيارات، ثم خلافات زوجية لا تجدى فيها المصالحات، وكل أولئك يقود إلى ما يسمى الضياع، نتيجة تسرب العلاقات العاطفية خارج دائرة الحياة الزوجية.

إن الاختلاط بغير سياج من الشرع الشريف أولى موبقاته أنه يجلب الإعجاب بغير الزوج، كأثر للأحاديث المتبادلة والفراغ الوظيفى والبطالة المقنعة والساعات الطوال التى يقضونها فى المكاتب، والتى ربما لا تتوافر للزوجين فى البيت معًا، وهنا يكون حقًا ما يقوله الأستاذ أنيس منصور: إن الأعزب هو الذى نذر نفسه لإسعاد زوجات الآخرين وكم ينجم عن ذلك فى نهاية المطاف من زلات ومشاجرات فى عش الزوجية ليس لها مبرر سوى الإعجاب الدفين الذى ولده الاختلاط، أما الصالحات فلهن ألف عاصم وعاصم من دينهن، وهنا يقول رسول الله ﷺ «**ليس منا من خبب امرأة على زوجها**» بمعنى: أفسدها عليه.

## ٦ - اعتبروا يا أولى الألباب:

### ماذا آل إليه تحرر المرأة فى الغرب؟

الاختلاط المبكر فى الغرب هناك بلا حدود، أجاء بها من حيث لا تشعر إلى المتاجرة بها قبل الزواج، فحرمت من السعادة الحقة أمل الفتاة الخصيب، سيما إذا أنجبت طفلاً ينسب إليها لا إلى أبيه، ثم فتح لها باب الإجهاض مصيرًا غامضًا محفوفًا بالمخاطر، وبالجملة فما ربحت تجارتها.

ماذا كانت القطوف الدانية لها، وهى تعيش فى رغد العيش؟ أكذوبة أن يقال: إنها تعيش فى سعادة. نعم هى تبتسم ولكنها ابتسامة مصطنعة، أضاعت بيتها وخسرت أولادها وظلمت نفسها وعددت من أزواجها فى ظل الزواج التجريبى أو الانفصال الجسمانى.

لقد ضاعت منها فرصة الهناء العائلى بعد تقدم العمر، فالأوروبية اليوم لا تمت إلى مهمة الأمومة إلا فى عملية الإنجاب، ولقد تفشى بينهم الطلاق والانفصال الجسمانى كما ألمحنا من قبل، وانحسرت حالات الزواج الدينى نتيجة الإباحية واتخاذ الأخدان وهى المعاشرة الزوجية بلا زواج، واقتلاع الحواجز بين الحلال والحرام فقلَّ إنجاب الأولاد، حتى إن هناك دولاً أوروبية تترقب الشيخوخة المبكرة لقلة الإنجاب.

هرعت إلى ميدان العمل تسابق الرجل فيسبقها وهو أشد منها قوة، وما كسبت فى إيمانها خيرًا، فالأمريكيون يتحرشون بزميلاتهم فى العمل استغلالاً لعجزهن عن إثبات التهمة، والاعتداء على الموظفات زاد فى أوروبا نتيجة مشاركتها الرجل فى مكتبه فأصبحت هى الصاحب بالجنب، واعتداءات بالجملة سواء بالنظر أو باللفظ أو بالفعل من رؤسائهن، وحدث التفكك الأخلاقى مخيبًا ظن الذين راهنوا على أنه لن يحدث فى ظل الإباحية . فهى تثور مع الثائرين على أصحاب المصانع والمتاجر ورءوس الأموال مطالبة بتحسين ظروف الأداء، وبالجملة آل الحال إلى اعتبارها مساوية للرجل، وليس الذكر كالأنثى فعوملت بلا إحسان، وصارت تعمل فى المطاعم والحانات وفى الفنادق والأعمال الشاقة فى الشوارع حتى إنها قد تقضى فيها سحابة يومها أو جزءًا من ليلها.

لقد مضت قدمًا فى طريق التحرر رويدًا رويدًا من زيها والاهتمام بقدها وقوامها المائل إلى النحافة، وصارت تنفق على ذلك أكثر دخلها.

جاءت الريح بما لا تشتهى السفن، فعلى سبيل المثال وفى عام ١٩٩١م أصدرت بريطانيا قانونًا جديدًا يعطى للطفل نفسه الحق فى أن يختار بين أمه وأبيه، فالأم قد صارت تجد نفسها فى ذاتها، وذاتها فى عملها الذى يوفر لها الاستقلال المالى، وأصبح الزواج أشبه بحماقة يرتكبها أصحابها، والعقوبة تنفذ فى الأولاد كمجنى عليهم، وفى نظر المرأة الغربية أن تلك العقوبة يجب أن تصب على الزوج وحده؛ لذلك فهى تتفنن فى الهروب من رسالتها لترمى بها إلى الزوج، ولتكلفه مالا يطيق لو اختار الأولاد أباهم، تلكم بعض إفرازات المدنية الغربية فى شقها السلبى، نطرحها أمام المعجبين والمنبهرين، فما لكم عن التذكرة معرضون؟![١]

(١) أنيس منصور الأهرام ١٩٩٢/٧/٢٢م.

## ٧ - آية الستر تدرأ غوائل الاختلاط:

آية كريمة تعطينا عطاء يتجدد، تواكب كل عصر ومصر ترفع من قدر المرأة المسلمة إن شاءت أن يرتفع قدرها أمام كل برٍّ وفاجر: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقد ابتدأت الآية الكريمة بأمر النبى الكريم أن يوجه دعاءً ونداء إلى الأمة جمعاء للاعتصام بالدين وتعاليمه الرشيدة، وبالأخص فى أمر اجتماعى خطير وهو الزى الإسلامى، الذى يصون للمرأة كرامتها ويحميها من النظرات الجارحة والكلمات اللاذعة والنوايا الخبيثة، لئلا تتعرض لأذى الفساق فهى مثل الزجاجة كسرها لا يجبر[1].

فستر المحاسن والعورات لا يكون إلا عن طريق العباءة الفضفاضة أو الجلباب الواسع، وهكذا تتميز عن غيرها من النساء، وإلا فما الذى يميز المسلمة من غير المسلمة فى بلاد الغزو الفكرى، هل هو مجرد الإيمان الذى تكنه فى صدرها؟

## ٨ - الإسلام ليس أول من شرع الحجاب[2]:

يحرص الإسلام على التنبيه إلى دور الملابس والزى فى الحياة، سواء للذكر أم للأنثى، فالإسلام يرى أن المنطق هو فى اجتناب الإثارة؛ إذ كانت لا مرحبًا بها لدخولها فى دائرة الحرام.

ولقد خلق الغزو الثقافى كتابًا وفلاسفة زادهم ومعينهم إقصاء الدين وهم يدعون أو ينتسبون إلى الإسلام، يقولون: إن زى المرأة لم يأمر به الإسلام، ويفسرون آيات الله على هواهم. مع أن الإسلام ليس أول من شرع الحجاب، وإنما فرضته اليهودية والمسيحية، ومازال لليوم فى الكتاب المقدس. ومن المعروف أن اليهودى المتدين من حقه أن يطلق زوجته إذا ما غادرت بيتها عارية الرأس، وفى المسيحية يقول «بولس»: إن المرأة التى تخرج عارية الرأس يجب أن يجز شعرها. ولبس الراهبات اليوم على ذلكم من الشاهدين، فهل يكون الاحتشام بعد ذلك ليس من الإسلام؟!

(١) تفسير الصابونى، ج٢، ص٥٣٧ .

(٢) د. زينب عبد العزيز ـ مجلة نصف الدنيا المصرية فى ٢٧/٤/٢٠٠٣م.

وآية الحجاب قد نزلت فى سورة النور وهى السورة الوحيدة فى القرآن التى تبدأ بقوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ [النور: ١]. وهى سورة مليئة بالفروض الدينية والتربوية والأخلاقية، أى أن كل ما هو وارد بها فرض

لا اجتهاد فيه، وصدق الله العظيم ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وبعد هذا العرض المار نجد أنه ليس علينا بعزيز أن نلفت العالم حولنا من قاعدته فى مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى ما وهبنا الله من رشد أخلاقى نتيه به، فنصدره إلى العالم أجمع وما يدريك لعله يزكى، فيتحول من تغريب العرب إلى تعريب الغرب؛ لأن فيه تربة خصبة لكل ثقافة بناءة جيدة تشعها منارة الإسلام.

وذلك على ما سنرى فى الصفحات التالية.

# الفصل الخامس

# المسلمون وتصدير الرشد الأخلاقى

المحاسن عندنا بحور بلا شطآن، واقع زاخر وفاخر، وأهل الغرب لا يزالون يحسدوننا عليها بعد أن توارت عندهم وصارت بضاعة مزجاة، فأعرافنا كلها عذب فرات، وما يخالفها ملح أجاج لأنهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا، فهل من غيور فخور بدينه يعيد إلى واقعنا وجهه الوضاء؟

والأمة الإسلامية أمة معطاء، ورسولنا ﷺ قد بعث ليتمم مكارم الأخلاق لا للعرب وحدهم، ولكن للعرب والعجم والغرب منهم، وعلى المسلمين أن يتموا رسالة رسول الله ﷺ، وأن يغترف العالم أجمع من مجدها وقيمها وينابيعها الفياضة، وهذا من قبيل الثقافة التصديرية على التفصيل التالى:

## أولاً: المسلمون هم رواد المحاسن:

نعم إن القيم الخلقية هى التى جعلت للإسلام دولة كبيرة فى مدة قصيرة، والعالم الإسلامى المترامى الأطراف لا يزال على علاته موئل العالم كله فى السلوك السوى، ولا يزال عالمنا محسودًا بما فيه من الشمائل الطيبة، وستظل لنا هذه المكانة مهما أشعرونا بالدونية أو فرض التعتيم على دورنا.

وهذه المكانة يقدرها حق قدرها من ذهب إلى بلاد الغرب، وكل من قبع فيها سنين عددا.

ولقد كان المسلمون الأوائل هم رسل المنهج التجريبى فى العصر العباسى، والذى استمدت منه دعائم النهضة الغربية فعبوا من حضارتنا، حتى أحدثوا تلك القدرة العلمية الخلاقة، بينما ظللنا نحن بلا حراك كمن هو كَلٌّ على مولاه!!

معلوم أن الحضارات تدين بوجودها إلى اختلاط الشعوب والثقافات الأخرى، والأوروبيون اليوم الناصحون منهم تشرئب قلوبهم إلى حكيم يتبعونه، وتتطلع جماهير غفيرة منهم إلى العودة إلى رحاب العقيدة الدينية مما جعل الكنيسة تعيد استثمار جاذبيتها الدينية لهم، ولكنها إن عاجلاً أو آجلا ـ كما يقول مراد هوفمان ـ فى بحثها عن البديل الحق: ستلتقى بالإسلام الصاعد نجمه[1].

(١) مؤلفه الإسلام كبديل، ص٢١.

فالعلم العربى كان له أثره فى تطور العلم العالمى وكانوا يسرقون منا ولا يقولون. وللأسف فإن الأوروبيين هم الذين كتبوا التاريخ فزوروا. إن الاعتداد بالذات يصنع المعجزات والشعور بالهوان يقتل الكفايات والكفاءات، فهل أذن مؤذن بأن ينفض الغبار عنا، ويقف الغرب وأهله على محاسننا ويشيدوا بها؟

إن الشرق دائمًا هو الذى يقدم الارتقاء الصادق للإنسانية، وحضارة بابل دورها مرصود فى الارتقاء الحضارى، ولقد تتلمذت أوروبا على أيدى نوابغ علماء المسلمين فى مجالات الدين والدنيا، وكان حظهم من الأخيرة أوفى وأوفر، وكانوا وقتها فى بحور التيه والظلمات، واسألوا الحروب الصليبية عما نقله الصليبيون غداتها من العلوم والفنون والآداب، أو سرقوه من المخطوطات الإسلامية النادرة، وما كان لذلك من أثر فاعل فى تلقيح الحضارة الأوروبية، فإن النقلات الكبرى فى الارتقاء الحضارى كانت عن طريق العلماء الموسوعيين الذين أنجبتهم عقيدتنا، كابن رشد وابن سينا والرازى وغيرهم.

ويوم تمرد إنسان الغرب على الدين قاده ذلك إلى الجحيم حتى أوصله للانتحار، ومهما علا فى الأرض أو تجبر أو تكبر فهو فى حاجة ملحة إلى قبس من دين القيمة، وهنا ينطلق «جارودى» المفكر الإسلامى الغربى ليقرع أسماع أوروبا بأن الإسلام هو تاريخ المرحلة المقبلة والأفق الجديد أو الجهد للفكر الإنسانى والسلوك المهدى، ولولا التعتيم الإعلامى الذى يفرض علينا لآتى الإسلام أكله هناك؛ فالمسلمون هم أصحاب رسالة خالدة فى كشف الظلمات عن الإنسانية وتقديم الجرعات الشافية لها، وقيادة الإنسانية نحو دائرة الضوء الربانى، لأن الناس كلما غرقوا فى الشهوات والأهواء كانت دعوة الباطل هى دعوة الحق، ودعوة الخير هى دعوة السوء وحينئذ تظهر الحاجة الماسة إلى دعوة الرسل، ولن يجدوا من دونها موئلاً.

إن العيب كل العيب ليس فى ديننا ولكن فى إهمال تطبيقنا.

يا أجيال الغد المأمول: إن الرحال تشد إلينا فى مجال فعل الخيرات وترك المنكرات والتكامل الأسرى والطهور الأخلاقى والهناء العائلى، فاعملوا على مكانتكم ولا تهنوا وأنتم الأعلون.

فهذا هو برنارد شو الفليسوف العالمى والروائى الشهير يشهد بأن دين محمد ﷺ هو دعامة النظام العالمى لو شاءوا، تؤسس عليه مبادئ السلام وكل دعائم

السعادة لبنى الإنسان، ويتابع القول فيقول بأن محمدًا (ﷺ) لو حكم العالم فى عصرنا لقدم لنا الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى.

إن أخلاقنا يغذيها منهج سماوى لا أرضى، وعطاءها موصول ما وصله الصالحون منا، حكامًا وشعوبًا ولو كانوا أولى بقية، ولا ينال ذلك الشرف إلا شريف ذو معدن نفيس.

**مرشدو الوفود السياحية من أخطر الفرسان**

نعم هو مظهر لشعبه وعنوان على دولته فى المحاسن والمساوئ، فإذا كان مترعا بالثقافة الإسلامية أعلى شأننا وشخص محاسننا فى ساحتنا المترامية من الخليج إلى المحيط، مثل محاسن بلادنا التى حوت كل خيرات حسان، وتميزت بخصوصية حضارية عريقة جذابة، يفد إليها الناس من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم. فهلا اصطفاهم رجال الأعمال على علم لكى يعرضوا إيجابياتنا عن بصر وبصيرة، سيما أن الأجانب منبهرون بما لدينا، وإن كان ما لدينا بمثابة حسناء عند أعمى. وعليه فإن المرشد السياحى المسلم لا يشرب الخمر إذا شربوا، ولا يقرب الفواحش وهو يعيها جيدا، وسماحة الإسلام ورحابته على وجهه، وكل المحاسن التى عهدوها أو يعرفونها تعلوه وهى ديدنه ودينه، وهلم جرًّا. إن مثل هذا المرشد هو أكبر رصيد لنا فى عرض المحاسن سيما أنه يمضى معهم أياما عديدة أو مديدة.

## عقلاء الغرب متعطشون إلى روحانياتنا:

أزمة الإنسانية اليوم تعزى إلى غياب الأمة الإسلامية عن مكانها فى الساحة الحضارية المعاصرة.

نعم انتصر الغرب على الشيوعية بالفعل ولكنه يعانى اليوم من أوجاع تزداد حدتها يومًا بعد يوم، من سلوك معوج وتفشى الجريمة وتفكك الأسر، وكل ذلك نتاج ثقافة مشوهة وخيبة فى إعمال العقل بالبعد عن منهج السماء.

المستنيرون الغربيون هم اليوم فى شغل شاغل للبحث عن دين جيد أو سلوك أحمد بعدما خمدت مدنيتهم فى ساحة التوازن النفسى، وتقطعت أنفاسها فى إسعاد أهلها، بسبب الفلسفات التى بهرت أعين الناس كالوجودية والإلحادية والعدمية والرأسمالية والماركسية والشيوعية، ثم أوقعتهم فى التيه حين ظهرت

نتائجها فى سلوكيات هدامة، فهناك مثلاً فى مدينة بطرسبرج جمعية إحياء ثقافة الانتحار، ومن شروط العضوية أن يكون المليونير من الساعين بجدية إلى الانتحار، وأن يكون من الأذكياء فلا ينفذ قراره إلا استنادًا إلى أعلى مستويات الرشد العقلى، وهذا محام أمريكى شاب يدافع عن فتى قتل جارة عجوزا طمعًا فى مالها، وقد تمت الجريمة إثر عودة الشاب من مشاهدة فيلم سينمائى بهذا المعنى، وأثناء المحاكمة طلب المترافع عن المتهم أن يعتبر القاتل الحقيقى هو البطل الذى أدى الدور على الشاشة، فأدى المتهم دوره ببراعة كذابة بدافع تقليد الأبطال.

وغداة انهيار الشيوعية وغروب شمسها، صاروا ينقبون عن مذهب يؤمنهم من خوف المجهول، ليذهب عنهم العطش الروحى.

وأمريكا بدورها دولة قد توحشت كما يقول جورج كينان من كبار مفكريها: وعدتُ أشعر فيها بالغربة، والمستقبل على كل حال ليس لصالح دولة واحدة عملاقة[1].

فالمدنية الغربية رغم تفوقها فى العلوم والتكنولوجيا تعانى من كبوة حضارية يرصدها النابهون منهم، بسبب ما حملت من أنجاس الفكر، وقد أرادت الطيران بجناح المادة فسقطت، وفشلت النظم الوضعية فى تحقيق الرخاء الاقتصادى للشعوب، فعدالة الشيوعيين سراب خادع، والرأسمالية أناخت عليهم بالتضخم والركود والبطالة وانقسم المجتمع هناك إلى أحزاب يلعن بعضها بعضا[2].

## المدخل الأخلاقى المنتظر:

ألا يكون قد أذن مؤذن بتصدير الرشد الأخلاقى كما علمنا صاحب الرسالة محمد ﷺ إزاء التردى السلوكى الواقع فى الغرب، فمشروعنا الإسلامى يقدم لهم عسلاً مصفى سائغا شرابه، وهناك إقبال متزايد للأمريكيين على اعتناق الإسلام، ولن يمضى نصف قرن حتى يكون الانتماء الأكبر للإسلام[3] ولسان حال المسلمات الجدد اليوم: أسلمت فعرفت معنى السعادة، وارتديت الحجاب فشعرت بالاحترام.

فالعالم اليوم تربة خصبة ينتظر بشغف بالغ طيب الأعراف سيما بعد إفلاس عقائد الغرب فى الوفاء بحاجة الإنسان، لبعدها عن منهج السماء فى الرشد وما أوتى النبيون من ربهم.

(١) الأهرام فى ١٩ / ٤ / ١٩٩٣ م.
(٢) د. عبد الحميد البعلى ، الإيمان ملحق الأنباء الكويتية (٨٧٤٨).
(٣) رشدى فكار، المسلمون العدد ٤٩٠ .

إن الاعتداء على أعراض النساء بالاغتصاب يتم بمعدل جريمة فى كل دقيقة حسب الإحصائيات الرسمية[1]، ترزح فيها الضحايا وخاصة تحت عبء تهديد الأزواج والأقارب بالضرب والإيذاء حتى القتل، وينفق (١٣) مليارًا سنويًا لإعالة أطفال السفاح والاغتصاب الذين يصلون أحيانًا إلى ٧٠٪ من الولادات العامة، وهنا تقول إحدى الكاتبات الغربيات: «ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين التى فيها الحشمة والعفاف والطهارة، وإنه لعار على بلاد الإنجليز أن تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطتهن للرجال، فذلك أضمن لعفافها وشرفها وأدعى لسعادتها».

وهذا هو مراد «هوفمان» فى كتابه فساد الحياة الغربية[2] يقول: إن أوروبا أصبحت آملة فى الإسلام، خلاصًا لها من أمراضها الخلقية التى تهدد حضارتها المادية، وإن أوروبا تحمل الإسلام فى أعماقها، وكم هى فى حاجة ماسة إلى جمهرة سلوكياته، ويضيف منبهرًا بموقف المسلم من الحضارة المعاصرة، بأن الالتزام الخلقى ديدنه، يسود حياة المسلم أو المسلمة الوسط الإسلامى الحقيقى، فأنت لا ترى المداعبات الجنسية وتبادل القبلات ونحوها بين الرجال والنساء علنًا، كذلك يرفض الإسلام الأدب الداعر المكشوف وأفلام الجنس والصور العارية ولا تمارس المسلمة أساسًا أى علاقة جنسية قبل الزواج، كما أن اللقطاء والأطفال غير الشرعيين من الأشياء النادرة فى المجتمعات الإسلامية، والأغلب والأعم أن الأبكار لا تفض بكارتهن قبل الزواج، ولن تجد فى أى دولة إسلامية الإعلانات التى يطالب أصحابها بتبادل العلاقات الجنسية بين الأزواج والزوجات فى مجموعات الجنس، وشواطئ العرى والزواج اللواطى والجنسية المثلية، والسحاق بين المرأة والمرأة علنًا، ولن تجد المساكن المختلطة التى يعيش فيها الطلاب والطالبات معًا تحت سقف واحد.

## ثانيًا: بوادر العصر الإسلامى الأوروبى:

المتفائلون من الدعاة يبشرون المؤمنين بأن بوادر النصر والعصر الإسلامى الأوروبى قد لاحت فى الأفق[3].

(١) الأنباء الكويتية فى ١٨/١٠/١٩٩٩م.

(٢) كان سفيرًا فى الجزائر واعتنق الإسلام عام ١٩٨٠م (مجلة النور فى ٨/٩/١٩٩٢م) شهادة غربى على انهيار حضارة الغرب من خلال كتابه الإسلام هو الحل البديل، «أنور الجندى».

(٣) التبشير الحقيقى هو بدين الإسلام ، أما غيره من الأديان فنقول لهم فبم إذن يبشرون؟!

وهاكم آية بينة على اختراق سنن الإسلام لأعتى التقاليد الغربية، فالطلاق أصبح الآن مقننا فى بلاد الغرب بعد أن كان محظورًا، فقد أعلنت روما تمردها على الكنيسة الغربية فى عقر دارها فى صدد أبغض الحلال، لتؤكد حتمية الحل الربانى للمشاكل المتراكمة والمتفاقمة، فكاكًا من زوج بغيض أو زواج فاشل؛ لأن الزوج انحرف وتدهورت أخلاق النساء، سيما مع الانفصال الجسمانى بين الزوجين سنين عددًا، والذى تفرضه الكنيسة كحلٍّ لمشاكلهم بديلاً عن الطلاق، وهو بديل مترنح.

وتتعالى اليوم صيحات مدوية من النساء فى الغرب سيما المثقفات بوجه خاص فى أمريكا بضرورة اقتباس نظام تعدد الزوجات ليكون عاصمًا للزوج من تعدد الخليلات، بل أتت لنا مجلة اللواء الإسلامى بإحصاء رسمى فى المناطق الغربية فى الولايات المتحدة الأمريكية بأنه هناك أكثر من خمسين ألف رجل متزوج بأكثر من سيدة، وأن النسوة يطالبن أولى الأمر بإصدار تشريع يواكب الواقع الهادر المتطور.

## شمس الله تشرق على الغرب:

وهاكم الدكتورة «تسيمريد هوفكه» الألمانية فى كتابها الفذ «شمس الله تشرق على الغرب» تقول(1):

إن التعصب الدينى وعدم التسامح كان دائمًا من أعدى أعداء الشعوب.. فالعزلة عدو الحياة والنمو والتطور.. ثم إن التعصب للدين وعدم تبادل الثقافة بين الشرق والغرب إلى جانب الاحترام المتبادل.. إلى التعاون والتضامن والتصافى أدى جميع هذا إلى تفتق العبقريات، وإذا تغاضينا عن بعض حالات التشاحن والبغضاء التى وقعت بين العرب والأوروبيين أحيانا، فإن تعاون الشرق والغرب سيكون خيرًا وبركة للعالم أجمع.

لقد كان سادة أوروبا يفخرون بما يقتنونه من قرطبة فى عهدها العربى من منسوجات أو مصوغات.. وإلى قرطبة وغيرها من المدن الأندلسية كان يتوافد طلاب التحف والترف والموسيقى والغناء والدواء أيضًا، حتى ليقول المؤرخ الإنجليزى استانلى لابين بول: (إن حكم عبد الرحمن الثالث الذى قارب خمسين عاما أدخل على إسبانيا تجديدًا لا يُلِمُّ الخيال على أجمع ما يكون وأحسن ما يكون بحقيقة فحواه).

(1) انظر مقال د. نعمات فؤاد، الأهرام فى ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٥ م.

يقول الكاتب الإسبانى الكبير (أبانيز) فى كتابه (ظلال الكنيسة) عن غزو العرب إسبانيا: (لم تكن غزوة فتح وتدويخ، بل حضارة جديدة سطعت شعابها على جميع مرافق الحياة ولم يتخل أبناء الحضارة يومًا عن فضيلة حرية الضمير وهى الدعامة التى تقوم عليها حقًا كل عظمة للشعوب.. فقبلوا فى المدن التى ملكوها كنائس النصارى وبيع اليهود.. ولم يخش المسجد معابد الأديان التى سبقته فعرف لها حقها واستقر إلى جانبها غير حاسد أو راغب فى السيادة عليها ونمت على هذا ما بين القرن الثامن والقرن الخامس عشر أجمل الحضارات وأغناها فى القرون الوسطى فى الوقت الذى كانت فيه أمم الشمال فريسة للفتن).

وفى اليابان تعديلات طرأت على قانون الزواج يسمح للمطلقة أن تقترن بزوج آخر بعد مرور مائة يوم على طلاقها بدلاً من ستة أشهر، وهو اقتباس شبه كامل من أحكام الإسلام فى شأن عدة المطلقة.

وهناك اليوم فى أوروبا أصوات تدوى للمطالبة بعقود زواج موثقة ينص فيها على تفرغ المرأة لبيتها، انبثاقًا من سياسة مصارحة الذات، والاعتراف بالحق فضيلة، بعد ما أجهضتها المساواة اللاهثة بين الذكر والأنثى، فهذه الكاتبة الإنجليزية الشهيرة «آنا رورد» تقول: لأن تعمل بناتنا فى بيوتهن خوادم أو كالخوادم خير وأحب من اشتغالهن فى الأعمال، حيث تصبح البنت ملوثة بسلوكيات قد تذهب برونق حياتها إلى الأبد، من كثرة مخالطتها للرجال، نعم دخل الأسرة زاد لكن انخفض مستوى الأخلاق وكثر أولاد السفاح[1].

وأما عقوبة الإعدام وهى حكم الله، فتعود إلى ساحتهم ليكون لهم فى القصاص حياة، وكانت بعض دول الغرب قد اتبعوا أهواءهم وظنوا أنها المدنية الحقة، ومرت السنون فقسا العتاة وغلظ البغاة وكثرت الضحايا وإذا بأولى الألباب يطالبون بحتمية الحل الإسلامى بعد ما نزل بساحتهم، وإعادة عقوبة الإعدام إلى مكانها ومكانتها وصدق الله العظيم: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٧٩].

واليوم يكاد ينعقد الإجماع بين خبراء الاقتصاد فى العالم على أن أمثل الحلول لعلاج الاقتصاد الفقير أو المترهل، تصفية شاملة للربا والعودة بسعر الفائدة إلى الصفر.

(١) المسلمون العدد ٦٧ فى ٦ / ١٢ / ١٩٩٧ م.

وهناك دول غير إسلامية شرعت فى تجريم ألعاب القمار لما تجلبه من العداوة والبغضاء والسوء والفحشاء، كالسرقة وقتل الأبوين أملاً فى مال يندفع به المقامر المغامر إلى الهاوية.

واليوم تتعلق الآمال فى ساحة المجتمع الأوروبى بأن تكون الولادة على يد قابلة، فلا ينكشف الطبيب على عورة المرأة، فنساء كثيرات تستحى من الطبيب حين تنكشف له عوراتها، فطرة الله التى فطر الناس عليها، فلا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن، وهو سلوك فطرى محمود، لأن الرجل نفسه يستحى أن يرى سوأة أخيه، وقريبًا من ذلك ما اعترف به المربون بفشل التعليم المختلط الذى يكون فيه البنون مع البنات، بعد أن بدت عوراته، أقلها تدنى مستوى الطلاب واستدراجهم للفسق المبكر.

وفى مجال الطب الإسلامى أقامت الحكومة فى هولندا معهدًا للعلاج بشراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس، وذلك بعد أن نجحت التجارب التى أجريت عليه كشفاء من أمر الأدواء، وإن كنا عن دراسته لغافلين، بسبب شعورنا بالدونية والتعتيم على الثقافة الإسلامية.

وفى أمريكا اليوم أنشئوا مدرسة متخصصة لنشر الوعى بين النساء بضرورة الرضاعة الطبيعية التى أسس بنيانها قرآننا الكريم الذى يهدى إلى الرشد: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، محذرين من خطورة الأغذية البديلة التى أثبتت الأبحاث العلمية أنها سبب مباشر فى خفض معدل الذكاء عند الأطفال، ويخشى لو استمر ذلك مستقبلاً أن يصبح فى أمريكا شعب من الأغبياء(١).

وفى أمريكا أسسوا بنيانًا للعلاج بالصيام الإسلامى، كما كتب العالم المدعو «ماك فادن» كتابًا عن الصوم فصله على علم، وقال فيه بالحرف الواحد: إن الصوم يصفى الجسم من رواسب السموم المختلفة عن الأطعمة والأشربة، وهو دواء باهر السحر لأمراض المعدة، ومن أصدق من الله قيلاً: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة : ١٨٤](٢).

أما فى مجال السياسة وأنظمة الحكم فهى تنتهج عادة بلوغ أربعين سنة كشرط

---

(١) الأهرام فى ٨ / ٨ / ٢٠٠٣ جيهان الغرياوى. (٢) اللواء الإسلامى ١٣ شوال ١٤١٤هـ.

لتولى مقاليد الحكم والسياسة فى المناصب المهمة والعامة، كرئاسة الدول وعضوية البرلمان أو مناصب القضاء الكبرى، كمؤشر على النضج العقلى وهو من إعجاز القرآن حيث يقول العزيز الحكيم: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً..﴾ [الأحقاف : ١٥].

والنظام السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية مأخوذ فى جوهره من نظام الخلافة الإسلامية، حيث يسوس هناك رئيس واحد مع تعدد الحكومات فى الأمصار. وقد وجدت نسخ من القرآن الكريم وتفسيره لدى جيفرسون مؤسس الولايات فى مكتبه، ولا غرابة حينئذ أن يولد الدستور الأمريكى عملاقًا ينص مثلاً على حرية العقيدة الدينية، ولذلك تنفرد الولايات المتحدة باحترام العقائد الدينية وممارسة شعائرها، وتتميز عن كل دول الغرب فى هذا الشأن والتى لا تزال مترديه، إذ تضن على طالبة مسلمة أجنبية فى المدارس الثانوية أن تغطى شعرها بغطاء كما تفعل الراهبة ولو كان الشتاء قارصًا، على الرغم من أن دساتيرهم منمقة فى نصوصها!!.

ولكن تبقى المشكلة كامنة وهى أن هناك تعتيمًا على كل ما هو إسلامى.

## ثالثًا: الغرب قلدنا من قبل:

الحضارة أخذٌ وعطاء، وها هو الغرب فى عصرنا عاكف على استيراد عقولنا المهاجرة، ليؤسس هناك تلك الحضارة الزاهرة.

ولا غرابة فى ذلك، فقد كنا صناع مجد ورواد حضارة، فى وقت كانت تسود أوروبا ظلمات بعضها فوق بعض فى عصورهم الوسطى.

فلولا التراث العربى الإسلامى فى صقلية والأندلس لما كانت ثقافة ولا حضارة أوروبية، وفضل العرب والمسلمين شاهد ومشهود فى كل المجالات، فمثلاً فى الرياضيات، كانت عبقرية الصفر الذى اخترعه المسلمون، ولولاه لما كانت هناك نهضة علمية ولم يكن للكمبيوتر وجود، تراث وميراث ضخم للبشرية أقيم على حرية الفكر والكلمة والمناظرة التى يحض عليها ديننا حضًا حثيثًا.

ولقد نهلت الحضارة الغربية من علم علمائنا كابن رشد، فكان مؤثرًا فى صرح النهضة الأوروبية، ولا يجحد ذلك حتى الخصيم المبين، فلم تبدأ النهضة الأوروبية فى القرن الحادى عشر إلا بعد ترجمة كل ما وصل إليه المسلمون.

ولقد ورث الغرب عن المسلمين أسس البحث العلمى ونظرياته، كما ورث عنهم علوم الرياضة والمنطق والفيزياء، بل تأثر كثير من علماء الغرب فى مجال اللغة والمنطق والقانون والتاريخ والقيم والأخلاق، والتى راجت فى الأندلس ثم تسربت منها إلى أوروبا[1].

وها هو «جوزيف فان» أحد المستشرقين الثقات والأستاذ بالجامعات الألمانية يكتب شهادتهم متحدثًا بإنصاف عن تأثير الإسلام فى التعليم فى أوروبا فيقول: إن المسجد كان يشتمل على عدة أنشطة، منها تعليم الطلبة بالمشافهة، وجعل الطلاب يستمعون لمعلمهم ويحفظون عنه، وأخذ الغرب من المسجد لفظ «مستمع» والمدرس «قارئ» وقد أخذوا لفظ «الإجازة» من العرب، وهو الليسانس، وكان يخلعها الشيخ على الطالب الذى تعلم منه وأتقن العلم، الأمر الذى يجيز له أن يتبوأ تعليم الآخرين.

ومما نفاخر به ويكتب لنا ما أورده قاموس «المورد» على مدى (٣٢) صفحة من كلمات عربية انخرطت فى الإنجليزية، ويعاد تصديرها اليوم إلينا على أنها صنعت فى الغرب، فلغتنا هى تاج العلاء وفى أحشائها الدر كامن، وهى سيدة لغات العالمين لو أنصفها أهلها.

والكنائس هناك فى إيطاليا شيدت على نهج الطراز المعمارى الإسلامى[2].

وإذا كان تاريخ تعليم الدين الإسلامى خاليًا وخاويًا من الكهنوت ذلك الذى خيم على أوروبا فى ذلك الوقت وما فيه من تعتيم، فالإنسان حر داخل المسجد فى أن يعلم أو يتعلم ما يشاء، وعلى يد من يشاء، وهذا هو جوهر نظام التعليم العصرى السائد فى الجامعات الأمريكية ـ نظام الساعات المعتمدة الذى يفاخرون به على العالمين.

كما اقتبسوا منا نظام الأستاذ الزائر المعروف فى الجامعات، فعندما بدأ المسلمون جمع وحفظ أحاديث الرسول ﷺ وجدوا أن بعضها مشكوك فيه، فأرادوا أن يتحروا رشدًا، فهموا بتنقية الأحاديث الصحيحة من الموضوعة، فكان نظام الرواية عن طريق السند القوى المتصل والفحص الدقيق، مما دعاهم إلى الترحال فى الأمصار لجمع الأحاديث بدقة متناهية، وكانوا حين يطئون موطئًا، يرتادون بيوت الله حيث يتعلم الطلاب، ويتناقشون ويتحاورون ويعلمون، ومن هنا جاءت تسمية الأستاذ الزائر الذى عرفته جامعات الغرب بأسرها فيما بعد.

---

(١) د. جعفر عبد السلام ، أثر الحضارة العربية والإسلامية على الغرب، الأهرام فى ١٠/١١/٢٠٠٣م.

(٢) محمود الشيخ ، الأنباء الكويتية، ملحق الإيمان فى ٢٤ محرم ١٤٢٠هـ، ٨/٤/٢٠٠٠م.

ونظام المعيد من عندنا، فكان الدرس يعاد عن طريق المعيد إذا كان عدد المستمعين للأستاذ كثيرًا، وقد لا يصل حينئذ صوته إليهم.

وفكرة المراجع مستعارة بدورها من العرب والمسلمين، انتقلت إليهم فى العصر الوسيط، فعلى الرغم من شيوع ظاهرة الرواية الشفهية، وقراءة الأستاذ لكتبه المؤلفة على أسماع مريديه، إلا أنه كان يرجع إلى مراجعه، ولا ينكر أحد ذلك الكم المتراكم من الكتب القيمة التى صنفها الراسخون فى العلم، وفى اللغة وفى فروع المعرفة الأخرى، والتى انتفع بها من جاءوا بعدهم من علماء الغرب، فغمرت عقولهم وقلوبهم، ومكتبات أوروبا على ذلكم من الشاهدين لنا لا علينا.

حتى فيما يتعلق بزى أساتذة الجامعات، فإن الروب الجامعى الذى يتحلى ويتجلى به الأساتذة فى الجامعات الغربية مستعار من علماء المسلمين، فلقد كانت العباءة الفضفاضة هى زى العلماء فى الأندلس، وكانت القبعة التى تغطى الرأس مربعة فى شكلها وكان يتحلى بها الخريج يومئذ يوم تخرجه من جامعة قرطبة، كما كان الخريج عبدًا شكورًا يضع فى مفرق رأسه كتاب الله من فوقها تشريفًا وتعظيمًا وآية بينة على تمام النعمة.

**وناطحات السحاب اختراع عربى:**

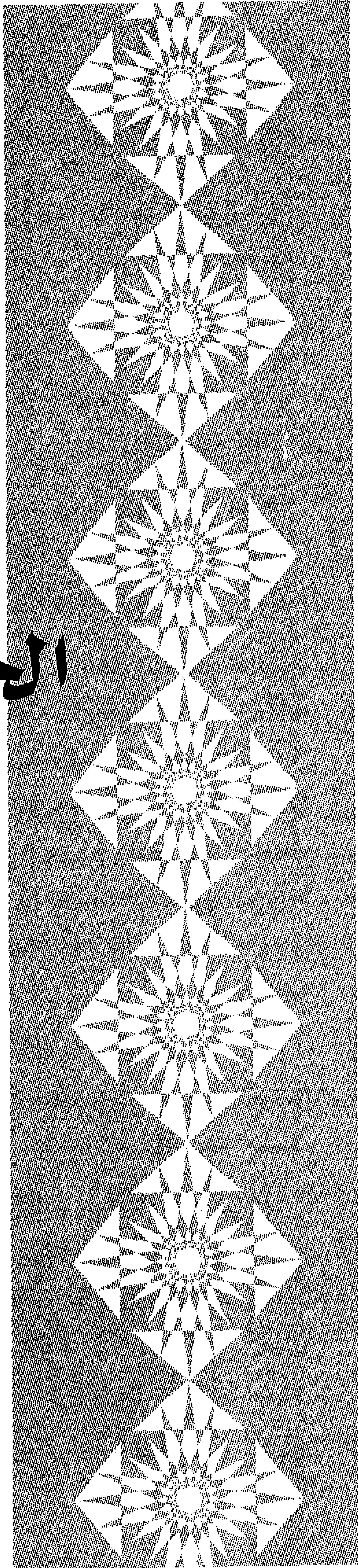
فاليمن كانت أول دولة تعرف ناطحات السحاب، وهى إلى اليوم خير شاهد على شموخ الحضارة العربية والإسلامية، وحين كنت معارًا إلى اليمن للتدريس بجامعاتها كنا نمسك بالسحاب المخترق أعالى الجبال، وما عليك إلا أن تنزل فى أحد الفنادق السياحية لتشاهد مر السحاب، وهو ينزل بدوره فى تلك الفنادق.

فهل ناطحات السحاب فى أمريكا حقًا تناطح السحاب؟

وأخيرًا الديمقراطية الغربية المزدهرة عندهم تدين لنا بفكرة «التعددية» التى استلهموها من نظام «الملل» الذى قننته الدولة العثمانية، ويعطى لكل أصحاب الملل حريات مبهرة، مع أن الغرب قد استغلها لتوجيه طعنات موجعة إلى الدولة العثمانية، والأبحاث الأوروبية والأمريكية المعاصرة منها ما يحق الحق، فتحيل إلى نظام الملل الإسلامى آنف البيان، على أنه النموذج الذى سرت من خلاله فكرة التعددية إليهم(١).

(١) فهمى هويدى: الأقليات وكتاب التفكيك.

# الخاتمة



إذا كانت أمتنا قد صارت مهددة بخطر الاقتلاع والابتلاع، فإن استئصال الداء ليس علينا بعزيز، فهو أحيانًا مما عملت أيدينا ونحن نملك ثقافة بناءة ينبوعها قرآن عجب يهدى إلى الرشد، ورصيدًا متضخمًا من المصلحين وصالح المؤمنين، ورجالاً كثيرًا ونساءً معقودًا عليهم الأمل فى نثر ونشر أحمد السلوك والاعتداد بالذات الإسلامية.

اليوم أمامهم فرصة كبرى لاستئناف دورهم فى التاريخ وتبوء مقعدهم الذى كان لهم ولايزال شاغرًا فى إثراء الأمم بطيب الأعراف، فالإسلام هو سفينة النجاة عند طوفان وطغيان الشذوذات المسلكية.

والخيرية التى نعت الله بها هذه الأمة ليست خيرية عنصرية كما هو الشأن عند أصحاب الملل الأخرى، وإنما هى خيرية ترتبط بدورها فى الاضطلاع بأرشد السلوك، وحين تأتى لحظة الاختيار فلن تختار البشرية إلا الإسلام، فهو القادر وحده على أن يضىء العالم بنوره وأحمد سلوكه، وإن الله قد ربى نبيه محمدًا ﷺ، ومحمد رسول الله ﷺ قد ربى العرب، والعرب بعد ذلك قد استضاء العالم بنورهم، فكل مؤمن أو مؤمنة رسل لرسول الله ﷺ رحمة مهداة لغيرهم من شعوب الأرض إذا تعارفوا.

وختامًا فإن هذه الدراسة كما ألمحنا من قبل لا توجه انتقادًا للغرب المتحضر، بل تجل شأنهم وترفع قدرهم، ولكن لا لسلبياتهم التى أضحت تغير على ملامحنا.

فالراصدون لمسيرة العمل الإسلامى يبشرون المسلمين فى أرجاء المعمورة بأن القرن المقبل سيشهد منعطفًا مهمًا فى تاريخ الإسلام، ومسرحه الغرب هذه المرة، حتى إن هناك من يقول بأن معدل انتشار الإسلام فى الولايات المتحدة الأمريكية يجعلها دولة إسلامية فى نصف قرن، وهاكم رئيس جامعة فلورنسا بإيطاليا باولو بلازى يؤكد

لنا أن أوروبا تنظر إلى الإسلام اليوم بعين المتطلع إلى استرداد روحانيتها المفقودة.

وبعد.. هل يتهم كاتب هذه السطور بالرجعية؟ أم هو قبس من الغيرة الدينية؟ والتى أضحت فى عصرنا وكأنها مقصورة على من يهتفون: نحن بنو التوراة؛ بنو إسرائيل. إنه مزيج من حب دافق للوطنية وولاء للقومية العربية، وحماس بعلم للديانة الإسلامية، والتى أهلت لإسعاد البشرية.

ولكن غفل عن ذلك الغافلون.

وصدق الله العظيم: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

# الفهرس



## الفصل الأول
## مظاهر تقليد الأوربيين

## الفصل الثانى

## أسباب التقليد فى غير المحاسن

**الفصل الثالث**

**الهزائم السلوكية و تغريب الأمة الإسلامية**

**الفصل الرابع**

**مواجهة التغريب والتقليد**

**الفصل الخامس:**

**المسلمون وتصدير الرشد الأخلاقى**

# كتب للمؤلف

١- الحديث فى الجرائم التموينية سنة ١٩٧٤، عالم الكتب (نفد).

٢- طاعة الرؤساء وحدودها سنة ١٩٨٠، عالم الكتب

٣- نظام الحكم فى الإسلام سنة ١٩٨٤، مذكرات مطبوعة منشورة للمعهد العالى للقضاء بصنعاء.

٤- قانون الخبرة الكويتى، منشأة المعارف بالإسكندرية ٢٠٠١ .

٥- الثقافة الإسلامية مع نخبة من أساتذة الجامعة، منشورات جامعة صنعاء.

٦- النظم السياسية، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٧- القانون الدستورى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨- القانون الإدارى سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٩- التشريع الضريبى اليمنى سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٦-٩) بالاشتراك مع أ.د محمد رفعت عبدالوهاب (وكيل كلية الحقوق بالإسكندرية).

١٠- حرية الفكر وترشيد الواقع الإسلامى سنة ١٩٩٠ نهضة مصر.


نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع




**المستشار الدكتور**

**عاصم أحمد عجيلة**

**رئيس محكمة الاستئناف**


- حصل على ليسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام ١٩٦٢ بتقدير جيد جدًا مع مرتبة الشرف الثانية.
- عين معيدًا بالكلية ولكنه آثر العمل بالقضاء، فتدرج في مناصبه.
- حصل على دبلومي الدراسات العليا في الشريعة الإسلامية والقانون العام.
- سافر في بعثة دراسية إلى فرنسا، ثم حصل على الدكتوراه في الحقوق بدرجة جيد جدًا مع مرتبة الشرف، وتبادل الرسالة مع الجامعات الأجنبية.
- عمل أستاذًا مساعدًا للقانون العام في جامعة صنعاء ثم رئيسًا للقسم ومدرسًا للثقافة الإسلامية.
- كان مديرًا للمرك... للدراسات القضائ... الآن رئيس بمحكمة ... بالقاهرة.

## هذا الكتاب

هو محاولة لرصد أخطر أمراض الواقع الإسلامي الرامية إلى تغيير سلوكيات المسلمين بتذويبهم وخلق أجيال مهزومة أو مأزومة، مع أننا أصحاب حضارة باسقة لها طلع نضيد، ولايزال لها مقعد الصدارة في محافل الرشد الأخلاقي.

وهنا نميز بين المعجزات التي تحسب للأجانب ولم نعبأ بها، والسلبيات التي أقبلنا عليها نعب منها مع أن الغرب يود أن ينخلع منها.

في طيات هذه الصفحات دعاء ونداء إلى كل وطني يعتز بوطنيته وعربي يتحمس لقوميته، ومسلم يعتد بهويته في مواجهة فوج مقتحم من سلوكيات تحرق شيمه وقيمه.

الناشر









